

الباب السنوي الثالث

سلسلة (الإيمان والرجاء والمحبة)

المحبة

قمة الفضائل



قصة هذا الكتاب

اخترنا لك موضوعات هذا الكتاب من بين عشرات الموضوعات المتفرقة التى

- القيناها عن المحبة من الستينات حتى التسعينات على مدى ثلاثين عاماً ، سواء فى القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة ، أو فى تلك رائية المرقسية الكبرى ، أو خلال أسابيع نهضة ببعض إبيارشيات الوجه البحرى ، ثم أخيراً نشرنا عن هذا الموضوع أكثر من ثلاثين مقالاً بجريدة وطنى ...

وقد أصدرنا لك هذا الكتاب عن (المحبة) بعد كتابين صدرنا من قبل : أحدهما عن (الإيمان) والآخر عن (الرجاء) ، لتكمل مجموعة (الإيمان والرجاء والمحبة) التى اهتم بها القديس بولس الرسول فى (١ كور ١٣ : ١٣) .

ولأن موضوع المحبة موضوع طويل جداً ، فقد قسمناه إلى عدة أبواب هى :

- ١ - كلمة عامة عن المحبة وأهميتها .
 - ٢ - محبة الله لنا وللخليقة كلها .
 - ٣ - محبتنا نحن لله .
 - ٤ - محبتنا للناس .
 - ٥ - شروط المحبة حسبما وردت فى (١ كور ١٣) .
 - ٦ - فتور المحبة " عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى " (رؤ ٢ : ٤) .
- وكل نقطة من هذه النقاط دخلت فى فقرات وعناصر متعددة .

ختاماً أرجو من الرب أن تسود المحبة فى قلوب الجميع ، حسب وصية السيد المسيح ، وحسب تعليمه بأن المحبة هى الوصية العظوى فى الاناموس ، وبها يتعلق الاناموس كله والانبياء (مت ٢٢ : ٣٥ - ٤٠) .

وقد يكون هذا الكتاب عن المحبة مقدمة لكتاب آخر عن ثمار الروح التى تبدأ بالمحبة كما فى (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . وقد يعقبه كتاب آخر عن (مخافة الله) حتى لا نستغل المحبة استغلالاً خاطئاً ..

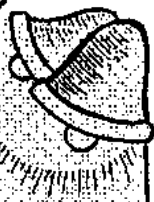
فليرشدنا الرب جميعاً إلى سبله ، بشفاعه جميع القديسين آمين .

البابا شنوده الثالث

فهرست إجمالى

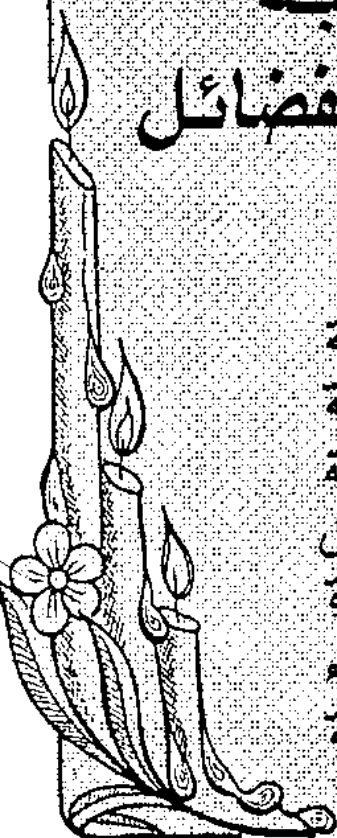
صفحة

٧	الباب الأول : ماهى المحبة ؟ وما مركزها بين الفضائل ؟
٢٣	الباب الثانى : محبة الله لنا ولكل الخليقة
٩٣	الباب الثالث : محبتنا لله .
١٦٩	الباب الرابع : محبتنا للناس .
٢٠٥	الباب الخامس : صفات وعناصر المحبة (اكو ١٣)
٢٦٢	الباب السادس : عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى .



مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ وَمَا مَرْكَزُهَا بَيْنَ الْفَضَائِلِ

مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ
أَزَلِيَّةُ الْمَحَبَّةِ
الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ
الْمَحَبَّةُ وَالْفَضَائِلُ
الْمَحَبَّةُ وَالصِّلَاةُ
الْمَحَبَّةُ وَالْعَطَاءُ
الْمَحَبَّةُ وَالْخِدْمَةُ



ماهى المحبة

المحبة هى قمة الفضائل كلها . هى الفضيلة الأولى .

عندما سئل السيد المسيح ما هى الفضيلة العظمى فى الناموس ، قال هى المحبة :
« تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قوتك » (تث ٦ : ٥) .

والثانية مثلها « تحب قريبك كنفسك » . ثم ختم بقوله « بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٣٥ - ٤٠) . أى أن كل الوصايا تتجمع فى المحبة .

إذن المحبة هى جامع الفضائل كلها .

وقد قال القديس بولس الرسول فى هذا « وأما غاية الوصية فهى المحبة ، من قلب طاهر ، وضيمير صالح... » (١تى ١ : ٥) . ولذلك صدق القديس أوغسطينوس حينما قال « تحب . ثم تفعل بعد ذلك ما تشاء » ...

وقد جعلها الرسول أعظم من الإيمان والرجاء والنبوة .

فقال « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ، ولكن أعظمهن المحبة » (١كو ١٣ : ١٣) . وفى شرح ذلك قال « إن كنت أتكلم بالسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة ، فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن . وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم . وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة ، فلست شيئاً .. » (١كو ١٣ : ١ - ٣) ... إذن ما أعجب هذه المحبة التى هى أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال ...

والمحبة هي أولى ثمار الروح .

وبالتالى هي دليل عمل الروح فينا . قال الرسول « وأما ثمر الروح ، فهو محبة فرح سلام طول أناة... » (غل ٥ : ٢٢) . وهكذا وضع المحبة أولاً . ولاشك أن الذى يمتلئ قلبه بالمحبة ، لا بد سيمتلئ بالفرح ، وإذا عاش فى حب وفرح ، سيحيا بالتالى فى سلام...

والمحبة هي آخر وصية أعطاها الرب لتلاميذه .

قال لهم « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يو ١٣ : ٣٤) . وكيف أحبهم هو؟ يقول الكتاب « إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) . وأيضاً أحبهم ، فبذل ذاته عنهم . هذه هي المحبة التى طلبها الرب...

والمحبة المطلوبة منا ، هي صدى لمحبة الله لنا ...

وعن هذا يقول الرسول « فى هذا هي المحبة . ليس أننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١ يو ٤ : ١٠) ... حقاً إن الله قد أحبنا قبل أن نوجد ، ومن أجل ذلك أوجدنا . فوجودنا هو ثمرة محبة الله لنا ... حينما كنا فى عقله فكرة ، وفى قلبه مسرة...

مادام الله محبة ، ونحن صورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٦ : ٢٧) ، إذن لابد أن نكون محبين مثله .

والا ، فى حالة عدم وجود المحبة فينا ، لا نكون على صورة الله . بل نكون قد فقدنا الصورة الإلهية التى خلقنا بها... كذلك نحن أولاد الله . والابن لا بد أن يشبه أباه . وإن شابهناه كأبناء الله ، لا بد أن المحبة ستملأ قلوبنا ، وتفيض من وجوهنا ، ومن أعيننا ، ومن ملامعنا ، وتظهر فى تصرفاتنا وفى كل أعمالنا . ويقول الناس عنا : حقاً هؤلاء هم أولاد الله ، هم على مثاله فى الحب « بهذا أولاد الله ظاهرون » (١ يو ٣ : ١٠) .

والسيد المسيح جعل المحبة العلامة التي تميز تلاميذه .

فقال « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان فيكم حب ، بعضكم نحو بعض » (يوحنا : ١٣ : ٣٥) . والقديس يوحنا الرسول جعل المحبة العلامة للميلاد من الله . فقال : « كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب ، لم يعرف الله ، لأن الله محبة » (١ يوحنا : ٧ ، ٨) .

هناك أنواع من المحبة : نحب الله ، ونحب الناس ونحب الخير .

إن الذين هو رحلة حب نحو قلب الله ، تعبر في طريقها على قلوب الناس . والمحبة هي الرباط المقدس الذى يربط الناس بالله . إنها جوهر الدين والتدين .

ونحن لا نستطيع أن نصل إلى محبة الله ، دون أن نحب الناس . وهكذا قال الكتاب « الذى لا يحب أخاه الذى يبصره ، فكيف يحب الله الذى لا يبصره » (١ يوحنا : ٤ : ٢٠) .

ومحبتنا للناس تلد فى القلب العديد من الفضائل : تلد الثقة والتعاون ، والعطاء والبذل ، والصداقة والتضحية ، والسلام مع الغير .

المحبة هى خروج من الذات إلى الغير .

بحيث تنسى ذاتك وتذكر بغيرك . تخرج من (الأنا) ، فلا تسمح لها أن تحصرك داخلها . فلا تعيش داخل الأنا ، إنما داخل قلوب الناس ، تحيا لأجل الغير ، وترى خيره بعضاً من خيره . بل ترى خيره قبل خورك . وهكذا تحب الغير ، وتحب له الخير .

والحب شئ غير الشهوة تماماً ...

الحب دائماً يريد أن يعطى . والشهوة تريد دائماً أن تأخذ . الشهوة ممتزجة دائماً بالأنا ، بالذات . أما الحب فيمتزج بانكار الذات لأجل الغير . والحب الحقيقى لا بد أن يمتزج بالطهارة والنقاوة ، كما يمتزج أيضاً بالحق . فإن خرجت المحبة عن الحق أو عن الطهارة ، تكون محبة ضارة . والمحبة الضارة لها معنا موضوع خاص ليس بمجاله الآن .

أزلية المحبة

المحبة الكلية ، هي الله نفسه .

الله هو الحب الكلى . الحب الذى لا يحد ، الذى كله قداسة . لذلك من ليس فيه حب ، ليس الله فيه . ولذلك فإن أولاد الله مشهورون بالمحبة ، لأن الله يسكن فيهم . وفى شرح كل ذلك ، قال القديس يوحنا الرسول « الله محبة . ومن يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه » (١ يوحنا : ١٦) .

* * *

المحبة موجودة منذ الأزل ، واستمرت قبل الخطيئة .

أزلية المحبة واضحة لأن الله محبة ، والله أزلى . ومن محبة الله لم يشأ أن يكون وحده ، لذا من جوده وكرمه أوجد مخلوقات تحيا معه . فخلق الملائكة قبلنا . وكانت المحبة تربط الملائكة بعضهم ببعض . وكما قال أحد الآباء « لو وقف عشرة آلاف من الملائكة معاً ، لكان لهم جميعاً رأى واحد » ... وكما كان الملائكة يحبون بعضهم بعضاً ، هكذا كانوا يحبون الله أيضاً (وقبل خطيئة ابليس) . ولذلك يقول داود النبى فى المزمور « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه » (مز ١٠٣ : ٢٠) .

* * *

وهكذا كانت المحبة هى الأصل فى علاقات الإنسان الأول :

كانت المحبة كاملة بين الله والإنسان قبل الخطيئة . وكانت المحبة بين آدم وحواء ، ظاهرة نقية ، فيها التعاون والثقة . بل كانت المحبة كائنة بين آدم والحيوانات . لا هو يصيدها ، ولا هى تؤذيه .. وفى ظل المحبة ، لم يكن يوجد الطبع الوحشى والإنتراس فى صفات بعض الحيوانات ، بل كان الكل أليفاً ... وكان آدم يحب الحيوانات ، ويسمىها بأسماء ...

ونفس الوضع تكرر فى قصة ابينا نوح والفلك . حيث كان فى الفلك يرعى جميع الحيوانات ، وهو الذى أدخلها إليه ، وكان يرعاها فيه .

إذن المحبة هى الأصل ، والبغضة دخيلة .

المحبة الحقيقية

والمحبة الحقيقية لها قوتها ، ولا تنهار .

يقول الكتاب « المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة ، والسيول لا تغمرها . إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة ، تحترق احتقاراً » (نش : ٨ ، ٦ ، ٧) . ويقول الرسول « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣ : ٨) . لهذا فكل فضيلة تؤسس على المحبة ، تكون راسخة . وكل علاقة تبني على المحبة تبقى قوية ولا تتزعزع .

ولهذا قال الرب : يا ابني اعطني قلبك (أم ٢٣ : ٢٦) .

إن الله يريد القلب ، يريد الحب ، وليس مجرد الشكليات والمظاهر الخارجية . فالعبادة الخالية من الحب ، قد رفضها الله . وقال « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً » (أش ٢٩ : ١٣) ، (مت ١٥ : ٨) . وقال للشعب الذى يصلى ويقدم ذبائح ، بينما لا يحب الله ولا القريب « لا تعودوا تأتون إلتى بتقديم باطلة . رؤوس شهوركم وأعيادكم أبغضتها نفسى ، صارت على ثقلاً ، مللت حملها . فحين تبسطون أيديكم ، استر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع . أيديكم ملانة دماً » (أش ١ : ١٣ - ١٥) .

المحبة الحقيقية ينبغى أن تكون محبة عملية .

وفى هذا قال القديس يوحنا الرسول « لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٨) . وقد ذكر لنا الرب مثل السامرى الصالح ، وكيف كانت محبته عملية ، فيها الاهتمام والعناية والانفاق (لو ١٠) . والله نفسه - تبارك اسمه - محبته لنا عملية ، فيها الرعاية الكاملة . خلق كل شئ أولاً من أجلنا ، ثم خلقنا بعد ذلك لنتمتع بأعمال عنايته . ولا يزال يرعانا . وفى عمل الفداء نقرأ عبارة « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ... » (يو ٣ : ١٦) . وأيضاً « ولكن الله بيّن محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٨) .

إذن فالمحبة التي لا تعبر عن ذاتها عملياً ، ليست هي محبة حقيقية .

ومحبتنا لله ، يجب أن نثبتها عملياً بحفظ وصاياہ .

فالله لا يقول فقط « يا ابني اعطني قلبك » ، إنما يقول بعدها مباشرة « ولتلاحظ عيناك طرقى » (أم ٢٣ : ٢٦) . والسيد المسيح يقول « أنتم أحبائي ، إن فعلتم ما أوصيتكم به » (يو ١٥ : ١٤) « إن حفظتم وصاياى ، تثبتون في محبتى . كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى ، وأثبت في محبته » (يو ١٥ : ١٠) « والذي عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحببنى » (يو ١٤ : ٢١) .

فلا تقل إني أحب الله ، بينما أنت تكسر وصاياہ !

هوذا القديس يوحنا الرسول يقول « من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياہ ، فهو كاذب وليس الحق فيه . وأما من حفظ كلمته ، فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله » (١ يو ٢ : ٤ ، ٥) « كل من يثبت فيه لا يخطئ . كل من يخطئ ، لم يبصره ولا عرفه » (١ يو ٣ : ٦) . « فإن هذه هي محبة الله ، أن نحفظ وصاياہ . ووصاياہ ليست ثقيلة » (١ يو ٥ : ٣) .

والمحبة لها صفات تميزها ، شرحها الرسول :

فقال : « المحبة تتأني ، وترفق ، المحبة لاتحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ . ولا تقبح ، ولا تطلب ما لنفسها . ولا تحتد ، ولا تظن السوء . ولا تفرح بالإثم ، بل تفرح بالحق . وتحتمل كل شيء ، وتصديق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣ : ٤ - ٨) .

ألست ترى معى أنها منهج طويل شامل ، إن تناولناه بالتفصيل نقطة نقطة ...

المحبة لا بد أن تشمل محبة الخير .

ففعل الخير وحده لا يكفى ، وربما لا يكون فضيلة . فهناك من يفعل الخير مجبراً مضطراً أو عن خوف ... وهناك من يفعل الخير لمجد أن ينال عنه مديحاً من الناس أو مكافأة ... ومن يفعل الخير رياء لمجرد حب المظاهر . وغيره قد يفعل الخير وهو متذمر في

قلبه . فظاهر شيء . وقلبه شيء عكس ذلك تماماً .

أما الإنسان الفاضل فهو الذى يحب الخير، حتى إن لم تساعد إمكاناته على فعله . وإن فعل الخير لا يقصد من وراءه مكافأة . بل يجد لذة فى فعل الخير، ويعمل ذلك عن حب ... الدافع الأساسى الذى يدفعه هو محبة الخير .

إن نقصت هذه المحبة ، تنتج رذائل كثيرة :

نقص المحبة يوجد البغضة والكراهية . وقد تسبب عن ذلك أيضاً الشماتة والفرح بالإثم . وقد قال الكتاب «لا تفرح بسقوط عدوك ، ولا يبتهج قلبك إذا عثر» (أم ٢٤ : ١٧) .

ومن نتائج نقص المحبة أيضاً : الغضب والحقد . وقد يتطور الأمر إلى الشتيمة والضرب والقتل ، والادانة والتشهير واشاعة المذمة . ومن نقص المحبة أيضاً الحسد والكبرياء والتعالى ، وعدم الاحتمال ، والقسوة...

أما نقص المحبة من جهة الله ، فيظهر فى أمور عديدة منها إهمال الصلاة والكتاب والكنيسة ، وعدم الشعور بالوجود فى حضرة الله ، وعدم الفرح بالسماء ...

كذلك محبة العالم ، دليل على نقص المحبة نحو الله .

يقول القديس يعقوب الرسول «محبة العالم عداوة لله» (يع ٤ : ٤) . ويقول القديس يوحنا الرسول «لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة» (١ يوح ٢ : ١٥ ، ١٦) .

وتدخل فى محبة العالم أيضاً : محبة المال ، ومحبة المجد الباطل ، ومحبة المادة ، ومحبة الذات . وكل هذه ضد محبة الله وضد محبة الخير .

المحيّة والفضائل

إن المحبة لا بد أن تتخلل كل فضيلة . وكل فضيلة خالية من المحبة ، ليست فضيلة حقيقية .

عطاؤك للفقير إن لم تكن فيه محبة ، فهو ليس شيئاً . وخدمتك إن كانت خالية من الحب ، لا تكون خدمة مقبولة . كذلك صلاتك يجب أن تمتزج بالحب ، كما قال داود « باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم » (مز ٦٣ : ٤) « محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩) .

كذلك كل أنواع العبادة ينبغي أن تكون ممتزجة بالحب . فيقول المرتل عن الذهاب إلى الكنيسة « فرحت بالقائلين لى : إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢٢ : ١) . « مساكنتك محبوبة أيها الرب إله القوات ، تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى بيت الرب » (مز ٨٤ : ١) . ويقول عن كتاب الله « فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة » « كالغسل والشهد فى فمى » (مز ١١٩) ... وهكذا فى باقى الأمور .

إن الله فى يوم الحساب ، سيفحص جميع فضائلنا ويكافئنا فقط على ما فيها من حب ...

أما الفضائل الخالية من الحب ، فليست محسوبة لنا . وأخشى أن تكون محسوبة علينا ... ولهذا قال الرسول « لتصر كل أموركم فى محبة » (١كو ١٦ : ١٤) . وقال إن المحبة هى رباط الكمال (كو ٣ : ١٤) . حتى الإيمان ، قال عنه الرسول « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) ... الاستشهاد أيضاً ، قدم الشهداء نفوسهم فيه ، من أجل عظم محبتهم للرب ، الذى أحبوه أكثر من الحياة ، ومن الأهل ، ومن العالم كله . وأحبوا أن ينحلوا من رباطات الجسد ، ليلتقوا بالله الذى أحبوه ...

المحبة التى تدخل فى كل وصية ، حسب قول الكتاب « لتصر كل أموركم فى محبة » (١كو ١٦ : ١٤) .

والمحبة التى هى هدف كل وصية ، كما قال أيضاً « وأما غاية الوصية فهى المحبة » (١تى ١ : ٥) .

والمحبة التى هى أعظم من كل وصية ، كما ذكر الرب أنها الوصية العظمى فى الناموس (مت ٢٢ : ٣٦ - ٤٠) . وكما قال بولس الرسول « وأما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة . هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة » (١كو ١٣ : ١٣) . ولم يقل

فقط إنها أعظم من الإيمان العادى ، بل أعظم من كل الإيمان الذى يتقل الجبال (١كو١٣: ٢) .

نعم ، المحبة هى الوصية التى بها يتعلق كل الناموس والأنبياء (مت ٢٢: ٤٠) . أى أنه لو أراد الله أن يلخص لنا كل الوصايا فى وصية واحدة ، لكانت هذه الوصية الواحدة هى المحبة ...

هذه هى المحبة التى هى أفضل من جميع المواهب والمعجزات . لأنه بعد سرد الرسول قائمة بجميع المواهب ، قال بعد ذلك « وأيضاً أريكم طريقاً أفضل » (١كو١٢: ٣) . وإذا بهذا الطريق الأفضل هو المحبة ...

كثيرون سيقولون للرب فى اليوم الأخير « يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة » فيجيبهم « إننى لم أعرفكم قط » . ذلك لأن المعجزات ليست هى التى تخلص ، وإنما المحبة ...

بل كل فضيلة خالية من المحبة ، هى فضيلة ميتة لا روح فيها . بل لا تعد فضيلة من غير المحبة .

المحبة التى هى أفضل من كل علم ومعرفة . لأن الرسول يقول « العلم ينفخ ، ولكن المحبة تبني » (١كو٨: ١) .

مادامت الفضائل كثيرة جداً ، وإن جمعناها كلها أمام المؤمن ، سيجد أمامه برنامجاً طويلاً جداً ... فلنقل له : تكفيك المحبة . وإن اتقنتها ، ستجد داخلها جميع الفضائل . بل إن وصلت إلى المحبة ، لا تحتاج إلى وصايا أخرى . المحبة تكفيك وتغنيك .

إن وصلت إلى المحبة تكون قد وصلت إلى الله .

لأن الله محبة (١يو٤: ١٦) ... ولو كانت فيك المحبة الكاملة ، تكون قد ارتفعت فوق نطاق الناموس وفوق نطاق الوصايا .

إذا ملكت محبة الله على قلبك ، فإنها تطرد منه الخطية ، وتطرد الخوف ... هناك كثيرون يجاهدون ويتعبون ، ويريدون أن يصلوا إلى الله ولا يعرفون . بتدريبات عديدة

وبجهد كثير. وكلما يقومون يقعون. ويستمر قيامهم وسقوطهم. لماذا لأن جهادهم لم يبن على المحبة، كالييت الذى يبنى على الصخر (مت ٧ : ٢٤). وبغير المحبة يصبح مجرد جهاد ظاهرى، لم يصل إلى العمق بعد ...

أما إذا وصلت إلى محبة الله، فإنك لا تخاف الخطية .

الخطية حينئذ لا تقدر أن تعيش فى داخلك. لأن محبة الله التى فى داخلك هى نور، بينما الخطية ظلمة. والنور يطرد الظلمة، ولا شركة بين النور والظلمة (٢ كور ٦ : ١٤). محبة الله لا تتفق مع محبة الخطية، فلا يمكن أن يوجد معاً فى قلب واحد. لذلك لا تجاهد ضد الخطية بدون محبة الله. حاول أن تدخل محبة الله إلى قلبك، فتخلص من الخطية بدون تعب .

* * *

المحبة هى الميزان الذى توزن به أعمالنا فى اليوم الأخير .

لا تقاس أعمالنا الخيرة بكثرتها، إنما بمقدار ما فيها من حب. لا تقل له مثلاً: أنا قد وقفت يارب ثلاث ساعات أصلى. لأن الله سيجيبك: ليس المهم فى مقدار الوقت، إنما فى مشاعر الحب التى فى قلبك أثناء الصلاة... هل لك مشاعر داود المرتل الذى قال «محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى» (مز ١١٩). وقال أيضاً «باسمك ارفع يدي، فتشيع نفسى كما من شحم ودسم» (مز ٦٣ : ٤) ...

كذلك أنت فى صلاتك، هل تكون فى قلبك محبة الله الذى تصل لى أم لا؟ هل يكون قلبك متصلاً به أم لا؟ اعلم أن الصلاة الحالية من هذه المشاعر القلبية، ليست هى مقبولة عند الله، ولا تدخل إلى حضرته .

المحبة والصلاة

لأنه : ما هى الصلاة فى مفهومها الروحى ؟

إنها ليست مجرد كلام موجه إلى الله أو حديث معه، أو مخاطبة له... فهذا هو الشيء الظاهرى. لكن المعنى الحقيقى والباطنى، هو أن الصلاة هى محبة واشتياق إلى الله، للتمتع به. وهذه المحبة نحو الله هى التى تجعلك تصلى، هى التى تدفعك إلى

الحديث معه . إذن الكلام مع الله هو مجرد نتيجة للحب الموجود في القلب ، أو هو مجرد تعبير عن هذا الحب ...

* * *

فإذا لم يوجد هذا الحب في قلبك ، ألا تكون صلاتك مجرد كلام لا يدخل إلى حضرة الله ؟!

السنا نقول في صلواتنا « فلتدُنْ وسيلتي قدامك ، ولتدخل طلبتي إلى حضرتك » (مز ١١٩) مثال ذلك صلاة الفريسي الذي كانت صلاته أطول من صلاة العشار ، ومع ذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً مثلما خرج العشار !! (لوقا ١٨ : ١٤) . لماذا ؟ لأن صلاته لم تكن مقبولة ، إذ لم يكن فيها حب لله ، بل كان فيها حب للذات ومديح لها في قوله « إني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة » . كما لم يكن فيها حب للغير ، إذ في صلاته أذان العشار قائلاً « ولا مثل هذا العشار » .

* * *

إذن في الصلاة : الحب هو الأصل ، والكلام هو التعبير . كما أن اللسان فيها يتحدث ، كذلك القلب أيضاً يتحدث . ومشاعر الحب التي في القلب ، حتى بدون كلام ، تعتبر صلاة . أما كلام الصلاة بدون حب ، ليس هو صلاة ...

وما أجمل مثال داود النبي الذي يقول « كما يشواق الإبل إلى جداول المياه ، هكذا تشواق نفسي إليك يا الله » « عطشت نفسي إلى الله ، إلى الإله الحي » (مز ٤٢ : ١ ، ٢) . « يا الله أنت إلهي ، إليك أ بكر . عطشت نفسي إليك . يشواق إليك جسدي » (مز ٦٣ : ١) « متى أقف وأترأى أمام الله » « كنت أذكرك على فراشي ، وفي أوقات الأسحار كنت أرتل لك » (مز ٦٣) . « سبقت عيناي وقت السحر ، لأتلو في جميع أقوالك » (مز ١١٩) ... كل هذا حب واشتياق ...

* * *

بعكس ذلك كان الفريسيون ، الذين « لعلّة كانوا يطيلون صلواتهم » (مت ٢٣ : ١٤) .

صلوات طويلة ، ولكنها غير مقبولة ، لأنها خالية من الحب . وبالمثل أولئك الذين كانوا يصلون في الجامع ، وفي زوايا الشوارع لكي يراهم الناس (مت ٦ : ٥) . ماذا كان هدفهم من الصلاة سوى محبة المديح والمجد الباطل ، وليس محبة الله . إنها الذات

المريضة ، التي لا يوجد بينها وبين الله صلة ، حتى في وقت الصلاة !!

إن الله لا يريد الشفتين ، بل القلب (مت ١٥ : ٨) . وهو يقول باستمرار « يا ابني أعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) .

* * *

يريد قلبك في الصلاة ، عامراً بالحب نحوه ، ونحو قريبك .

لذلك قال « إن قدمت قربانك قدام المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولاً اصططح مع أخيك . وحينئذ تعالَ وقدم قربانك » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) . إنه لا يريدك أن تتقدم إلى المذبح بغير حب ، ولا يقبل قربانك بغير حب ...

* * *

لذلك اخلطوا كل أعمالكم بالحب . اخلطوا فضائلكم به .

إن كل عمل من أعمالك يخلو من الحب ، إنما يخلو من قيمته ومن أهميته . ولا يكون هو عمل الله فيك .

إن كان الله يعمل فيك ، فالمحبة تعمل فيك ، لأن الله محبة . حينئذ تكون كل أعمالك محبة ، كما قال الرسول « لتصر كل أموركم في محبة » (١ كو ١٦ : ١٤) . حتى مشاكلكم تحلونها أيضاً في محبة على قدر إمكانكم .

المحبة والعطاء

العطاء مثلاً ، يوزن بمقدار الحب الذي فيه .

ليس بكثرة المقدار ، إنما بكثرة الحب . والعطاء المادى الذى تقدمه ، يجب أن تقدم فيه حب ، يظهر في مشاعر قلبك ، وفي ملامح وجهك ، لأن المعطى السرور يحبه الرب (٢ كو ٩ : ٧) .

لأنه من الجائز أن إنساناً يعطى بدون رغبة ، وهو متضايق ، أو وهو عرج أو مضطر أو مضغوط عليه ، أو وهو غير مقتنع بأن يدفع . فهو يعطى وهو متذمر في قلبه ! ليس مثل هذا العطاء مقبولاً عند الله .

هناك فرق بين إنسان يعطى المساكين ، وإنسان يحب المساكين فيعطيههم .

هذا الذى يحبهم هو الأفضل ، حتى لو لم يكن له ما يعطيه... لأن الله ينظر إلى القلب قبل اليد... إن أجمل ما فى العطاء ، أن تشعر بلذة وأنت تعطى ، لا تقل عن فرح الذى تعطيه . إن الأم تشعر بفرح حينما يرضع طفلها منها . فهى تعطيه حباً قبل أن تعطيه لبناً ، أو هى تعطيه الأمرين معاً... كذلك من يعطى المحتاج عن حب ، وبحب ، ويفرح باعطائه .

وهنا يبدو الفارق بين الثراء الذى يعطى ، والمحبة التى تعطى .

إنك حينما تعطف على شخص ، إنما تشعر بلذة فى العطف عليه ، ربما أكثر من اللذة التى يشعر بها ذلك الشخص الذى نال العطف منك . فأنت تأخذ حينما تعطى ، كما يأخذ الذى تعطيه . قال أحد الأدباء : «سقيت شجيرة كوباً من الماء . فلم تقدم لى عبارة شكر واحدة . ولكنها انتعشت فانتعشت» .

المحبة والخدمة

هكذا الخدمة أيضاً : إن لم يدخلها الحب ، لا تكون خدمة .

السيد المسيح كانت معجزاته مخلوطة بالحب . فمثلاً فى معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين ، يقول الكتاب إنه «أبصر جمعاً كثيراً ، فتحنن عليهم وشفى مرضاهم» (مت ١٤ : ١٤) وأيضاً «فتحنن عليهم ، إذ كانوا كخراف لا راعى لها» (مر ٦ : ٣٤) .

وحتى حينما روى قصة السامرى الصالح ، دقق على هذه النقطة فقال «ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ، ولما رآه تحنن» (لو ١٠ : ٣٣) . إن هذه العواطف لها أهميتها عند الرب .

كثيرون خدمتهم فى الكنيسة مجرد نشاط ، خالية من الحب .

تشمل الكثير من العمل والانتاج ، والكثير من الإداريات والنظام ، وربما من الروتين . ولكن بلا حب...

بينما الخدمة في أصلها ، أنك تحب الله ، وملكوته . وتحب أبناء الله ، وتريد لهم أن يحبوا الله ، وأن يدخلوا ملكوته . لذلك تبذل كل جهدك لتقوم بعمل محبة نحوهم .

إن عطايَا الرب ومعجزات الشفاء ، كانت ممتزجة بالحب .

قبل إقامته لعازر من الموت ، قيل عنه «بكى يسوع» (يو ١١ : ٣٥) . وفي إقامة ابن أرملة ناين ، لما رأى هذه الأم الأرملة «تحن عليها وقال لها لا تبكى» (لو ٧ : ١٣) وفي شفاء الأبرص قيل «فتحن يسوع ومد يده ولمسه» (مر ١ : ٤١) وطهره . وفي شفاء الأعميين في أريحا ، قيل «فتحن يسوع ولمس أعينهما ، فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه» (مت ٢٠ : ٣٤) .

وما أجل ما قيل عن السيد المسيح ، إنه «أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى» (يو ١٣ : ١) .

وقال لهم «لا أعود أسميكم عبيداً... لكنى قد سميتكم أحباء» (يو ١٥ : ١٥) «كما أحبني الآب ، أحببتكم أنا . أثبتوا في محبتى» (يو ١٥ : ٩) . وقال للآب عنهم : «عرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم» (يو ١٧ : ٢٦) . وقال لهم عن رسالة الفداء التى جاء ليقوم بها «ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥ : ١٣) . كلام كله حب ، ونفهم منه هذه الحقيقة .

إن السيد المسيح على الصليب كان ذبيحة حب .

فتكلم عن الفداء ، إنه مات عنا . وأنه قد حمل خطايانا ، وأنه خلصنا . ولكن وراء كل هذا العمل ، كان الحب «أحب... حتى بذل» (يو ٣ : ١٦) ... إذن سبب التجسد الإلهى هو الحب ، وسبب الفداء أيضاً هو الحب . ويتحدث القديس يوحنا عن ذلك فيقول «فى هذا هى المحبة ، ليس أننا أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١ يوح ٤ : ١٠) ... ولذلك نحن نقابل حبه بحب . وهكذا قال «نحن نحبه لأنه هو أحبنا قبلاً» (١ يوح ٤ : ١٩) .

وكما كان المسيح ، ذبيحة حب نحونا ، هكذا كان الشهداء ذبيحة حب
نحو الله .

لقد قدموا حياتهم ذبيحة حب لله . أحبوه أكثر من العالم كله ، وأكثر من الأهل
والأقرباء . بل أحبوه أكثر من أنفسهم ، وفرحوا بالموت لأنه يقربهم إليه ، ليعيشوا معه
في الفردوس ثم في الملكوت إلى الأبد . كما قال القديس بولس الرسول « لى اشتهاه
أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) .

لا تظنوا أن الذين تقدموا للاستشهاد كانوا يلاقون الموت وهم خائفون أو
متضايقون . كلا ، بل كانوا فى محبتهم للقاء الله ، فرحين جداً بهذا اللقاء ، ومشتاقين
إليه . كانوا يذهبون إلى ساحة الاستشهاد وهم يرتلون فى فرح . وأثناء سجنهم ، حولوا
السجون إلى معابد ، ترتفع منها أصوات الترتيل والتسبيح والصلاة .

حتى أن أحد الشهداء قبل السلاسل التى قيدوه بها ...

وشهيد آخر كان يصل طالباً البركة للجلاد الذى سيقطع رأسه ... ولعلمهم أخذوا
هذا الدرس عن السيد المسيح الذى حينما اقترب إلى الجلجثة ، قال قد أتت الساعة
ليتمجد ابن الإنسان » (يوحنا ١٢ : ٢٣) « الآن تمجد ابن الانسان ، وتمجد الآب فيه »
(يوحنا ١٣ : ٣١) ... وقيل عنه فيما تحمله من آلام واهانات فى وقت الصلب « من أجل
السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً بالحزى » (عب ١٢ : ٢) .



البَابُ الشَّامِلُ

مَحَبَّةُ اللَّهِ لَنَا وَلِكُلِّ الْخَلِيقَةِ

- الفصل الأول : محبة الله لنا
الفصل الثاني : محبة الله لمُتَدَبِّسِيهِ
الفصل الثالث : اهتمامه حتى بالأشياء الصغيرة
الفصل الرابع : محبة الله في شَرَائِعِهِ

الفصل الأول

محبة الله لنا

عناصر هذا الفصل :

- ١ - محبة الله الخالق .
- ٢ - محبة الله الراعي .
- ٣ - محبة الله الأب .
- ٤ - ألقاب أخرى للمحبة .
- ٥ - سكنى الله قينا .
- ٦ - محبة الله صانع الخيرات .
- ٧ - محبة الله على الصليب .
- ٨ - محبة الله المتحنن .
- ٩ - محبة الله الغفور .
- ١٠ - اهتمام الرب بالمحتاجين إلى الحب .
- ١١ - الله المحب يستظم المحبين .

يكفى أن المحبة هي أحد أسماء الله (١٦: ٨) ... وقد أظهر الله محبته للبشر بأنواع وطرق شتى، مما لست أستطيع أن أشرحه، لأن محبة الله غير محدودة. ومهما كتبنا عنها فكتابتنا محدودة. لذلك أوجز الشرح فأقول:

مَحَبَّةُ اللَّهِ الْخَالِقِ

ظهرت محبة الله أولاً في الخلق . لماذا ؟ وكيف ؟

منذ الأزل كان الله وحده، وكان مكثفياً بذاته. ولكنه لم يشأ أن يبقى وحده. ومن أجل محبته لنا قبل أن نوجد، شاء فأوجدنا. ولم تكن شيئاً جديداً بالنسبة إليه، فالله لا يجد عليه شيء. إنما كنا في عقله فكرة، وفي قلبه مسرة، قبل أن يكون لنا وجود مادي فعلى ... فكان وجودنا هو ثمرة حبه وثمره كرمه.

ومن دلائل محبة الله للإنسان، أنه خلقه في اليوم السادس .

أقصد أنه خلقه بعد أن خلق كل شيء من أجله، حتى لا يكون معوزاً شيئاً من أعمال كرامته. خلق له السماء سقفاً، ومهد له الأرض، لكي يمشى عليها. خلق له الطعام الذي يأكله، والماء الذي يشربه، والهواء الذي يستنشقه، والحيوان الذي يستخدمه أو يؤنسه. خلق الله النور: الشمس لضياء النهار، والقمر والنجوم لضياء الليل. ووضع لكل ذلك قوانين الفلك. وضبط البحار والأنهار. وأخضع له طبيعة الحيوان ... وأخيراً خلق الإنسان بعد أن أعد له كل شيء. وما أجل تأملاتنا في ذلك في القداس الغريغوري، تحت عبارة «من أجل ...».

ما أجل أن نتأمل كل هذا فنقول :

لو أن الملائكة سألوا الله قائلين «لماذا يارب تخلق الشمس والقمر والنجوم؟»

لأجابهـم «من أجل الإنسان حبیبی، والذي سأخلقه فيما بعد». وبنفس الإجابة يجيبهم عن خلقه للأرض والثمار والأزهار والأطيار، والطبيعة الجميلة ... كلها من أجل راحة الإنسان حبیبی ...

لذلك نستطيع أيضاً أن نقول : إن عطايا الله لنا ، سبقت خلقه إيانا .

من دلائل محبة الله لنا أيضاً في الخلق ، أنه خلقنا على صورته ومثاله .

إذ قال في ذلك «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) .

على صورته من حيث أنه ذات وعقل وروح . ومن حيث أن له روحاً خالدة، ومن حيث النقاوة والطهارة وحب الخير، ومن حيث القيادة والسلطة .

فمن محبة الله للإنسان حينما خلقه ، أنه منحه السلطان ومنحه البركة أيضاً .

وفي ذلك يقول سفر التكوين «وباركهم الله، وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض» (تك ١ : ٢٨) . وهكذا صار الإنسان وكيلاً لله على الأرض، وسيداً لكل الخليقة الأرضية . وبنفس هذه البركة والسلطة بارك الله أبانا نوحاً وبنيه بعد الطوفان ورسو الفلك (تك ٩ : ١ ، ٢) .

إن كان الإنسان قد فقد بعضاً من هذه السلطة الآن ، فهذه نتيجة للخطية . ولكنه في البدء لم يكن هكذا ...

ومن محبة الله في خلق الإنسان ، أنه وضعه في جنة :

وفي ذلك يقول سفر التكوين «وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله» «وأخذ الرب آدم، ووضع في جنة عدن» (تك ٢ : ٨ ، ١٥) . وكانت الجنة مليئة بكل أنواع الثمار، وجميلة جداً، يكفي أنها جنة .

ولم يكتف الله بهذا ، بل خلق لآدم معيناً نظيره .

خلقها من جنبه ، وغرس بينه وبينها حباً « فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ، ولحم من لحمي . هذه تُدعى امرأة ، لأنها من إمري أخذت » (تك ٢ : ٢٣) .

وكان خلق حواء لآدم يشمل لوناً آخر من محبته للبشرية . إذ خلقهما ذكراً وأنثى (تك ١ : ٢٧) . لكي يكثروا ويملأوا الأرض . ويكون هناك نسل فيما بعد ، كعدد نجوم السماء ورمل البحر ، لا يعد من الكثرة (تك ٢٢ : ١٧) .

حُبَّةُ اللَّهِ الرَّاعِي

وحتى بعد سقطة الإنسان الأول لم يتخلَّ الله عن محبته .

ففيما هو يعاقب ، مزج العقوبة بوعد بالخلاص . فقال « إن نسل المرأة يسحق رأس الحية » (تك ٣ : ١٥) . حقاً كما نقول في القداس الغريغوري « حوّلت لي العقوبة خلاصاً » .

ولم يلعن الله آدم وحواء كما لعن الحية (تك ٣ : ١٤) ، وإلا كانت اللعنة قد أصابت البشرية كلها .

وحتى عندما عاقب الله قايين ، لم يتخلَّ الله عن رأفته ، فلما قال له قايين « إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ، فيكون كل من وجدني يقتلني » فقال له الرب « كل من قتل قايين ، فسبعة أضعاف ينتقم منه » . وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده (تك ٤ : ١٤ ، ١٥) .

ومن محبة الله للإنسان رعايته بالناموس والأنبياء .

فلما سار الإنسان في طريق الضلال ، « وقال الجاهل في قلبه ليس إله » (مز ١٤ : ١) . وفسد البشر جميعاً ، وإذا « ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٣) . بل حتى ضمايرهم اظلمت ولم تعد تهديهم ، أرسل الله لهم الأنبياء لكي يبلغوهم صوت الله وأوامره . كما زودهم بالوحي الإلهي وبالشرعة المكتوبة . بل أن أول لوحين للشرعة ، كانا مكتوبين بأصبع الله « واللوحان هما صنعة الله ، والكتابة

كتابة الله منقوشة على اللوحين» (خر ٣٢ : ١٦) .

واستمر الله يرسل الأنبياء لهداية الناس ، حتى بعد أن تركوا عهده ، ونقضوا مذبحة ، وقتلوا أنبياءه بالسيف (١ مل ١٩ : ١٤) . وحتى بعد أن عبدوا العجل الذهبي (خر ٣٢) وعبدوا الأصنام فترات طويلة .

ومن محبة الله للإنسان أنه كان الراعى الصالح له .

كما تغنى داود النبى فى المزمور قائلاً « الرب يرعانى فلا يعوزنى شىء . فى مراعى خضر يربضنى . إلى ماء الراحة يوردنى . يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر» (مز ٢٣) .

وقال الرب فى سفر حزقيال النبى « أنا أرعى غنمى وأربضها . يقول السيد الرب - وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح ..» (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) . بل أن الرب تكلم بشدة ضد الرعاة الذين يرعون أنفسهم ، وقد أهملوا غمه وخرافه ، فقال « هأنذا على الرعاة ، وأطلب غنمى من يدهم ، وأكفهم عن رعى الغنم ، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد ، وأخلص غنمى من أفواههم ، فلا تكون لهم مأكلاً» (حز ٣٤ : ١٠) . وفى العهد الجديد يقول السيد الرب « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠ : ١١) . « أنا هو الراعى الصالح ، وأعرف خاصتى ، وبخاصتى تعرفنى» « خرافى تعرف صوتى فتتبعنى ، ولن تهلك إلى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدي» (يو ١٠ : ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨) .

ورعاية الرب لشعبه شاملة تشمل كل تفاصيل الحياة :

فهو يرعاهم مادياً وروحياً . ويخلصهم من أيدي أعدائهم . كما قال موسى النبى «قفوا وانظروا خلاص الرب : الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وقصص أمثال هذا الخلاص التى تظهر محبة الرب كثيرة فى سفر القضاة .

ومحبة الرب فى رعايته المادية وأولاده ، تظهر فى معجزتى المن والسلوى ، وفى إرساله الطعام لإيليا النبى عند نهر كريت أثناء المجاعة ، فى عبارة مؤثرة قال له فيها

«وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك» (١مل ١٧ : ٤) . بل تظهر محبة الرب العجيبة في هذا الأمر، إذ أنه «يشرق شمس على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت ٥ : ٤٥) . بل أنه يعطى البهائم قوتها، وفراخ الغربان التى تدعوه (مز ١٤٦) . ويعطى طعاماً لكل دودة تدب تحت حجر.. ما أعجب محبته للكل وما أعجب خنانه .

ورعايته الروحية تشمل قصة الخلاص كلها .

وفى ذلك قال بولس الرسول عن الله فى إرساله الخدام للعناية الروحية بالناس «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح . إلى أن تنتهى جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله...» (أف ٤ : ١١-١٣) . بل قال أيضاً عن الملائكة «أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة، مرسله للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤) .

أما عن محبة الله فى إرسال الملائكة لخدمة البشر ولعونتهم، فهى موضوع طويل يدل على عمق محبة الله...

يحدثنا عنه دانيال النبى فى الجب وهو يقول «إلهى أرسل ملاكه، فسد أفواه الأسود» (دا ٦ : ٢٢) . ويقول أبونا يعقوب أبو الآباء «الملاك الذى خلصنى من كل شر» (تك ٤٨ : ١٦) . ملاك آخر انقذ بطرس الرسول من السجن (أع ١٢ : ٧)، وملاك ضرب جيش سنحاريب وخلص الشعب منه (٢مل ١٩ : ٣٥) . حقاً، كما يقول الكتاب «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز ٣٤ : ٧) .

ومن محبة الرب أيضاً يرسل ملائكة البشارة والفرح .

ملاك يبشر العذراء بالحبل بالمسيح (لو ١ : ٢٦، ٣٨) . وملاك يبشر زكريا بيوحنا المعمدان (لو ١ : ١١-٢٠) . وملاك يبشر الرعاة بميلاد المسيح (لو ٢ : ٨-١٤) . وملاك يبشر يوسف النجار (مت ١ : ٢٠، ٢١) ... وما أكثر الملائكة الذين بشروا

النسوة بالقبامة... وملائكة البشرى كثيرون في الكتاب المقدس، يرسلهم الله من محبته حاملين أخباراً مفرحة.

حُبِّةُ اللَّهِ الْآبِ

ومن محبة الله لنا، أنه دعانا أبناء له.

وفي هذا يقول القديس يوحنا الرسول «انظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعى أولاد الله» (١يو ٣: ١). وهكذا نصل باستمرار ونقول «أبانا الذي في السموات» (مت ٦: ٩). وتكرر عبارة «أبوكم السماوى» مرات عديدة في العظة على الجبل. وترتبط بالكمال المطلوب منا حيناً (مت ٥: ٤٨). وبالمغفرة حيناً آخر (مت ٦: ١٤). وبالعمل في الخفاء أحياناً (مت ٦: ٤، ٦، ١٨). وترتبط بعناية الله أيضاً إذ يقول «فكم بالخرى أبوكم الذى في السموات يهب خيرات للذين يسألونه» (مت ٧: ١١). «لا تهتموا قائلين ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس... لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت ٦: ٣١، ٣٢). ما أعمق أن نعلم باستمرار على محبة هذا الآب السماوى.

* * *

ومحبة الله دعتنا أبناء أيضاً حتى في العهد القديم.

فهو ينادى كلاً منا قائلاً «يا ابنى أعطنى قلبك، ولتلاحظ عينك طرقى» (أم ٢٣: ٢٦). ويقول الوحى في قصة الطوفان قائلاً عن نسل شيث «رأى أولاد الله بنات الناس أنهن حسنات» (تك ٦: ٢). ويعاتب الله شعبه قائلاً «ريبت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا على» (أش ١: ٢). ويعاتب في سفر ملاخى قائلاً «الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتى؟ وإن كنت سيداً، فأين هيبتى؟» (ملا ١: ٦).

ويناديه الشعب في سفر اشعياء النبى قائلين «تطلع من السموات، وانظر من مسكن قدسك... فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا ابراهيم... أنت يارب أبونا، ولينا، منذ الأبد اسمك» (أش ٦٣: ١٥، ١٦). وأيضاً «والآن يارب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا» (أش ٦٤: ٨).

إن كلمة أب تحمل مشاعر عميقة لا تحصى .

تحمل معانى الحب والحنان ، والرعاية أيضاً . وتحمل معانى الرأفة والإشفاق أيضاً . وهكذا يقول داود النبي فى المزمور « كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه . لأنه يعرف جبلتنا ، يذكر أننا تراب نحن » (مز ١٠٣) . وعبرة الابوة تعنى أنه يعاملنا كأبناء وليس كعبيد . وتعنى أيضاً أن لنا ميراثاً فى السماء كبنين . وتعنى كذلك أنه يجب علينا أن نبادل هذا الأب حباً بحب . كما قال القديس يوحنا الرسول « نحن نحبه ، لأنه هو أحبنا أولاً » (١ يو ٤ : ١٩) ... وإلا فإننا نستحق توبيخ الرسول حينما قال « إن كنتم تتحملون التأديب ، يعاملكم الله كالبنين . فأى ابن لا يؤدبه أبوه . ولكن إن كنتم بلا تأديب ... فأنتم نفعل لا بنون » (عب ١٢ : ٧ ، ٨) .

ألقاب أخرى للمحبة

ما أكثر أيضاً ألقاب الحب التى يلقبنا بها الله .

ليس فقط أبناء . بل يشبهنا أيضاً بالعروس . ويقول القديس يوحنا المعمدان عن المسيح والكنيسة « من له العروس فهو العريس . أما صديق العريس (عن نفسه) الذى يقف ويسمعه ، فيفرح فرحاً » (يو ٣ : ٢٩) . نفس التشبيه يقوله السيد الرب فى مثل العذارى الحكيمات اللاتى يسهرن فى مجىء العريس (مت ٢٥) . ونفس التشبيه فى (أف ٥ : ٢٥ : ٣٣) . وعن هذا التشبيه فى الحب ورد سفر كامل فى الكتاب هو سفر نشيد الأناشيد عن العلاقة بين الله والنفس البشرية .

كذلك يشبه علاقتنا به بالعلاقة بين الجسد والرأس .

فالمسيح هو رأس الكنيسة ، وهو مخلص الجسد (أف ٥ : ٢٣) . وكلنا أعضاء فى جسده ... أو هناك تشبيه آخر مماثل ، أنه الكرمة ونحن الأغصان . والفصن الثابت فيه ، أى فى الكرمة ، هو الذى يأتى بشمر (يو ١٥ : ٥) . ولذلك كله - من محبته لنا - دعانا خاصته . وقيل عنه إنه أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) .

ومن محبته لنا دعانا هياكل لروحه القدوس .

فقال القديس بولس الرسول « أما تعلمون أنكم هياكل الله ، وروح الله يسكن فيكم .. لأن هياكل الله مقدس الذي أنتم هو » (١ كور ٣ : ١٦ ، ١٧) . وكرر ذلك في (١ كور ٦ : ١٩) .

سكنى الله فينا

من محبة الله لنا : سكناه في قلوبنا .

الله الذى يقول « يا ابنى اعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . إنه ينظر إلى قلب كل واحد منا ، وإلى نفس كل واحد منا ، ويقول « ههنا هو موضع راحتى إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى اشتيته » (مز ١٣٢) . قيل عنه فى تجسده أنه : لم يكن له موضع يسند فيه رأسه (لو ٩ : ٥٨) .

أحسن موضع يسند فيه الرب رأسه ، هو القلب النقى ...

هو القلب الذى يحب الله ، ويحب أن يكون الله فى أعماقه ... من محبة الله لنا ، إنه يقف على باب قلب كل منا ، ويقرع لكى يفتح له (رؤ ٣ : ٢٠) . يقول لكل نفس من نفوسنا « افتحى لى يا اختى ، يا حبيبتى ، يا كاملتى » (نش ٥ : ٢) . وإن تاباطأت النفس فى أن تفتح له ، يظل منتظراً قارعاً على أبواب قلوبنا ، حتى يمتلئ رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل (نش ٥ : ٢) .

* * *

الله المحب الذى لا تسعه السموات ولا سماء السموات (١ مل ٨ : ٢٧) ... يريد أن يسكن فينا .

إن أعظم سماء يحب الرب أن يسكنها ، هى قلبك . وأعظم هياكل يوجد فيه هو قلبك . بل أعظم عرش يجلس عليه هو قلبك ، كما قيل فى قصيدة « همسة حب » : فى سماء أنت حقاً إنما كل قلب عاش فى الحب سماك عرشك الأقدس قلب قد خلا من هوى الكل فلا يهوى سواك ما بعيد أنت عن روحى التى فى سكون الصمت تستوحى نذاك

نعم ، نحن هياكل الله ، والله يسكن فينا (١كو٣ : ١٦) . إنه يقول « إن أحبنى أحد ، يحفظ كلامي ، ويحبه أبي . وإليه نأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يو١٤ : ٢٣) .
أى الأب والإبن يسكنان فيك ، وأنت أيضاً مسكن للروح القدس (١كو٣ : ١٦) ...
فتكون مسكناً للثالوث القدوس ... حقاً ، ما أعمق محبة الله لنا . وما أسمى القلب المحب لله .

هذا القلب الذى يسكنه الله ومحبة الله ، هو - بدون مبالغة - أسمى من السماء التى فوقه !!

ألم يقل الرب فى العظة على الجبل « السماء والأرض تزولان » (مت ٥ : ١٨)
(رؤ٢١ : ١) ... نعم هى تزول ، ولكن قلوبكم التى يسكن فيها الله ستبقى ! ويبقى
الله ساكناً مع الناس ، الله وسط شعبه (رؤ٢١ : ٣) ... هذا الذى قال لنا « ها أنا
معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) .

نعم ، هذا هو عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣) .

من نحن يارب ، حتى تكون معنا ؟! نحن التراب والرماد ، والمزدرى وغير الموجود
(١كو١ : ٢٨) وكأن الله يقول : أنا معكم كل الأيام ، لأننى أحبكم ، وأحب أن
أكون فى وسطكم . وقد وعدتكم من قبل إنه « حيثما اجتمع إثنان أو ثلاث باسمى ،
فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . نعم إن مسرتى فى بنى البشر . أنا أحب
أن أسكن فيهم ... أنتم سمائى الخالدة . أنتم عرشى الذى أجلس عليه ... أنتم
ملكوتى !

ألم يقل الكتاب « ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢١) .

نعم ، داخل هذه القلوب ، افتح قلبك ، تجد داخله ملكوت الله ، تجد محبة الله ...
إنه الله الذى يقول « يا ابنى اعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . عجيب أن يقول الرب
« اعطنى قلبك » !

من أنا يارب حتى أعطيك ؟! أنت مصدر كل غنى . أنت الذى تشيع كل حى

من رضاك . أنت مالك الكل ، الذى لك الأرض وما عليها ، المسكونة وكل الساكنين فيها (مز ٢٤ : ١) ... أنت يارب الكائن الوحيد الذى لا يحتاج إلى شيء ... ومع ذلك :

سأعطيك يارب قلبى ، كما طلبت . ولكن لكى تقدسه وتنظفه وتنظيره ، وتسكن فيه ، فيتبارك بك ، ويكون لك ...

خذه يارب ، واسند فيه رأسك ... أنت الذى خلقتة . وأنت الذى أعطيتنى إياه ، وأوصيتنى قائلاً « فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مغارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) . ليتك أنت تحفظه ، هذا الذى أعطيتنى إياه ، ليكون لك . وحينما أقدمه موضعاً لسكنائك ، أقول لك كما قال الشعب فى القديم ، حينما تبرعوا لبناء بيت للرب :

« منك الجميع ، ومن يدك أعطيناك » (أى ٢٩ : ١٤) .

مبارك أنت يارب فى محبتك ، حينما تقبل من أيدينا شيئاً . ومبارك أنت فى تواضعك حينما تقول « يا ابنى أعطنى » مثلما قلت للمرأة السامرية « أعطينى لأشرب » (يو ٤ : ٧) ... وأنت الذى عندك الماء الحى ، الذى كل من يشرب منه ، لا يعطش إلى الأبد ... (يو ٤ : ١٤) .

حقاً يارب ، ليس لك شبيه بين الآله ، كما قال داود عبدك « من مثلك ؟ » (مز ٨٩ : ٦ ، ٨) .

أنت يارب حنون جداً ، وعطوف جداً ، ومحبتك فوق الوصف ، وفوق الشرح ، لا يستطيع لسان أن يعبر عنها ...

حبة الله صانع الخيرات

من حبة الله ، أنه صانع الخيرات لنا . قيل عنه إنه يحول بصنع خيراً ... (أع ١٠ : ٣٨) .

إنه يعطى الخير للكل ، حتى لأعدائه ، وللذين ينكرون وجوده . وعطاياه كلها نابعة من حبه ومن كرمه وجوده . مرت فترة كانت فيها الوثنية تسود العالم ، ومع ذلك لم يمنع الله خيره عن العالم ... وعندما عرفته هذه الأمم الوثنية ، كان هو الذى منحهم

الأيمان به ، كمبادرة من عنده . مثلما فعل مع شعب نينوي {يون ٣} . ومثلما فعل مع كثيرين بمعجزاته وآياته... وأيضاً بأحساناته الكثيرة . هذه النبي تغني بها داود النبي فقال :

(باركي يا نفس الرب ، ولا تنسي كل حسناته) (مز ١٠٣ : ٢) .

{باركي يا نفس الرب . وكل ما في باطني ليبارك أسمه القدوس} {الذي يغفر جميع ذنوبك الذي يشفي كل أمراضك . الذي يغذي من حفرة حياتك . الذي يكللك بالرحمة والرفقة . الذي يشبع بالخير عمرك علامة فيتجدد مثل النسر شبابك } (مز ١٠٣ : ١-٥) .

يغفر جميع ذنوبك في المصودية . ويشفي كل أمراضك الروحية في اعترافك وتناوذك وفي رعايته الروحية لك . ويغذي من الحفرة حياتك ، لأنه بالفداء ينقذك من الذهاب إلى الجحيم . ويكللك بالرحمة والرفقة ، حينما يمنحك إكليل الحياة وإكليل البر . ويشبع بالخير عمرك في الأبدية السعيدة والنعيم الأبدى . فيتجدد مثل النسر شبابك ...

ما أكثر حسنات الله إلي الذين يحبونه ويحبهم ..

يوحنا الرسول كان يتكى في حضنه ، ويسمع نبضات قلبه . ومريم أخت مرثا كانت تجلس عند قدميه . وتسمع كلمات الروح من فمه . وكل الذين اتصلوا به . كأنه ينالون من حنانه بل أنه قال للكنيسة كلها {هوذا علي كفي نقشتك } {أش ٤٩ : ١٦} . وقال لتلاميذه ..{أما أنتم ، وحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاه } (مت ١٠ : ٢٠) .

وهكذا نرى من محبة الله البشرية ، حفظه الدائم لها وعنايته الدائمة لها .

وهكذا يقول المزمور في المزمور {لولا أن الرب كان معا حين قام الناس علينا . لا ابتلعونا ونحن أحياء } {نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ أنكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذي صنع السماء والأرض } (مز ١٢٤) . ويركز العناية في الله وحده فيقول أن ثم بين الرب البيت . فباطلا يتعب

البنائون. وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧).

ويطمئن المرتل نفسه من واقع اختباره مع الله ومحبه، فيقول «الرب عونى، فلا أخشى ماذا يصنع بى الإنسان. الرب لى معين، وأنا أرى بأعدائى» «أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى، وباسم الرب قهرتهم» «دُفعت لأسقط والرب عضدنى. قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً» (مز ١١٨).

ما أكثر ما فى المزامير من أناشيد عن معونة الله ورعايته ومحبه. وما أكثر خبرات داود وخبرات القديسين.

اختبر داود معونة الله أمام جليات الجبار. لذلك قال له مسبقاً «أنت تأتى إلى سيف وبرمح وبترس، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود» وقال له أيضاً «لأن الحرب للرب» (١ صم ١٧ : ٤٥ : ٤٧). واختبر داود كذلك حفظ الله له فى كل مؤامرات شاول الملك ضده.

الثلاثة فتية اختبروا محبة الله وحفظه، حينما ألقوهم فى أتون النار (دا ٣). واختبر دانيال محبة الله وحفظه، حينما ألقوه فى جب الأسود. كذلك أيضاً محبة الله وحفظه بطرس الرسول وهو فى السجن (أع ١٢). واختبرها بولس الرسول فى سجن فيلى (أع ١٦). وأيضاً حينما قال له الرب «أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع ١٨ : ١٠). واختبرها يعقوب أبو الآباء حينما قال له الرب «ها أنا معك، واحفظك حينما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض» (تك ٢٨ : ١٥).

وقصص محبة الله وعنايته بأولاده، لا تدخل تحت حصر، سواء فى الكتاب المقدس أو فى تاريخ الكنيسة.

بمجرد هذه النقطة وحدها فى موضوعنا، لو أننا استقصنا فى الحديث عنها، لاحتاجت إلى كتاب خاص. على أن محبة الله وعنايته، لم تشمل القديسين فقط، إنما كانت تشمل الكل كما ذكرنا. ومعجزات الشفاء وإخراج الشياطين التى أجراها الرب، كانت للأمم أيضاً وليست فقط لأبناء إبراهيم.

والله في أعمال محبته وحنانه ، لم يضع أمامه على الدوام مبدأ المستحقين وغير المستحقين ...

لو كان الله لا يعتنى إلا بالقدسين فقط ، ولا يحب سواهم ، هلكننا جميعاً ... !
صدقنى ، لو أن الله أمسك في يده هذا الميزان ، ميزان الاستحقاق ، وأعطى فقط من يستحق ، لما وجد من يستحق ... فكلنا خطاة . « وكلنا كفنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه » (أش ٥٣ : ٦) . فلو كان الله يعطى المستحقين فقط ، ما أعطى « الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (مز ١٤) .

وقد علمنا أن نفضل هكذا مثله ، فقال « إن أحببتهم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟ أليس المشارون أيضاً يفعلون هكذا » « أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيك . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ٤٤ - ٤٦) .

وهذا المبدأ الإلهى ، علمه الرب حتى للطبيعة .

تأملوا زنايق الحقل ، الورود والزهور : إنها لا تعطى رائحتها الزكية للأبرار فقط وللمستحقين ، بل لكل .. الكل يستنشق عبيرها ، حتى للأشرار ... إنها تعطى من رائحتها لكل أحد ، حتى للذى يقطعها ويفرکہا بيده ، تظل رائحتها - حتى بعد أن تلفظ أنفاسها - لاصقة بيده . كذلك الشمس تعطى من حرارتها وضوئها لكل أحد ، والشجرة تعطى من ظلها لكل أحد ، والينبوع يعطى من مائه لكل أحد . ولا تفريق بين مستحق وغير مستحق ...

حُبَّةُ اللَّهِ عَلَى الصَّلِيبِ

إن الله قد أحبنا ونحن بعد خطاة . وفداناً بدمه ، ونحن أموات بالخطايا (رو ٨ : ٥) (أف ٢ : ٤ ، ٥) .

ترى من فينا كان مستحقاً لدمه الكريم ؟ !

لذلك فأنا في كل مرة أتناول من السرائر المقدسة ، أقول في صلاتي « ليس يارب من أجل استحقاقى ، إنما من أجل احتياجى » . وعلمت هذه الصلاة لكثيرين ...

إن الله يعطى غير المستحقين ، على الأقل لثلاثة أسباب : أولاً لأن من طبيعته الحب والعطاء . وثانياً من أجل احتياجهم . وثالثاً ، لعله بالحب يجذبهم إليه . فتؤثر فيهم محبته ، على الرغم من عدم استحقاقهم .

الرب يهتم بكل أحد ، وفي كل وقت ...

حتى وهو على الصليب ، كان يهتم بغيره ، ويعطى .

تصوروا وهو متعب جسدياً إلى أقصى حد ، وقد مزقت الشياطين جسده ، والشوك أنزف الدم منه ، مع الإرهاق الزائد ، من الجلد وحمل الصليب ودق المسامير في يديه ورجليه ... مع كل ذلك في عمق محبته ، يفكر في صاليه ، ويطلب لهم المغفرة ، ويقدم عنهم عذراً ، ويقول في محبة عجيبة فوق الوصف :

« يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لوقا : ٢٣ : ٣٤) . إن آلامه التي لا تطاق ، لم تمنع محبته من التفكير في صاليه وطلب المغفرة لهم ، بل من أجل هذه المغفرة ، قد أسلم ذاته للصليب .

وبنفس الحب - وهو على الصليب - منح اللص التائب وعداً بأن يكون معه في الفردوس في نفس اليوم ... (لوقا : ٢٣ : ٤٣) . وهكذا أراح نفس هذا اللص ، قبل أن يلفظ اللص أنفاسه .

وبنفس الحب ، وبنوع آخر ، فكر في أمه العذراء القديسة ، وفي ابوائها والعناية بها ، فكلف بذلك تلميذه يوحنا الحبيب «ومن تلك الساعة ، أخذها التلميذ إلى خاصته » (يوحنا : ١٩ : ٢٧) .

كان بمحبته لا يفكر في ذاته ، وإنما في راحة غيره . فالمحبة لا تطلب ما لنفسها (١ كورنثوس : ١٣ : ٥) . بل تنكر ذاتها .

ليس غريباً إذن أن المهاتما غاندى ، الزعيم الروحي للهند- كما ذكر المؤرخ فيشر عنه- لما زار فرنسا ، ورأى أيقونة المسيح المصلوب ، بكى ...

كان الناس يرون المسيح من قبل ، محبة تتحرك على الأرض . وظلت المحبة فيه تتحرك بأكثر شدة على الصليب ، حتى عندما كان جسده بلا حركة مسمراً بالسامير.

بل في الطريق إلى الصليب أيضاً ، كانت محبته أيضاً تعمل من أجل الغير، المستحقين وغير المستحقين ...

فقد تخنن على ملخس عبد رئيس الكهنة ، لما استل بطرس سيفه ، وضربه فقطع أذنه ... أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده . أما عن العبد ، فإن الرب «لمس أذنه وأبرأها» (لوقا ٢٢ : ٥٠ ، ٥١) .

أما عن تلاميذه ، الذين خافوا في وقت القبض عليه ، فقال عنهم لمن جاءوا يقبضون عليه «أنا هو . إن كنتم تطلبونني ، فدعوا هؤلاء يذهبون» (يو ١٨ : ٨) . وهكذا سهل لهم الحرب في سلام .

محبة الله المتحنن

محبة الله لنا ، محبة مملوءة عاطفة .

لعل من أعمق مظاهرها ، تلك العبارة المؤثرة التي قيلت في معجزة إقامة لعازر من الموت ، أعنى قول البشير «بكى يسوع» (يو ١١ : ٣٥) . إنها كلمة تدل على عمق الشاعر، عمق الحنان، عمق القلب ...

وتكرر نفس التعبير بالنسبة إلى أورشليم التي كان ينتظرها الخراب بعد سنوات . وقد قيل في ذلك «وفيما هو يقترب من المدينة بكى ليها» وقال «ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك ... ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر» (لوقا ١٩ : ٤١ - ٤٤) .

* * *

ومثل عبارة (بكى) في إظهار محبة الرب لأولاده ، كذلك عبارة (تحنن) .

ومن أجل مواقفها قول الإنجيل «ولما رأى الجموع تحنن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين ، كغنم لا راعي لها» (مت ٩ : ٣٦) . لذلك قال لتلاميذه من أجلهم

«أطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فلة لحصاده» ...

ويكرر معلنا متى البشير هذه العبارة في شفاء المرضى ، وفيقول عن الرب إنه «تحنن عليهم وشفى مرضاهم» (مت ١٤ : ١٤) . إذن كانت معجزات الشفاء ناتجة عن حنان قلب وحب . وهكذا يقول أيضاً في شفاء الأعميين «فتحنن يسوع ولس أعينهما . فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه» (مت ٢٠ : ٣٤) . وفي إقامة ابن أرملة نايين - وكانت أمه تبكى ، وهو وحيد أمه «فلما رآها الرب تحنن عليها ، وقال لها لا تبكى» وأقام الشاب «ودفعه إلى أمه» (لو ٧ : ١٢ - ١٥) .

* * *

حاولوا يا أخوتي أن تتبعوا كلمة (تحنن) في معاملات الرب . بل في العهد القديم وردت كثيراً عبارة «الرب حنان ورحيم» (مز ١١١ : ٤) (مز ١٤٥ : ٨) ... وكما يقول عنه نحميا إنه «إله غفور ، حنان ورحيم ، طويل الروح» (نح ٩ : ١٧) ويقول عن مغفرته للشعب وعدم إفنائهم على الرغم من صلابه رقابهم «ولكن لأجل مراحك الكثيرة لم تفنهم ولم تتركهم ، لأنك إله حنان ورحيم» (نح ٩ : ٣١) .

* * *

من محبة الله لنا أيضاً أنه ينادينا بأسمائنا .

فيقول «أعرف خاصتي ، وخاصتي تعرفني» «خرافى تسمع صوتى ، وأنا أعرفها فتتبعنى ، ويقول أيضاً إن «الخراف تسمع صوته ، فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها» (يو ١٠) .

جميل أن الله يعرف كل منا باسمه ، ويناديه باسمه ويقول لتلاميذه «افرحوا بالحرى أن أسماءكم كُتبت في السموات» (لو ١٠ : ٢٠) .

وجميل أيضاً أننا نرى في الكتاب سفرأ اسمه سفر العدد ، فيه يحصى الله أولاده ويكتبهم بأسمائهم . كذلك في سفر أخبار الأيام نراه يكتب الأسباط وتفرعاتها بالأسماء (١ أى ٩ - ١) ... ليس أحد غائباً أمامه . وإن غاب أحد يبحث عنه حتى يجده ، ويحمله على منكبيه فرحاً (لو ١٥ : ٥) .

* * *

ومن محبة الله لنا ، أنه جعلنا واحداً معه .

فيقول {أنتموا في وأنا فيكم} {يو ١٥ : ٤} كما يثبت الغصن في الكرمة . ويقول للآب {أنت أيها الآب فسي . وأنا فيك . ليكونوا هم أيضا واحدا فينا} {يو ١٧ : ٢١} . ويقول أيضا {أنا فيهم ، وأنت في . ليكونوا مكملين إلي واحد} {يو ١٧ : ٢٣}

ومن محبته أنه اعتبرنا كشخصه .

فلما اضطهد شاول الطرسوسي الكنيسة ، قال له الرب {لماذا تضطهدينني ؟} {أع ٩ : ٤} . وعن الفقراء قال {مهما فعتصموه بأحد أخوتي هؤلاء الصغار ، فيبي قد فعلتم} {مت ٢٥ : ٤٠} لذلك قال عنهم {كنت جوعانا فأطعتموني} {مت ٢٥ : ٣٥} .

وقال {من يقبلكم يقبلني} {مت ١٠ : ٤٠} .

ومن محبة الله أيضا الدالة العجيبة بينه وبين أولاده .

ومن أمثلتها أنه قبل أن يحرق سادوم {قال الرب هل أخفى عن عهدي إبراهيم ما أنا فاعله ؟} وأخبره بما سيفعله ، وقبل أن يدخل إبراهيم معه في حوار ، حتى أن يقول له {حاشه لك أن تفعل مثل هذا الأمر ، أن تميت النار مع الأثيم ... أبيان الأرض كلها لا يصنع عدلا} {تك ١٨ : ٢٥ ، ١٧} .

نفس الوضع مع موسى ، إذ قال له بعد أن عبد الشعب العجل الذهبي {الآن أتركني ليحسي غضبي عليهم فأقنبهم} ولم يتركه موسى . بل حاوره في الأمر . وقال له أرجع يارب عن حمو غضبك واتدم علي البشر وقبل سفاحته {خر ٣٢ : ٩-١٤} .

وإلي جوار هذه الدالة ، دفاعه أيضا عنهم .

فقد دافع عن يوحنا المعمدان فقال : {ماذا خرجتم إلي البرية لتنظروا ؟ أنسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟! هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيت الملوك ... أنبياء ؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي ... الحق أقول لكم لم يقم من بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان ...} {مت ١١ : ٨-١١} .

ودافع عن موسى النبي لما نقول عليه هرون ومريم بعد زواجه من امرأة

كوشية . فوبخهما الرب قائلاً « إن كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا أستعلن له . في الحلم أكلّمه . وأما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو أمين في كل بيتى . فمأ لقم وعيائاً أتكلّم معه ، لا بالألفاز . وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى ؟ » (عد ١٢ : ٦-٨) . وضرب الرب مريم بالبرص ، فحجرت خارج المحلة سبعة أيام ...

* * *

ودافع عن ابراهيم ، لما أخذ أبيمالك الملك زوجته .

فظهر له في حلم وقال له « ها أنت ميت بسبب المرأة التى أخذتها ، فإنها متزوجة ببعل ... فالآن رُدْ امرأة الرجل ، فإنه نبي فيصلى لأجلك فتحيا » (تك ٢٠ : ٣ ، ٧) .

* * *

ودافع عن أيوب الصديق ضد أصحابه الثلاثة .

فقال لأليفاز التيماني « قد احتمى غضبى عليك وعلى كلا صاحبيك ، لأنكم لم تقولوا فى الصواب كمعبدى أيوب . والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش . واذهبوا إلى عبدى أيوب ، وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم . وعبدى أيوب يصلى من أجلكم - لأننى أرفع وجهه - لكلا أصنع معكم حسب حماقتكم . لأنكم لم تقولوا فى الصواب كمعبدى أيوب .. » (أى ٤٢ : ٧ ، ٨) .

بل دافع الرب عن أيوب لما اشتكى عليه الشيطان .

وقال له « هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ؟ لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، يتقى الله ، ويحيد عن الشر ، وإلى الآن هو متمسك بكماله .. » (أى ٢ : ٣) .

* * *

وأمثلة دفاع الرب عن أولاده كثيرة جداً .

دافع عن الشعب فى مصر ضد فرعون . ودافع عنهم فى أيام القضاة ، ودافع عن دانيال والثلاثة فتية فى سنوات السبى . ودافع عن تلاميذه ضد كل اتهامات الكتبة والفريسين ، وقال لبولس « لا تخف لأننى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . ودافع عن الكنيسة فى كل زمان ، ووعد بأن أبواب الجحيم لن

تقوى عليها (مت ١٦ : ١٨) .

والأعجب من هذا كله دفاع الرب عن الخطاة .

دافع عن المرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها في بيت سمعان الفريسي . ووبخ الفريسي الذي أدانها . وأراه أن تلك الخاطئة كانت أبرّ منه ، لأنها أحبت كثيراً (لو ٧ : ٣٦ - ٤٧) بينما كانت تلك المسكينة صامته لا تملك الدفاع عن نفسها ...

ودافع أيضاً عن المرأة التي ضببت في ذات الفعل .

وقال للقساة الذين قدموها إلى حكم الموت « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولاً بحجر » (يو ٨ : ٧) . ولما أراح المرأة من الذين أدانوها ، إذ انصرف الجميع ، قال للمرأة « ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي أيضاً » ...

كذلك المرأة التي سكبت عليه الطيب في الأسبوع الأخير :

لما تذر عليها البعض وقالوا « لماذا هذا الإلتاف ؟ لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء ! » فدافع الرب عن هذه المرأة وقال « لماذا تزعجون المرأة ؟ ! فإنها قد عملت بي عملاً حسناً . فإن الفقراء معكم في كل حين ... فإنها سكبت هذا الطيب على جسدي ... لأجل تكفيني » (مت ٢٦ : ٦ - ١٢) . ولم يدافع عن المرأة فقط ، وإنما طوبها أيضاً بقوله « الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم ، يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكراً لها » ... حقاً إن الرب في محبته يرفع وجوه المساكين ...

مَحَبَّةُ اللَّهِ الْغَضُورِ

ومن محبة الرب لنا ، أنه منحنا التوبة للمغفرة .

تظهر محبته هذه في قول الرسول إن الله « يريد أن جميع الناس يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٤) . بل إن السيد الرب نفسه يقول في سفر حزقيال النبي ، إنه لا يسرّ بموت الشرير ، بل برجوعه عن طريقه فيحيا (حز ١٨ : ٢٣) . لذلك منحنا الله التوبة للحياة (أع ١١ : ١٨) .

حقاً من محبة الله أنه لم ينفِ حياتنا ونحن في خطايانا .

وإنما رأى وصبر ، وأطال أناته علينا لكي نتوب وإنما « بغنى لطفه ، وإمهاله وطول أناته » إنما يقتادنا إلى التوبة (رو ٢ : ٤) ... كان يمكن أن يمك بك بشاول الطرسوسي وهو يضطهد الكنيسة ، ويلقى به في الجحيم !! ولكنه أطال أناته عليه حتى تحول إلى القديس بولس الرسول ، الاناء المختار ، الذي تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥ : ١٠) .

* * *

بل إن ضلّ أحد يذهب ويبحث عنه ليرجعه ...

كما هو واضح من قصة الخروف الضال والدرهم المفقود . وبحث الرب عن الخطاة يتضح من قوله : « أنا واقف على الباب واقرع . إن فتح أحد لي ، أدخل وأتعشى معه » (رؤ ٣ : ٢٠) . بل إن الرب من محبته أرسل الرسل والأنبياء ، كسفراء عنه ، وأعطاهم خدمة المصالحة ، لكي ينادوا أن « اصطلحوا مع الله » (٢كو ٥ : ١٨ : ٢٠) . بل أنه يمد يده طول النهار لشعب معاند ومقاوم (رو ١٠ : ٢١) .

ومن محبته يدعو الناس ، لكي يتوبوا فيغفر لهم ويقول « هلم نتعاجج - يقول الرب - إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ... » (أش ١ : ١٨) .

ومن محبة الله أنه يفرح بالراجعين إليه .

لا يعاتبهم ، بل يفرح بهم . كما قال في عودة الابن الضال « ينبغي أن نفرح ونسرّ . لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٤ ، ٣٢) . وهكذا لما وجد خروفه الضال « حمله على منكبيه فرحاً » (لو ١٥ : ٥) . بل تفرح الملائكة أيضاً معه . وهكذا يقول الكتاب إنه « يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب » (لو ١٥ : ١٠) .

* * *

والرب في قبوله للخطاه ، يكون في محبته عميق المغفرة .

تغنى داود النبي بهذه المغفرة فقال « باركي يا نفسي الرب ، ولا تنسى كل حسناته ، الذي يغفر جميع ذنوبك ... الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح ، وكثير الرحمة . لا يحاكم إلى الأبد ، ولا يحقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم

يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض، قويت رحمته على خائفه. كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا... لأنه يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن» (مز ١٠٣).

ومن محبة الله، فإنه في مغفرته لخطايانا، يمحوها ولا يعود يذكرها. وهكذا يقول في سفر ارمياء النبي «لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيئتهم بعد» (أر ٣١: ٣٤).

ويقول في سفر حزقيال النبي عن الشرير التائب «كل معاصيه التي فعلها، لا تذكر عليه» (خر ١٨: ٢٢) (حز ٣٣: ١٦). ويقول بولس الرسول «إن الله - في المسيح - كان مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم» (٢ كور ٥: ١٩).

ويتغنى المزمور في المزمور بهذه المغفرة التي تمحى فيها الخطايا، فيقول «طوبى للذى غُفِرَ إثمُه وسُتِرَت خطيئته. طوبى للإنسان الذى لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢: ١، ٢). وقد اقتبس بولس الرسول هذا التطويب (رو ٧: ٨).

بل أحس داود بعمق مغفرة الله في محبته فقال:

ما أعظم هذه المحبة التي تغسل الخطيئة من خطيئته، فيبيض أكثر من الثلج...

بل أكثر من هذا كله، فإن الله - لكى يغفر خطايانا - حملها بدلاً منا.

وكما قال اشعيا النبي «كلنا كفنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا» (أش ٥٣: ٦). وقال عنه يوحنا المعمدان «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩)... وهكذا دفع ثمن خطايانا على الصليب. ومات عنا، لكى نحيا نحن بموته... وهكذا قال القديس بولس الرسول إن «الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٨).

إذن المسيح - بالفداء - كان على الصليب ذبيحة حب.

إن عمل الكفارة والفداء، كان عملاً يدل على عمق محبة الله لنا «هكذا أحب

الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). وهكذا يقول القديس يوحنا الرسول عن المحبة بيننا وبين الله «ليس أننا نحن أحببنا الله. بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا» (١ يو ٤: ١٠). لهذا نقول:

★ ★ ★

قبل أن يصلب اليهود المسيح، صلبته محبته للبشر.

هو صعد على الصليب بارادته، دفعته إلى ذلك محبته للبشر ورغبته في خلاصهم. لقد قال عن نفسه «أضع نفسى لآخذها. ليس أحد يأخذها منى، بل أضعها أنا ذاتى. لى سلطان أن أضعها، وسلطان أن آخذها أيضاً» (يو ١٠: ١٧، ١٨).

إذن عقيدة الفداء، التى هى أعظم عقائد المسيحية، كان أساسها الحب وسببها الحب، حب الله للناس...

★ ★ ★

الحب هو الذى سقى المسيح على الصليب.

لقد تحدوه قائلين «لو كنت ابن الله، انزل من على الصليب، فنؤمن بك» (مت ٢٧: ٤٠، ٤٢). وكان يستطيع أن ينزل، ولكنه لم يفعل. لأن محبته هى التى كانت تسمره على الصليب، وليس المسامير... إنها المحبة التى أشار إليها بقوله: «ليس حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣).

★ ★ ★

بل هو قد وضع نفسه عن المسيئين إليه، عن الخطاة الذين كسروا وصاياه. وهكذا يقول بولس الرسول «إنه بالجهاد يموت أحد عن بار... ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا» «مات فى الوقت المعين لأجل الفجار» (رو ٥: ٧، ٨، ٦).

ولكن لكى يموت، كان لابد أن يلبس جسداً قابلاً للموت. وهكذا نقول:

إن محبة الله للبشر، هى سبب التجسد.

من أجلنا ، ومن أجل خلاصنا « أدخل ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وصار في الهيئة كإنسان .. وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (في ٢ : ٧ ، ٨) .

من أجلنا ، وبسبب محبته ، قبل الآلام ، وتعرض للإهانات ، ليس عن ضعف ، وإنما عن قوة حب ، لكي يدفع ثمن خطايانا .

اهتمام الله بالمحتاجين إلى الحب

لقد اهتم الله بالكل ، وبخاصة أولئك الذين لم يكن أحد يهتم بهم . فأولاهم حياً كأنوا في مسيس الحاجة إليه . ومنح حبه للمظلومين والمقهورين ، وقال للتعايب :

« تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ :

٢٨) .

وكانت هذه النقطة هي من أبرز خواص رسالة السيد المسيح له المجد . وقال في ذلك « روح السيد الرب علي ، لأنه مسحني لأبشر المساكين . أرسلني لأعصب منكسري القلب . لأنادي للمسيبين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق ... لأعزي جميع الناثحين ... لأعطيهم جالاً عوضاً عن الرماد ، ودهن فرح عوضاً عن النوح ، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة » (أش ٦١ : ١ - ٣) .

نعم ، إنه رجاء لمن ليس له رجاء ...

ومعين من ليس له معين - كما نقول في صلوات القداس الإلهي - عزاء صغيري القلوب ، وميناء الذين في العاصف ... وهكذا كان يعطي الحب للذين لا يجدون حياً من أحد . وكان يذكر الذين ليس لهم أحد يذكرهم . وهو باستمرار الباب المفتوح ، حينما تكون سائر الأبواب مغلقة . وسنضرب بعض أمثلة :

* * *

الحب الذي قدمه الرب للعشارين المحتقرين من الناس .

كان العشارون منبوذين من المجتمع اليهودي ، يرونهم عنواناً للظلم والبعد عن الروحانية . ولكن الله المحب أراد أن يرد لهم اعتبارهم ، ويعيد إليهم كرامتهم ، وبخاصة أمام الفريسيين المشهورين بالتدقيق في حفظ الوصايا . فذكر مثل الفريسي

والعشار. وكيف أن العشار في توبته وانسحاق قلبه، كان أفضل من الفريسي في كبريائه وافتخاره. وكيف أن العشار خرج من الهيكل مبرراً دون ذلك (لو ١٨ : ٩-١٤).

وكان يحضر ولائم العشارين ، ويدخل بيوتهم . وبهذا يرفع من معنوياتهم ويجذبهم إليه .

وما كان يبالي بانتقاد الفريسيين والكتبة له (لو ١٥ : ٢). حتى أنهم قالوا لتلاميذه « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟! ». أما هو فكان يجيب « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ... لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مت ٩ : ١١-١٣). وكان يقول أيضاً « يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون إلى توبة » (لو ١٥ : ٧).

* * *

حقاً ما أعمق اهتمام المسيح بالخطاة والمرضى .

إنه ما كان يتعالى عليهم أو يحتقرهم ، كما كان يفعل الفريسيون، بل كان يدخل إلى بيوتهم ، كما دخل إلى بيت زكا رئيس العشارين ، حتى تذمر الجمع قائلين إنه دخل لبييت عند رجل خاطيء (لو ١٩ : ٧). أما السيد فقد منح زكا الحب الذي تاب به . وقال : اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن ابراهيم » بل قال إنه :

« قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك » (لو ١٩ : ١٠) .

عميقة جداً هذه العبارة ... لم يقل يخلص من قد ضل أو أخطأ ، بل ما قد هلك .. ! إذن فحتى الهالك له رجاء ، وله مكان في محبة الله يمكن به أن يخلص . وليس فقط يخلص ، بل أن الرب قد اختار أحد هؤلاء العشارين ، ليكون واحداً من تلاميذه الإثني عشر، وهو متى الذي كان جالساً عند مكان الجباية (مت ٩ : ٩) .

* * *

أي حب هذا ، هو حب الرب الذي قيل عنه :

« المقيم المسكين من التراب ، والرافع البائس من المذبة ، ليجلسه مع أشراف شعبه » (مز ١١٣ : ٧، ٨) .

هذا هو تعامل الرب المملوء حبا والمملوء تضاعا ، مع المساكين والمحترمين ، مع الخطاة والعشارين ، المنبوذين من المجتمع . اعطاهم فوق ما كانوا ينتظرونه منه بمراحل ... لقد اذاب قلوبهم بهذا الحب ... زكيا سلا ، كانت اقصى امنيتك ان يراه . أما ان يقف الرب عنده ، ويناديه باسمه ، ويدخل الي بيته ، ويعلن انه ايضا من أبناء ابراهيم ... فقد كان هذا فوق احضاله ... فأعلن توبته ، وأعلن الرب خلاصه ...

طائفة أخرى هي السامريون . وكان المجتمع اليهودي لا يعاملونهم [يو ٤: ٩] . وكيف عاملهم الرب يحب ...

كان اليهود يحتقروهم ، ويرون أنهم غير مؤمنين . وفعلوا لم يكن إيمانهم سعيًا ... ولكن حتى هؤلاء ، ما كنت محبة الرب بعيدة عنهم ، ولا كان خلاصه مطلقا أمامهم . وإذا بالرب يشرح مثل السامري الصالح ، الذي أظهر فيه كيف ان ذلك السامري كان افضل في حبه من الكاهن والثلاوي [لو ١٠: ٢٥-٢٧] . ورد بهذا المثل علي سوال احد التلاميذ [من هو قريب؟] فظهر له ان السامري ايضا قريبه . وفي معجزة شفاء العشرة البرص ، أظهر ان الوحيد الذي رجع فشكر كان سامريا ... وقال لهذا الرجل [الغريب الجنس] ايسلك خلفك [لو ١٧: ١٦-١٩] .

ان محبة الله تشمل أيضاً [الغريب الجنس] ، وترفع معنوياته . وفتح له باب الإيمان والخلاص .

ولم يكتف الرب بهذا من جهة السامريين ، بل زارهم ودخل مدينتهم . ومعروفة قصة هدايته للمرأة السامرية ، وحنينة معها عن اشاء الحي ، واجتذابها الي التوبة والي الايمان ... ثم بعد ذلك اهل مدينتها كلهم [جاء اليه السامريون وسالوه ان يسكن عندهم . فمكث هناك يوسين] وامن كثير من وقالوا [ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم] [يو ٤: ٤٢-٤٥] .

انه بالحب قد خلص كثيرين من السامرة .

و قال لتلاميذه [ارفعوا عيونكم وانظروا الحقول : انها قد ابيضت لث harvest ... أنا

أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه» (يو: ٤: ٣٥، ٣٨). وهكذا لم ينسَ الرب السامرة في ارساليته لتلاميذه، بل قال لهم بعد القيامة «وتكونون لي شهوداً في اورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلى أقصى الأرض» (أع: ١: ٨).

* * *

جميل أن يعرف كل إنسان أنه ليس منسياً من الله، ولو كان في أقصى الأرض. وهذا يذكرنا بالأمم.

كان الأمم أيضاً محقرين من اليهود، لأنهم ليسوا أبناء إبراهيم، وليسوا من شعب الله!! ولكن الرب أظهر محبته لهم أيضاً، من جهة المعجزات، والايمان...
يكفى أنه بالنسبة إلى قائد المائة الأعمى الذى شفى الرب غلامه، أنه قال عنه:
الحق أقول لكم:

«لم أجد ولا في إسرائيل كلها إيماناً بمقدار هذا» (مت: ٨: ١٠).

ثم فتح بمحبته باب الملكوت أمام الأمم وقال: «إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب، ويتكثرون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات» (مت: ٨: ١١).

* * *

كذلك نذكر محبة الرب للأطفال...

هؤلاء لم تكن لهم قيمة في المجتمع، بل للأسف كانوا يطردونهم أحياناً من حضرة المسيح. ولكنه في حب قال لهم «دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعونهم. لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت: ١٩: ١٤). ووضع يديه عليهم وباركهم.

وفي مناسبة أخرى دعا ولداً وأقامه في وسط التلاميذ وقال «الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت: ١٨: ٣). وحامى عن هؤلاء الصغار، فقال «من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى، فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويفرق في لجة البحر» (مت: ١٨: ٦).

والرب احتضن الأطفال، ووضع يديه عليهم، وباركهم (مر: ١٠: ١٦).

وكما رفع معنويات الأطفال ، رفع معنويات النساء .

سمح للمرأة أن تنضم إلى جماعة تلاميذه . ونسوة كثيرات كن يخدمته من أموالهن (لو ٨ : ٣) . وكان من بين من أقامهم من الأموات ابنة يابرس (لو ٨ : ٥٤ ، ٥٥) . وقد شفى نازفة الدم ، وقال لها إيمانك قد شفاكِ (لو ٨ : ٤٨) . وكان يدخل بيت مريم ومريثا . وامتدح مريم قائلاً إنها « اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » (لو ١٠ : ٤٢) .

وتكفى المكانة العظيمة التى قدمها للقديسة العذراء .

التي أصبحت جميع الأجيال تطوبها . ولما وصل سلامها إلى أليصابات امتلأت اليصابات من الروح القدس . وارتكض الجنين فى بطنها (لو ١ : ٤٨ ، ٤٩) . وخطب السيد المسيح أمه على الصليب وجعلها أمّاً روحية لتلميذه يوحنا (يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٧) .

وبعد القيامة قيل إنه « ظهر أولاً لمريم المجدلية » (مر ١٦ : ٩) . وقال لها ولمريم الأخرى « اذهبا بسلام وقولا لأخوتى أن يعضوا إلى الجليل ، هناك يروننى » (مت ٢٨ : ١٠) .

ولا ننسى دفاع الرب عن المرأة .

دافع عن المرأة التى ضبطت فى ذات الفعل ، وأنقذها من الرجم (يو ٨) . ودافع عن المرأة التى بللت قدميه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها (لو ٧) . ودافع عن المرأة التى سكبت الطيب على رأسه فى بيت سمعان الأبرص . ولما احتج البعض قائلين « لماذا هذا الاتلاف . لأنه كان يمكن أن يُباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء » قال الرب « لماذا ترعجون المرأة ؟ إنها قد عملت بى عملاً حسناً ... إنما فعلت ذلك لأجل تكفينى » بل طوبها قائلاً « حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم ، يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكراً لها » (مت ٢٦ : ٦ - ١٣) .

الله المحب يستخدم المحبين

نقطة أخرى نقولها في محبة الله لنا . وهى .

إن الله المحب يختار المحبين للعمل معه فى الخدمة .

لقد اختار داود المحب ، الذى من فرط محبته اشفق على شاه وانتزعها من فم الأسد لينقذها (١ صم ١٧ : ٣٤ ، ٣٥) .
وموسى ، لما كان فى بدء حياته قائداً قوياً ، يمكنه أن يقتل رجلاً ويطمره فى الرمل (خر ٢ : ١٢) ... فى ذلك الوقت لم يختره الرب . إنما أخذه ودرّبه فى عمل الرعى أربعين عاماً ، حتى وصل إلى الوضع الذى قيل عنه فيه « وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) .

* * *

واستخدم الرب موسى المملوء من الحب .

الذى دافع عن مريم بعد أن تكلمت ضده . ولما ضربها الرب بالبرص ، دافع عنها موسى « وصرخ موسى إلى الرب قائلاً : اللهم اشفها » (عد ١٢ : ١٣ ، ١) .

ودافع موسى عن الشعب لما أراد الرب إفناء ذلك الشعب بعد عبادته العجل الذهبى . وإذا بموسى المملوء محبة يتشفع فيهم ويقول لله « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك ؟ ... ارجع عن هو غضبك واندم على الشر بشعبك » (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢) .

ووصلت المحبة بموسى ، أنه قال للرب : « والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فاعننى من كتابك الذى كتبت » (خر ٣٢ : ٣٢) .

* * *

ذكرتنى هذه العبارة بقول القديس بولس الرسول :

« كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد » (رو ٩ : ٣) .

هذه المحبة العجيبة لم تكن موجودة عند بولس فى أول عهده قبل أن يعرف المسيح ، حينما كان اسمه شاول الطرسوسى ، وكان مضطهداً للكنيسة ، وكان « ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب » « حتى إذا وجد أناساً من الطريق ، رجالاً أو نساء ،

يسوقهم موثقين إلى اورشليم» (أع ١ : ١٢) ... «وكان يسطو على الكنيسة . وهو يدخل البيوت ، ويحرق رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن» (أع ٨ : ٣) .

ولكنه لما عرف الرب المحب ... تحول إلى صورة المحبة هذه .

وأصبح بولس الذى قال إن المحبة أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال (١كو ١٣ : ٢ ، ١٣) ... أصبح بولس الذى يقول «استعبدت نفسى للجميع لأريح الكثيرين ... صرت للضعفاء كضعيف ، لأريح الضعفاء . صرت للكل كل شيء ، لأخلص على كل حال قوماً» (١كو ٩ : ١٩ - ٢٢) . صار بولس الذى قال «متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفر عن أن أُنذر بدموع كل أحد» (أع ٢٠ : ٣١) ... نعم ينذر بدموع ، وليس بعنف . ويقول أيضاً فى محبته للكل «من يضعف وأنا لا أضعف !؟ من يعثر وأنا لا ألتهب !؟» (٢كو ١١ : ٢٩) .

نعم إن الرب أعد تلاميذه بالحب لكى يخدموا والذين كانوا عنفاء منهم ، غيرهم إلى محبين .

نذكر مثلاً آخر غير شاول الطرسوسى ، هو يعقوب ويوحنا ، اللذين سماهما الرب بوانرجس أى ابنى الرعد (مر ٣ : ١٧) . وقد كانا عنيفين فى بادىء الأمر قبل أن يدرهما المسيح على المحبة ...

حدث مرة أن الرب لم تقبله قرية للسامريين «فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا ، قالاً : يارب ، أتريد أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً» ، فانتهرهما الرب وقال «لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص» (لو ٩ : ٥٢ - ٥٦) .

وإذا بيوحنا الذى قال تلك العبارة العنيفة ، يتحول إلى يوحنا الحبيب أكثر تلميذ تكلم عن المحبة :

يكفى أنه هو الذى قال «الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه» (١يو ٤ : ١٦) . ويحكى التاريخ قصصاً عجيبة عن محبته ...

إن الله المحب ، يريد أن يكون خدامه على نفس صورته فى الحب ، وبنفس أسلوبه فى الحب . والذى لا تسكنه المحبة لا يصلح أن يكون خادماً للرب ...

الفصل الثاني :

محبة الله لقسيسيه

عجيبه هى محبة الله لقسيسيه ، نحاول أن نذكر عنها بضع نقاط كأمثلة ، لتوضح
عمق ذلك الحب :

أولاً : دعوة الله لهم للعمل معه :

وفى ذلك قال الرب لتلاميذه الأطهار «لستم أنتم اخترتمونى ، بل أنا الذى
أخترتكم . وأقمتمكم لتذهبوا وتأتوا بشمر ، ويدوم ثمركم» (يو ١٥ : ١٦) . ويقول
الرسول «الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهيين صورة ابنه ... والذين سبق
فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضاً» (رو ٨ : ٢٩ ، ٣٠) .

ما أجل أن يكون إنسان معروفاً عند الله ، ومعنياً منه ، ومدعواً للعمل معه ، وأن يشابه
صورة ابنه ...

* * *

بل ما أجل أن هذا المختار من الله ، يعرفه الله ويدعوه ، وهو بعد فى بطن أمه .

مثال ذلك قول الرب لأرمياء النبى «قبلما صورتك فى البطن عرفتك . وقبلما
خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب» (أر ١ : ٥) ... عرفه ، فاختره ،
فقدسه ، فعينه نبياً ، قبل أن يخرج من بطن أمه !!

ومثال أرمياء النبى ، يوحنا المعمدان أيضاً : تكلم الرب عن اختياره ، قبل أن
تحبل به أمه ، على لسان الملاك الذى بشر أباه زكريا ، بأن امرأته ستحبل بهذا المختار
«ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب
إلهمهم ... لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً» «و يكون عظيماً أمام الرب» (لو ١ : ١٥ -
١٧) .

* * *

ومثال أرمياء والمعمدان ، كان شمشون وبولس الرسول :

أما عن شمشون ، فقد قال ملاك الرب الذى بشر أمه « ها أنك تحبلين وتلدين ابناً ، ولا يعلو رأسه موسى ، لأن الصبى يكون نذيراً للرب من البطن » (قض ١٣ : ٥) .

أما عن بولس الرسول ، فقد تحدث عن اختياره من بطن أمه ، فقال « لما سُر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ، ودعائى بنعمته ، أن يعلن ابنه فى لأ بشر به بين الأمم ، للوقت لم استشر لحمأ ولا دمأ ... » (غل ١ : ١٥ ، ١٦) .

كذلك القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين :

اختاره الرب ، وعينه رئيساً للمتوحدين ، وأبأ للرهبان قبل أن تحبل به أمه .
ويعقوب أبو الآباء ، أعطاه الرب الرئاسة والسيادة على أخوته ، وهو بعد فى بطن أمه (تك ٢٥ : ٢٣) . وبالتالي اختاره أن يأتى من نسله المسيح ، وبنسله تتبارك جميع قبائل الأرض .

من محبة الله لكل هؤلاء ، اختارهم لبناء ملكوته .

وفى محبته لهم أعطاهم بركة ، بل وجعلهم بركة .

كما قال لأينا ابراهيم : « أباركك ، وتكون بركة ، وأبارك مباركك ، ولا عنك ألعنه . وتتبارك فىك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٢ ، ٣) . حقاً ، كم من قديس صار بركة لجيله أو للأجيال كلها وأصبح حاملاً لله (ثيوفورس) ، يقدمه للعالم . وكم من قديس كشف له الله ما لا يرى ، ومنحه استعلانات (٢كو ١٢ : ٧) .

وقديسون منحهم قوة أجراء المعجزات ، مثل موسى الذى شق البحر الأحمر ، وفجر من الصخرة ماء ، وأنزل المن والسلوى .

إن الله فى حبه يعطى بلا حساب ، بلا كيل . يفتح كوى السماء لتنزل منها بركاته ، حتى نقول كفانا كفانا .

فى محبته لقديسيه ، أعطاهم الروح القدس ، أعطاهم البركة والنعمة والحب .

وجعل سكناه داخلهم ، وأعطاهم صنع المعجزات . منحهم الحكمة . وأعطاهم كل ما يطلبونه لأجل أنفسهم ولأجل الآخرين وكانت صلواتهم مفاتيح للسماء . وكان يأخذ رأيهم وينفذ طلباتهم ، كما فعل مع موسى ومع ابراهيم .

ومن محبته لقديسيه كان ينسب إليهم أعماله .

فيقول « شريعة موسى » وهى شريعة الرب . ويقال كنيسة مارجرجس وهى كنيسة الله . وتحدث معجزة شفاء على يد العذراء بينما الله هو الشافي ، ويقول الرب :

« من بكرمكم بكرمنى » « ومن يرذلكم يرذلنى » .

ومحبة الله لقديسيه عمل فيهم ، وعمل بهم ، وعمل معهم ، وجعلهم سفراءه ، ووكلاءه ووسطاءه على الأرض ، ينقلون نعمته للآخرين وقال لهم « لا أعود أسميكم عبيداً بل أحبباء » . بل أنه دعاهم اخوته وصار بكاراً وسط أخوة كثيرين (روم : ٨ : ٢٩) .

وقيل عنه إنه « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوح : ١٣ : ١) . وفى هذا الحب اعتبرهم كشخصه .

بل نقرأ عجيبة ، قالها فى منحهم صنع المعجزات وهى :

« من يؤمن بى ، فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يوح : ١٤ : ١٢) .

إننى أقف مبهوراً ومبهوراً أمام عبارة « ويعمل أعظم منها » !! أى حب هذا ، وأى اتضاع !! ...

نعم ، إنه من محبته لقديسيه ، زودهم بقوة عجيبة . وجعلهم شركاء للروح القدس و« شركاء للطبيعة الإلهية » فى العمل (١ بط : ٤ : ٤) وقال لهم « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (أع : ١ : ٨) . وجعلهم وكلاء سرائر الله (١ كو : ٤ : ١) « التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١ بط : ١ : ١٢) .

ومن محبته لهم منحهم مواهب الروح القدس هذه المواهب التي خصص لها
القديس بولس الرسول إصحاحاً كاملاً من رسالته الأولى إلى كورنثوسي (١كو١٢)
«قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء»...

ومن محبة الله لقديسيه ، أنه جعلهم يجربون عشرته وصداقته .

فموسى جلس معه على الجبل أربعين يوماً . وقضى الرب مع تلاميذه أربعين يوماً
بعد القيامة يحدّثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله . وقيل عن إبراهيم إنه خليل الله .
وهؤلاء لم يعاشروه فقط ، بل تمتعوا به . قال داود :

« ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » ما أعجب هذه المذاقة !!

بهذا الحب ظهر الرب لكثير من قديسيه ، وكلمهم . كما ظهر للأتبا بيشوى فغسل
القديس رجله . وظهر للأتبا بولا الطموهى ، وقال له فى عبة « كفاك تعباً يا حبيبى
بولا » ...

وظهر لإيليا النبى وهو هارب من الملكة إيزابل ، وطمأنه وكلفه برسالة ... وكان قد
أرسل له ملاكاً ليقويه ويقدم له طعاماً ليغذيه (١مل ١٩ : ٥ - ١٨) .

وظهر أيضاً ليعقوب وهو هارب من أخيه عيسو ، وطمأنه ، وعزاه بوعود إلهية . وقال
له « هأنذا معك ، واحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ :
١٥) .

إن من محبة الله لقديسيه ، العزاء العجيب الذى يمنحه لهم .

كل الذين عاشروا الله ، تمتعوا بالعزاء ، وبالسلام ، والطمأنينة ، والفرح . وهكذا
قال الرسول « افرحوا فى الرب كل حين » (فى ٤ : ٤) .

وبهذا العزاء استطاع الآباء أن يعيشوا فى البرية وحدهم ، بلا أنيس ، وهم فى
متعة الحب الإلهى ، يجدون فى وحشة البرية عزاء لا يعبر عنه ولذة عميقة بالعشرة
الإلهية ...

ومن محبة الله لقديسيه ، أنه أعطاهم الإحساس بالوجود فى حضرته ... وفى ذلك

يقول داود النبي :

« تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا أترزع » ويقول إيليا النبي « حتى هورب الجنود الذي أنا واقف أمامه » (١ مل ١٨ : ١٥) .
إن النفس البشرية التي ذاقَت محبة الله ، تقول « شماله تحت رأسي ، ويمينه تعانقني » ، شاعرة أن محبته محيطة بها ... (نش ٢ : ٦) .

ومن محبة الله لنا ، أنه يحيطنا بملائكته ، تحفظنا وتخدمنا .

فيقول بولس الرسول عن الملائكة « أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسله للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) ويقول المزمور « ملائكة الرب حال حول خائفيه وينجيهم » .

ما أعجب أن تخدمنا الملائكة ، ونحن لا نستحق مجرد رؤيتهم ... !

ومن محبة الله لقديسيه ، أنه يمنحهم حق الشفاعة أيضاً .

لما أراد الله أن يغفر خطية أصحاب أيوب ، قال لهم بعد أن بكتهم « اذهبوا إلى عبيدي أيوب . واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم ، وعبدى أيوب يصلي من أجلكم . لأنى أرفع وجهه ، لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم » (أى ٤٢ : ٨) .

وهكذا جعل الله مغفرته مشروطة بصلاة أيوب عنهم . ولما لا تغفر يارب مباشرة؟! يقول (لأنى أرفع وجهه) ...

ويظهر الرب لشاول الطرسوسي ، ويدعوه إلى خدمته ولكن لا يشرح له ما ينبغي . وهكذا يعطى الرب كرامة لحنانيا وكهنوته .

بل ما أعجب أن الروح القدس يقول لرجال الكنيسة : « افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه » . (أع ١٣ : ٢) . ولعلمهم يقولون فى قلوبهم : ومن نحن يارب؟! مادمت قد دعوتهما ، فقد انتهى الأمر . ولكن الروح القدس يود أن تقرأ إرسالية برنابا وشاول من خلال القنوات الشرعية فى الكنيسة ، حباً لهذه القنوات ، وتدعيماً لشرعيتها وعملها ...

ولهذا بعد أن «صاموا حينئذ وصلوا، ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما بسلام»... قيل حينئذ عنهما «فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس، انحدرنا إلى سلوكية...» (أع ١٣ : ٣، ٤)... نعم أرسلنا من الروح القدس . ولكن كيف ؟ ... من خلال الكنيسة التى يحبها الروح ، ويدعم لها اختصاصاتها ... ما أعمق محبتك يارب !

أنظروا أيضاً إلى قصة قبول كرنيليوس الأهمى الذى سعدت صلواته وتقدماته إلى الرب . وظهر له ملاك الرب يخبره بهذا ... ولكن الرب يحيل كرنيليوس إلى عبده بطرس ، لكى يخبره بما ينبغى (أع ١٠ : ١ - ٦) . ذلك لأن الله يريد أن يعمل عن طريق رسله ، كهنته . وبهذا يرفع وجوههم كوكلائه ، ويثبت لهم فى الكنيسة اختصاصاتهم .

* * *

ولعل من أعجب القصص فى محبة الله لقديسيه ، ورفعهم مكانتهم أمام الكل ، قصة إقامة مساعدين لموسى النبى .

أراد الله أن يريح نبيه موسى من ثقل المسئوليات التى عليه ، وذلك بإقامة مساعدين له ، «فقال الرب لموسى : اجمع إلتى سبعين رجلاً ، من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه . وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك . فأنزل أنا وأتكلم معك هناك ، وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب» (عد ١١ : ١٦ ، ١٧) ... وكأن موسى يقول : من أنا يارب الذى تأخذ من الروح الذى علىّ وتضع عليهم ؟ ! إعطهم من عندك كما أعطيتنى !

ولكن الله من محبته لموسى ، أراد أن يرفع قدره أمامهم ، لكيلا يشعروا أنهم صاروا مساوين له ...

وذلك إن أخذوا من نفس المصدر الإلهى كما أخذ...

«وخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب ، وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب ، وأوقفهم حوالى الخيمة . فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه . وآخذ من الروح الذى عليه ، وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ . فلما حلّ عليهم الروح تنبأوا» (عد ١١ : ٢٤ ، ٢٥) ...

موسى هو الذى اختارهم بنفسه ، ولم يعينهم الرب له . وأخذوا من الروح الذى عليه فتنبأوا ليعرفوا أنهم مجرد مساعدين له . فهو الذى أقامهم أمام الرب ... وهكذا عامل الرب موسى ، بالأسلوب الذى يحفظ له كرامته ورئاسته بين مساعديه ...

* * *

من محبة الله أيضاً لقديسيه ، أنه أعطاهم سلطاناً على الطبيعة .

كما سبق من قبل أن أعطى آدم وحواء (تك ١ : ٦) . وكما أعطى أيضاً نوحاً وبنيه ، فادخلوا الوحوش والديبين وسائر الحيوانات إلى الفلك وعاشوا فيه (تك ٦ : ١٩ - ٢١) .

ما أعجب قول إيليا النبى « حى هو الرب ... أنه لا يكون ظل ولا مطر فى هذه السنين ، إلا عند قولى » (مل ١٧ : ١) .

وفعلأ امتنع المطر أكثر من ثلاث سنوات منتظراً قول إيليا ...

وإيليا يعطى بركة لأرملة صريفة صيدا ، بأن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص ، إلى أن ينزل الله المطر على الأرض ، وهكذا كان (مل ١٧ : ١٤ - ١٦) .

* * *

ومنع الرب طبائع كثيرة من أن تؤذى قديسيه كما حدث مع يونان فى بطن الحوت (يون ٢) . وكما حدث مع الثلاثة فتية فى أتون النار (دا ٣١) ، ومع دانيال فى جب الأسود (دا ٦) ... وصار أحباء الله هؤلاء فى وضع له سموه ، جذب الآخرين إلى الإيمان .

فى نياحة الأنبا بولا ، أرسل الله أسدين فحفرو قبراً له ، لكى لا يتعب فى هذا الأمر القديس الأنبا أنطونيوس الذى أمرها .

* * *

أحب الله قديسيه ، فأكرمهم فى حياتهم وفى وفاتهم أيضاً .

يرسل ملائكة لكى تحمل روح لعازر المسكين إلى أحضان ابراهيم (لو ١٦ : ٢٢) . وروح أنبا آمون رآها القديس أنطونيوس ، وقد حملتها الملائكة فى فرح ، لتزفها بالتسابيح إلى السماء .

وهناك قديسون عند وفاتهم ، كانوا يرون أنواراً ، ويظهر لهم قديسون لاستقبال

أرواحهم. وبعض منهم تفوح رائحة بخور عند وفاتهم. فما أجل قول الكتاب «لثمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» (عدد ٢٣ : ١٠).

ومن محبة الله لقديسيه أنه دعاهم (آلهة) !

فقال لهم في المزمور (٨٢ : ٦) ألم أقل إنكم آلهة ، وبني العلى تدعون « (مز ٨٢ : ٦) . وقال الرب لموسى « جعلتك إلهاً لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) .. وقال له عن هرون « هو يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً » (خر ٤ : ١٦) يقصد : توحى له بالكلام الذى تريد أن تقوله . وبالنسبة إلى فرعون تكون سيداً له ...

ومن محبة الله لقديسيه أنه أعطاهم بعض ألقابه :

فقال « أنا هو نور العالم » (يو ١٢ : ٤٦) ، وقال « أنتم نور العالم » (مت ٥ : ١٤) . وطبعاً الفرق واضح . فهو النور الحقيقى (يو ١ : ٩) . وهم يأخذون من نوره . وقال « أنا هو الراعى الصالح » (يو ١٠ : ١١) . وأقام فى الكنيسة رعاة (اف ٤ : ١١) .

محبة الله لقديسيه تبدو أيضاً فى حنانه عليهم إن أخطأوا ، حتى حنانه فى عقوبته ... !

ما أشد قسوة الإنسان ، إذا وقع اخوه الإنسان فى يده . أما الله فحنون جداً حتى عندما يعاقب ...

لذلك قال داود. النبى عبارته المشهورة : « أقع فى يد الله ، ولا أقع فى يد إنسان ، لأن مراحم الله واسعة » (٢ صم ٢٤ : ١٢) .

لقد عاقب الرب داود ، ولكن عقابه له لم يمنع أبداً استمرار محبته ، حتى بعد موت داود ... فعامل ابنه سليمان برفق ، وعلل رفقته عليه بقوله « من أجل داود عبدى » (١ مل ١١ : ١٣) أو بقوله له « من أجل داود أبيك » (١ مل ١١ : ١٢) .

ي - سبب في سيمان نفسه ، قال عنه الرب لداود أبيه « هو يبنى بيتاً لاسمى ، وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد . أنا أكون له أباً ، وهو يكون لى ابناً . إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم . ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعته من شاول » (٢ صم ٧ : ١٣ - ١٥) .

جميلة هذه العبارة « إن تعوج أؤدبه . ولكن رحمتى لا تنزع منه » ...

إنها تعبر عن رافة الله في عقابه ...

بل رقة الله الشديدة تبدو في مقابلته لإنكار بطرس الرسول ، الذى أنكره ثلاث مرات وكان يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل (مت ٢٦ : ٦٩ - ٧٤) ... كيف لاقاه بعد القيامة برقة شديدة ، وطمأنه على رسوليته بقوله « إرع غنمى . إرع خرافى » (يوا ٢١ : ١٥ - ١٧) .

حقاً إن الله يعامل الناس حسب عمق محبته نحوهم وليس حسب خطاياهم إليه . وحتى عندما قال الرب « بسطت يدى طول النهار لشعب معاند ومقاوم » ... نسأله « ولماذا تمد يارب يدك نحو هؤلاء المعاندين ؟ ! ولعله يجيب :

« لأن المحبة التى فى قلبى من نحوهم ، أقوى بكثير من العناد الذى فى قلوبهم من نحوى ... » .

صدق أحد الروحانيين حينما قال :

إن جميع خطايا الناس إذا قيس بمحبة الله ، تشبه حفنة من الطين ألقيت فى المحيط ، لا تستطيع أن تعكر مياهه . وإنما بكل هدوء يأخذها المحيط (إذا تابوا) ويفرشها فى أعماقه ، ويقدم لهم ماء رائقاً ...

الفصل الثالث :

من محبة الله الاهتمام حتى بالأمور الصغيرة

- محبته للأطفال .
- اهتمامه بصغار المواهب .
- " " النفوس .
- " " بالصغار في المركز .
- " " بالصغار في العدد والقيمة .
- " " بالنفس الواحدة .
- " " بالطير .
- " " بالحيوان .
- تقديره الكبير للعمل الصغير .

مقدمة

كل شيء إلى جوار الله ، يعتبر صغيراً وضئيلاً .

أو كأنه لا شيء إلى جوار الله غير المحدود ...

فاهتمام الله بخليقته ، أو بالكون كله ، هو اهتمام منه بشيء صغير. ولعل هذا من مظاهر تواضع الله ومحبة لخليقته ...

حقاً ماذا تكون الكرة الأرضية سوى كوكب من كواكب عديدة جداً لا تُحصى ! بل ماذا يكون الإنسان سوى حفنة من تراب أُخذت من هذه الأرض ! ومع ذلك ففي موضوع اليوم سوف لا نتناول إهتمام الله بالكون كله ، أو بالبشرية جمعاء ، إنما اهتمامه بالصغير في عالم الكون ، وبالصغير في عالم الإنسان ، وفي غير عالم الإنسان ، أى اهتمامه بصغير الصغير... !!

محبة للأطفال

ولنبدا بمحبة الرب للأطفال واهتمامه بهم .

إن الله يحب الأطفال . يحب فيهم البراءة والبساطة وعدم التعقيد وعدم الرياء... وهكذا يقول «الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ١٨ : ٣) . وفي ترجمة King James للإنجيل ، يقول عن الأطفال (Little Children) . وفي إنجيل معلمنا لوقا يقول «من لا يقبل ملكوت السموات مثل ولد (as a little child) ، فلن يدخله» (لوقا ١٨ : ١٧) .

ويقول أيضاً من قبل ولداً (Child) واحداً مثل هذا ، فقد قبلني» (مت ١٨ :

٥) (لوقا : ٤٨) .

وقد دافع الرب عن الأطفال .

فقال « من أعر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى ، فخير له أن يُعلق فى عنقه حجر الرعى ، ويفرق فى لجة البحر » (مت ١٨ : ٥) (لو ١٧ : ٢) وقال إنه ليست مشيئة أيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار (مت ١٨ : ١٤) . ودافع الرب عن الأطفال يوم أحد الشعانين . وقال للمحتجين عليهم « أما قرأتم قط إنه من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسييحاً » (مت ٢١ : ١٦) (مز ٨ : ٢) .

كان الرب يحب الأطفال ويحتضنهم (مر ١٠ : ١٦) .

ولما كانوا ينعونهم عنه استصغاراً لهم ، كان يقول « دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤) (مر ١٠ : ١٤) . وكان الرب أيضاً يقول « انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار » .

وقد اختار الرب أطفالاً للنبوة والخدمة ولستوليات خطيرة :

اختار الطفل صموئيل ، وناداه باسمه ثلاث مرات ، وحمله رسالة يبكت بها على الكاهن فى المرة الرابعة . نعم كلمه الرب وقت قيل عنه « وكانت كلمة الرب عزيزة فى تلك الأيام » (١ صم ٣ : ١ - ١٤) . وجعل أنه قيل عن صموئيل « وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبي ، متمنطق بأفود من كتان . وعملت له أمه حبة صغيرة » (١ صم ٢ : ١٨ ، ١٩) .

وكما اختار الرب صموئيل الطفل . اختار الرب أرميا الطفل أيضاً .

وقال له « قبلما صورتك فى البطن عرفتك . وقبلما خرجت من البطن قدستك . جعلتك نبياً للشعوب » (أر ١ : ٥) . ولما اعتذر ارميا الصغير بقوله « آه ، يا سيد الرب . إني لا أعرف أن أتكلم لأننى ولد » ، شجعه الرب قائلاً « لا تقل إني ولد ... لا تخف من وجوههم ، لأننى أنا معك لأنقذك ... ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر ، قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك ، لتقلع وتهدم ... وتبنى وتغرس » (أر ١ : ٧ - ١٠) .

ويشجع الرب هذا الصبي الصغير ، ويقول له إهنا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس ، علي كل الأرض ، لملوك يهوذا وروسائها وكهنتها ولشعب الأرض ، فيحاربونك ولا يقدرون عليك . لئي انا معك يقول الرب لأنفذك { أرم ١: ١٨، ١٩ } .

حقاً ما أعجب محبة الرب للصغار . وتشجيعه لهم .

كل هذه المسؤوليات والوعود يقدسها للصبي الصغير ارساء ، الذي عرف الرب قلبه قبل ان يولد ... حقاً ، { سيجوا الرب أيها الفتيان ، سيجوا الرب } { مز ١١٣ } ... الرب يرفع معنويات الصغار ، ويعينهم في مسؤوليات قد تبدو فوق مستواهم . ولكنه إلي جوارها عبارة { لا تخف . انا معك } .

وإذا بالصغير - نتيجة لمحبة الله - يصبح أكبر من الكبار !!

يوسف الصديق كان أصغر أخوته . ولكن الله في محيطه له أظهر هذه المحبة في احلام ، وفيها الدلالة علي ان أخوته سوف ياتون ويسجدون له ... { تك ٣٧: ٥-١٠ } . صار المتسلط علي كل مصر ، بل جعله الله اباً لفرعون وسيدا لكل بيته { تك ٤: ٨ } ..

ومثل يوسف الصغير الذي احبه الله وباركه ، هكذا كان داود أصغر أخوته .

حدث ان يسي النبي لحنملي قد ابتداء السبعة الكبار الي صموئيل النبي ، ليأخذ منهم من يختاره الرب . ولم يختار الرب واحداً من كل هؤلاء . وقال يسي { بقي بعد الصغير . وهوذا يرعي الغنم } { ١ صم ١٦: ١١ } . هذا الصغير الذي لم يعفه أبوه من رعي الغنم في تلك اليوم ، ليحضر معهم الي التبيحة ويرى النبي العظيم نعم هذا الصغير هو الذي أمر الرب نبيه أن يسمحه ملكاً { ١ صم ١٦: ١٦ } . وحل روح الرب علي داود من ذلك اليوم فصاعداً { ١ صم ١٦: ١٣ } .

ولنذكر أيضاً في محبة الله للصغار: عنايته بالطفل موسى ، وبالطفل يوحنا :

موسى الطفل الذى كان معرضاً للموت مثل سائر الأطفال ، حسب أمر فرعون للقبليتين (خر ١٦ : ١٦) ... يرسل له الله ابنة فرعون ، فتراه فى سبط على جانب النهر ، فتحن عليه ، وتأخذه إلى القصر الملكى وتبناه ، وتأتى بأمه لترضعه ... ويكبر موسى ويصير نبياً .

كذلك يوحنا بن زكريا ، كان معرضاً فى طفولته أن يقتل مثل سائر أطفال بيت لحم ... كيف اعتنى به الله فعاش ، وصار أعظم من نبي ، بل أعظم من ولدته النساء ، وصار أيضاً الملاك الذى يهيب الطريق قدام السيد المسيح (مت ١١ : ٩ - ١١) ... حقاً ما أعجب محبة الرب للأطفال ...

صغار المواهب

ومن اهتمام الله بالصغار ، نذكر أيضاً الصغار فى المواهب .

كان موسى صغيراً فى مواهبه ، حسبما اعترف هو بهذا ، واعتذر عن إرسال الرب له . فقال «أنا ثقیل الفم واللسان» «لست صاحب كلام منذ أمس ، ولا أول من أمس» (خر ٤ : ١٠) . وقال أيضاً «أنا أغلف الشفتين» (خر ٦ : ٣٠) ... فإذا بهذا الأغلف الشفتين يصير كلمم الرب . ومن محبة الرب له ، اختار له هرون أخاه لمساعدته ، وقال له عن هرون «هو يكون لك فمأ . وأنت تكون له إلهأ» (خر ٤ : ١٦) ... ونقص مواهبه الجسدية لم تمنع اختياره ... !

* * *

وكما اختار الرب موسى الثقيل الفم واللسان ، اختار أيضاً ليثة وكانت عيناها ضعيفتين (تك ٢٩ : ١٧) .

وكانت مكروهة من زوجها يعقوب ، الذى كان يحب أختها راحيل أكثر منها . فلما رأى الرب ذلك عوضها بكثرة البنين . وما أجل هذه الآية التى تدل على حنو الرب ، إذ يقول الكتاب «ورأى الرب أن ليثة مكروهة ، ففتح رحمها . وأما راحيل فكانت عاقراً» (تك ٢٩ : ٣١) ... ووهب الله لليثة أن تلد ستة بنين ليعقوب وابنة هى

دينه (خر ٢٩ : ٢٠ : ٢١) .

وكان من بين أبنائها : لاوى ، الذى صار منه سبط الكهنوت ، ويهوذا الذى صار منه سبط الملوك . ومن نسله وُلد المسيح ...

ومن الناحية الأخرى ، لما تعبت راحيل بسبب عقمها ، عاد الرب فتحن عليها ، وولدت يوسف وقالت « قد نزع الله عارى » (تك ٢٩ : ٢٢ - ٢٤) .

* * *

ولعل من محبة الله ، وتحننه على صغار المواهب ، اختاره لجهال العالم !!

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول « اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . واختار الله ضعاف العالم ليخزي الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ، ليبطل الموجود ، لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧ - ٢٩) ... ماذا كان الرسول سوى جماعة غالبيتهم من الصيادين ...

واختار الرب الرعاة البدو ليبشرهم الملائكة بميلاد المسيح (لو ٢ : ٨ - ١٤) . واختار مريم المجدلية ، التى سبق أن أخرج منها سبعة شياطين ، لتكون مبشرة للرسول بالقيامة (مر ١٦ : ٩ ، ١٠) (يو ٢٠ : ١٧ ، ١٨) .

إنها محبة الرب التى ترفع معنويات الصغير ، فيصير كبيراً ...

صغار النفوس

ومن محبة الله أيضاً : الاهتمام بصغار النفوس .

وهكذا ورد فى أقوال الوحي الإلهى « شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . ثأنوا على الجميع » (١ تس ٥ : ١٤) . ويقول أيضاً « قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة » (عب ١٢ : ١٢) .. كل هؤلاء محبة الله ومراحه تدركهم حتى لا يدركهم اليأس . أليس هو الذى قيل عنه :

« قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ٢٠)

(أش ٤٢ : ٤) .

إنه يهتم بالفتيلة المدخنة ، حتى لا تنهار من صغر النفس ، قد تهب عليها ريح
بنعمته فتشعلها . وكذلك القصة المروضة قد يعصبها فتستقيم .

ومن اهتمامه بصغار النفوس قوله « ترغى أيتها العاقر التى لم تلد » ... « لحيفة
ترككت ، وبهرام عظيمة سأجمعك » « أوسعى مكان خيمتك ... لأنك تمتدين إلى اليمين
والى اليسار . ويرث نسلك أماً ، ويعمر مدناً خربة » (أش ٥٤ : ١-٧) .

ومن اهتمامه بصغار النفوس قوله « لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى
لأعصب منكسرى القلوب ، لأنادى للمسيبين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق »
(أش ٦١ : ١) .

لعل البعض يقول : من أنا حتى أحشر نفسى وسط رجال الله القديسين !؟ نقول
له : أحشر نفسك إذن مع الركب المخلة ، والفتيلة المدخنة ، ومع منكسرى القلوب ...

حقاً ، ليس أحد منسياً أمام الله ، مهتماً كان صغيراً ومسكيناً ومنكسراً .

إنه رجاء من ليس له رجاء ، عزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف ...
لقد عزى بطرس الذى صغرت نفسه بعد إنكاره ، وبكى بكاء مرأ (مت ٢٦ : ٧٥) ...
فظهر له بعد القيامة ورفع معنوياته بقوله له « ارفع غنمى . ارفع خرافى » (يو ٢١ : ١٥-
١٧) .

كذلك ظهر الرب لأبينا يعقوب وهو خائف من أخيه عيسو وقد صغرت نفسه جداً
فعرّاه وقواه وباركه (تك ٢٨ : ٣٢) .

صغار المركز

من محبة الله أيضاً أنه يهتم بصغار المركز .

راعوث الموابية ، وهى أرملة غريبة الجنس ، لا مركز لها ... اهتم بها الرب ،
وأعطاه نعمة فى عينى بوعز ، وصارت جدة لداود النبى . وحل اسمها أحد أسفار
العهد القديم ، ودخل اسمها فى سلسلة أنساب المسيح (مت ١) .

وراحب الزانية . أهتم بها الرب بعد توبتها وإيمانها ، وأدخلها أيضا في سلسلة الأنساب . حسينا الرسول في قائمة المشهورين بالإيمان ؛ عب ١١ : ٣١ . وسحل يشوع اسمها وأعطاه أماناً هي وأهل بيتها ؛ يش ٢ : ١٦ ، ١٧ .

إن كان الرب قد أعطي أهمية لراعيوت وراحاب ، فكذلك منح مركزاً لجدةعون .

جدةعون هذا لما دعاه الرب ليصنع به خلاصاً ، قال وهو شاعر بضالة شأنه ؛ ها عشريني هي الذلى في منسى . وأنا الأصغر في بيت أبي ؛ إ قض ١٥ : ٦ . ولكن الرب شددته وقوي إيمانه ، ومحنته علامات لتقويته ، وأراه آيات ، وصنع به انتصاراً عظيماً ، وصار من قضاه الشعب ، وسجل اسمه في سفر القضاة ؛ قض ٨ : ٦ . وكتب القديس بولس الرسول اسمه ضمن أبطال الإيمان ؛ عب ١١ : ٣٢ هذا الذي عشرينته هي الذلى في منسى .

بل لننظر الي بيت لحم ، القرية الصغيرة في يهوذا .

علي الرغم من صغرها وضالة شأنها ، إلا أن الرب قد خاطبها قائلاً ؛ وأنت يا بيت لحم ، ليست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعي شعبي (إسرائيل) ؛ مت ٢ : ٦ . وصارت بيت لحم هي مدينة داود النبي ، ثم المدينة التي ولد فيها السيد المسيح له المجد ... ومنحها الرب عظمه لم تكنها أمهات المدن وعواصم الممالك ...

ومن اهتمام الرب بالصغار ، أنه أطلق هذا اللقب علي المؤمنين به :

وقال في ذلك ؛ لأتخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت ؛ إ نو ١٢ : ٣٢ . وهذا القطيع الصغير - ربما في عده هو الذي سيدخل ملكوت السموات . لأن الباب المؤدي الي الحياة الأبدية هو باب ضيق ، إ وقيلون هم الذين يجدونه ؛ إ مت ١٤ : ٧ .

بودي أن أتحدثك عن اهتمام الرب في محبته بأمور كثيرة صغيرة :

كالأشياء الصغيرة في عددها، أو في قيمتها، أو في حجمها، أو اهتمامه
بالخلوقات الصغيرة في شأنها، أو اهتمامه بالعمل الصغير...

صغار العدد والقيمة

اهتمام الرب بالصغير في القيمة ، وفي العدد .

في معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين ، نرى أن الرب أمسك
هذا القليل في يده ، وباركه فصار كثيراً يمكنه إشباع « خمسة آلاف رجل غير النساء
والأطفال » (مت ١٤ : ٢١) . على أن العجيب أيضاً ، هو قول الرب لتلاميذه « اجمعوا
الكسر الفاضلة » (يو ٦ : ١٢) !! ما قيمة هذه الكسر يارب حتى تهتم بها ؟!

إنه شيء معز حقاً ، أن يهتم الرب بهذه الكسر الملقاة .

ويأمر تلاميذه القديسين أن يجمعوها في قفف ويحملوها !!

لذلك ، قل له « يارب ، إن كنت قد اهتممت بهذه الكسر ، فعلى الأقل تهتم
بإنسان مثلي ، ملقى على الأرض مثلها ، ليحملة لا رسول من رسلك ، إنما واحد من
تلاميذ تلاميذهم مهما صغرا !!

نلاحظ بالنسبة إلى الخمس خبزات أنها كانت من شعير (يو ٦ : ٩) .. وقيمته أقل
من القمح بلا شك . ولكن الرب لم يحتقر هذه القيمة الأقل ، بل منحها بركة إشباع
الناس . كذلك تقبل هذه الأرغفة من فتى صغير (a lad) . ليرينا في كل ذلك
اهتمامه بالصغار .

نفس مباركة العدد الصغير وردت في معجزة أخرى لإشباع أربعة آلاف رجل غير
النساء والأطفال من سبعة أرغفة « وقليل من صغار السمك » (مت ١٥ : ٣٤ - ٣٨) .
وجيل هنا أن تجتمع كلمة (قليل) مع كلمة صغار ، لنرى منهما كيف أن محبة الله لا
تحتقر القليل ولا الصغير ، بل تعمل بكليهما عملاً .

لعل هذا يذكرنا بانتصارات سمح بها الرب، بالقليل وبالصغير.

داود الفتى الصغير ، كان محتقراً أمام جليات الجبار . ولكنه لم يكن كذلك أمام الله المحب ، الذى قيل عنه « ليس عند الرب مانع من أن يخلص بالكثير أو بالقليل » (صم ١٤ : ٦) . بل كثيراً ما يخلص الرب بالقليل ، كما فعل مع الفتى داود . ذلك لأن « الحرب للرب » (صم ١٧ : ٤٧) . والرب يحب أن يختار الصغار... ويجعل من داود الصغير بطل الموقف ، أكثر من شاول الملك . ويهتف النسوة بالألوف لشاول ، وبالربوات لداود (صم ١٨ : ٧) . ويمجد الرب هذا الفتى الصغير فى أعين الكل ...

ولنا مثال آخر فى قصة انتصار جدعون على المديانيين .

كان مع جدعون جيش من ٣٢ ألفاً من الجند . ولكن الرب لم يشأ أن ينتصر جدعون بهذا الجيش الكبير ، « لئلا يفتخر إسرائيل » (قض ٧ : ٢ ، ٣) . وأمر بعمل تصفية للجيش ، حتى وصل العدد إلى ثلاثمائة فقط (أى ١٪ فقط من عدد الجيش) (قض ٧ : ٧) . وبهؤلاء فقط ، صنع الرب خلاصاً ، بهذا العدد الصغير...

اختار الرب اثنى عشر رسولاً ، لينشر بهم الإيمان .

نعم ، بهذا العدد القليل ، الذين قال لهم « تكونون لى شهوداً فى اورشليم ، وكل اليهودية ، والسامرة ، وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) . وحتى لو أضفنا إليهم السبعين تلميذاً (لوقا ١٠) ، ماذا يكون هذا العدد الصغير ، ليكرز بالإنجيل للخليقة كلها؟! (مر ١٦ : ١٥) ، ولكى يتلمذوا جميع الأمم ويعلموهم ويعمدوهم (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

النفس الواحدة

اهتمام الرب بالأشياء الصغيرة نجده أيضاً فى أمثلة التوبة :

الدرهم المفقود مثلاً ، ما قيمته ، حتى توقد صاحبتة (أى الكنيسة) سراجاً ، وتفتش باجتهاد حتى تجده ! ومتى وجدته تدعو الصديقات والجارات ، قائلة افرحن

معى، لأننى وجدت الدرهم الذى أضعته (لو ١٥ : ٨ ، ٩) .

إنه ليس ديناراً ، ولا قطعة ذهبية ، ولا حتى فضية ... بل هو مجرد درهم ... ولكن محبة الله تشمل الصغار مهما كانت قيمتهم تبدو ضئيلة !

* * *

إن اهتمام الرب بالنفس الواحدة ، دليل على محبته الفائقة :

حتى لو كانت نفس زكا العشار (لو ١٩) أو مريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين (لو ٨) ، أو حتى لو كانت نفس المرأة المضبوطة فى ذات الفعل (يو ٨) .. أو كانت نفس ذلك الخروف الواحد الضال ، الذى من أجل إرجاعه ترك التسعة والتسعين ، وبحث عنه حتى وجده ، وحمله على منكبيه فرحاً ، ودعا الأصدقاء والجيران ، قائلاً افرحوا معى ... لأنه يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب (لو ١٥ : ٤ - ١٠) .

محبة الله تعطينا فكرة عن قيمة النفس الواحدة قدامه .

حتى لو كانت ضالة فوجدت ، أو مينة فعاشت (لو ١٥ : ٢٤ ، ٣٢) .

إنه لا يهتم بالنفس فقط ، بل أيضاً بكل ما يتعلق بها ... انظروا كيف يطمئن تلاميذه قائلاً : أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . فلا تخافوا (مت ١٠ : ٣٠ ، ٣١) (لو ١٢ : ٧) .

* * *

إن الله لم يقصر محبته على الإنسان وحده ، بل اهتم بالخليقة كلها .

هوذا يقول عن عنايته هذه « تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو : لا تتعب ، ولا تغزل . ولكن أقول لكم ولا سليمان فى كل مجده ، كان يلبس كواحدة منها » (مت ٦ : ٢٨ ، ٢٩) ... نعم ، ما هذا الجمال كله الذى وهبه الله لهذه الزهور والورود ، فى متنوع ألوانها وفى رائحتها ، وفى مقدار العطر المخزون فيها ، والشهد المأخوذ منها ... !!

* * *

اهتمامه بالطير

ثم ما أعجب إهتمام الرب بالطير ...

قال الرب « أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم » (مت ١٠ : ٢٩). هذه العصافير التي ثمنها زهيد جداً، لا يسقط واحد منها على الأرض بدون سماح من الله الآب ... فإن كان عصفوران بفلس، يكون أربعة منها بفلسين . ولكنه يقول أليست خمسة عصافير تباع بفلسين، وواحد منها ليس منسياً أمام الله » (لوقا ١٢ : ٦). أى أن الواحد الذى يمكن أن يوهب مجاناً في سعر الجملة، إذا اشترى منها الشارى بفلسين ... هذا الواحد الذى لا قيمة له ولا ثمن، ليس منسياً أمام الله ... ما أعجب الله في خلقه . فإن كانت هكذا عنايته بالعصافير، فكم بالأولى البشر الذين هم أفضل من عصافير كثيرة (لوقا ٧ : ٧).

* * *

ونضرب هنا مثالين لعناية الله بالطير.

يقول الرب « أنظروا إلى طيور السماء : إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوى يقوتها. أليست أنتم بالحرى لأفضل منها » (مت ٦ : ٢٦) (لوقا ١٢ : ٢٤). ويقول المزمور عن الرب « المعطى البهائم طعامها، ولفراخ الغربان التى تدعوه » (مز ١٤٧ : ٩).

* * *

في إحدى المرات وأنا في الدير، أخذت درساً عن إيمان وقناعة العصافير.

كنت واقفاً أمام قلايتى . وكانت حفنة أو أكثر من القمح قد وقعت على الأرض . وجاءت العصافير: كان كل عصفور يلتقط حبتين أو ثلاثاً، ويطير تاركاً هذا الكنز من الطعام مكانه، وله إيمان أن الله سيقوته حيثما طار. وهنا تذكرت قول الرب عن العصافير « ولا تجمع إلى مخازن » ... حقاً إن إيمان العصفور أعمق بكثير من اجتهد النملة ... هذه العصافير التى لا تهتم بما للغد، ولا بما لباقي اليوم ...

* * *

أما عن حماية الله للعصافير .

فيعجبني جداً قول المزمور « نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض » (مز ٢٤ : ٧ ، ٨) .. حقاً ، لا يسقط واحد منها بدون أبيكم ...

وهناك لمسة حنان يقوها الرب بالنسبة إلى الطيور .

يقول في سفر التثنية « إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق ، في شجرة ما أو على الأرض ، فيه فراخ أو بيض ، والأم حاضنة القراخ أو البيض . فلا تأخذ الأم مع الأولاد . اطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد ، لكى يكون لك خير وطول أيام » (تث ٢٢ : ٦ ، ٧) . نلاحظ أن هنا وعداً بالبركة ، لمن تكون له هذه اللمة الإنسانية .

ولعل اهتمام الله الحنون بالمشاعر التى بين الأم والأولاد في عالم الحيوان ، قوله أيضاً « لا تطبخ جدياً بلبن أمه » (خر ٢٣ : ١٩) .

اهتمامه بالحيوان

أما شفقة الله على الحيوان ، فلها أمثلة عديدة جداً :

لعل من أقدم أمثلتها أنه أدخل جميع الحيوانات إلى الفلك ، اثنين من كل ، ذكراً وأنثى ، لاستبقائها ، سواء من الحيوانات الطاهرة أو غير الطاهرة (تك ٦ : ١٩ - ٢١) وأخذ نوح معه طعامها في الفلك . ولكى لا تنقرض الحيوانات الطاهرة التى ستقدم منها الذبائح والمحركات ، أخذ منها سبعة ، ذكراً وأنثى (تك ٧ : ٢ ، ٣) .

ومن اهتمام الله بالحيوان شففته على حمار بلعام (عد ٢٢) .

* * *

ومن شفقة الله على الحيوان إراحته في اليوم السابع .

وفي ذلك قال الرب في الوصايا العشر « وأما اليوم السابع ، فسبت للرب إلهك . لا تعمل فيه عملاً ما ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمك ، وثورك وحمارك وكل

يهانم [تث ١٤: ١٤] . كما أن الإنسان يتعب ويحتاج إلي يوم راحة في الأسبوع ،
كذلك عبده ، وبيتهه ...

بل بلغ الأمر في رحمة الله بخليقته أن يمنح الراحة للأرض أيضاً .

وهكذا قال [سنة ستين تزرع أرضك وتجمع غلتها . أما في السنة السابعة فتريحها ،
وتتركها ليأكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية . كذلك تفعل بكرمك
وزيتونك] [سنة أيام تعمل عملك . وأما اليوم السابع ، ففيه تستريح ، لكي يستريح
ثورك وحمارك ، ويتنفس ابن أمتك والغريب] [خر ٢٣: ١٠-١٢] .
وهنا نرى أن الرب في محبته وحنانه ، قد منح الراحة للإنسان والحيوان والأرض .
وبالنسبة إلي الإنسان منحها لأهل البيت وللغريب وللعبيد .

**ما أكثر الأمثلة التي تظهر حنو الله علي الحيوان ، نذكر منها قوله : (لا تحرث
علي ثور وحمار معاً) (تث ٢٢: ١٠) .**

الثور بلا شك أقوى من الحمار ، وأشد . وأسرع منه حركة ، فإن حرث معه ،
سيرهه تباطؤاً ، لأن الحمار لا يستطيع أن يجاريه . والله لا يريد للحمار هذا الإرهاق
، إشفافاً عليه وحنواً .

ولذلك عندما دخل أورشليم يوم أحد الشعانين ، قيل عنها [هوناً ملك ياتيك وديعاً ،
راكباً علي أتان وحش بن أتان]

[مت ٢١: ٥] . ذلك لكي يريح أحدهما الآخر . ربما يركب الأتان في الطريق
الصعبة ، والجحش في الطريق السهلة . وما أكثر تواضع الرب في قوله عن هذين
الحيوانين [قولاً أن الرب محتاج إليهما] [مت ٢١: ٢] .

ومن حنان الرب علي الحيوان قوله (لا تكم ثوراً دراساً) (تث ٢٥: ٤) .

الثور في وقت دراسة الفول أو القمح أو الشعير ، يجهد فيجوع ، فيمد فمه إلي
الحبوب ويأكل منها ، ليأخذ طاقة تساعد علي إكمال عمله . وهنا يأمر الله أن لا

توضع كمامة علي فم الثور تمنعه من الأكل أثناء العمل وبذل الجهد ... ! ما هذه
المحبة والحنان !

ومن حنان الله . لإنقاذ الحيوان إن وقع .

ومن ذلك يقول : لا تنتظر حمار أخيك أو ثوره واقفاً في الطريق وتتغاضى عنه بل
تقيمه معه لا محالة { تث ٢٦ : ٤ } . بل يقول أكثر من هذا : { إذا رأيت حمار
مبغضك واقفاً تحت حملة وعدلت عن حمله ، فلا بد أن تحل معه { خر ٢٣ : ٥ } .
وهنا يأمر بمحبة الحيوان ، وأيضاً بمحبة العنور .

بل من أجل إنقاذ الحيوان ، يوجب العمل في يوم السبت . فيقول : أي إنسان منكم
يكون له خروف واحد . فإن سقط هذا في حفرة في يوم السبت ، أفما يمسكه ويقيمه
!؟ { مت ١٢ : ١١ } .

ويقول كذلك : لا تنتظر ثور أخيك أو شاته شاردة وتتغاضى عنه ، بل ترده الي أخيك
لا محالة ... وهكذا تفعل بحماره { تث ٢٢ : ١ ، ٣ } .

وقد امتدح الله بعض هذه الحيوانات ، فيما تفعله أفضل من الإنسان .

فقال موبخاً إسمرائيل : الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسمرائيل فلا
يعرف . شعبي لا يفهم !! {

اش ١ : ٣ } . وقال عن النملة : اذهب الي النملة أيها الكسلان . تأمل طرقها وكن
حكيماً ... تعد في الصيف طعامها ، وتجمع الحصاد أكلها ... { أم ٦ : ٦ } .

لا ننسى أيضاً المواهب العجيبة التي منحها الله للنحل

تقديره الكبير للعمل الصغير

الله يهتم بالعمل الصغير ، ويطوّبه ، ويجعل منه شيئاً كبيراً ، ويكافئ عليه . وهذا من فرط محبته للبشر . انظروا كيف يقول :

« من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ ، فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٢) .

★ وهكذا جعل الله أجراً في ملكوته عن كأس الماء البارد .

مجرد كأس ماء بارد ، لم يتعب مقدمه فيه ، ولم يضيف إليه شيئاً . يؤكد الأمر كلمة (فقط) . ويزيد العمق أيضاً أنه لأحد الصغار ، وأنه باسم تلميذ . ولكن محبة الله لا تترك عملاً بدون أجر ، مهما صغر شأنه .

★ ★ ★

★ كذلك جعل الله شأناً كبيراً للإيمان الذى فى قدر حبة الخردل .

فقال « الحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل . ولا يكون شيء غير ممكن لكم » (مت ١٧ : ٢٠) ... إنه لم يطلب قدراً عظيماً من الإيمان ، إنما طوب حتى الإيمان الذى مثل حبة الخردل ، ومنحه قوة عجيبة وفاعلية .

★ ★ ★

★ وبالمثل طوب الرب فلسى الأرملة .

لم يحتقر القليل الذى قدمته ، إنما نظر إلى مشاعر القلب الذى قدم من أعوازه ، فقال « الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألفت فى الخزانة أكثر من جميع الذين ألقوا . لأن الجميع من فضلتهم ألقوا . وأما هذه فمن أعوازاها ألفت كل ما عندها ، كل معيشتها » (مر ١٢ : ٤٣ ، ٤٤) .

★ ونفس الوضع حدث مع أرملة صرفة صيدا التى قدمت لإيليا النبى فى فترة المجاعة ملء كف من الدقيق وقليلاً من الزيت ... لم ينس الرب تقدمتها هذه ،

وباركها قائلاً: إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص، إلى اليوم الذى يعطى فيه الرب مطراً على وجه الأرض» (امل ١٧ : ١٢-١٦).

إن الله فى محبته للبشر، لا ينسى أبداً العمل الطيب الذى تعمله بنية مقدسة، مهما كان صغيراً فى نظر الناس. ولكنه ليس كذلك فى حكم الله...

★ إنه لم ينس مطلقاً زيارة ملكة التيمن لسليمان.

واعتبر هذه الزيارة عملاً عظيماً وبخ به الجليل الذى رفضه. فقال إن «ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجليل وتدينه، لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهؤلاء أعظم من سليمان ههنا» (مت ١٢ : ٤٢).

★ وطوب الرب أيضاً وكيل الظلم، لاهتمامه بمستقبله.

على الرغم من أخطاء هذا الوكيل الذى أدت إلى فصله من وظيفته. وعلى الرغم من سلوكه الظالم لصاحب المال بالنسبة إلى مديونيه... ومع ذلك يقول الكتاب «فمدح السيد وكيل الظلم، إذ بحكمة فعل» (لو ١٦ : ١-٨). وجد له وسط أخطائه الكثيرة شيئاً يمدحه عليه، وهو الحكمة فى تدبير أمور المستقبل. وقدمه لنا مثلاً فى الحكمة، لا فى الأخطاء...

★ ومن محبة الله أن جملة واحدة جعلها سبباً فى خلاص خطاة.

عبارة واحدة قالها العشار «اللهم ارحمنى أنا الخاطيء» (لو ١٨ : ١٣)، جعلته يخرج من الهيكل مبرراً. إذ نظر الله إلى انسحاق وتوبة القلب، واعتبر هذه الجملة الواحدة كافية لأن ينال العشار المغفرة.

وبالمثل عبارة واحدة قالها اللص التائب «اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك» (لو ٢٣ : ٤٣)... أخذ الله ما فيها من إيمان وتوبة، ووعد هذا اللص بأنه سيكون معه فى نفس اليوم فى الفردوس... ولم يحاسبه على كل ماضيه الأثيم، كما لم يحاسب العشار أيضاً على ماضيه الظالم.

وبالمثل أيضاً قبل إليه زكا العشار .

ما الذي فعله زكا لكي ينال إعلاناً عجيباً من الرب قال عنه فيه {اليوم حصل خلاص لهذا البيت {
{لو: ١٩: ٩}؟! مجرد أن زكا {ركض متقدماً، وصعد إلي جميزة لكي يراه} ... ولكن هذا العمل
الذي يبدو صغيراً ، فيه الرب مشاعر عميقة وكثيرة تستحق الخلاص ، فاعترف زكا وقدم توبة
وتعويضاً عن أخطائه ، واستحق أن يدخل السيد إلي بيته ...

* كذلك قد يبدو أن ما فعلته المرأة السامرية شيئاً ضئيلاً !!

الرب هو الذي قادها إلي الاعتراف والتوبة وإلي الإيمان . بل هو الذي ذكر لها خطايانا ، دون
أن تذكرها هي ... ربما اكتفي بإيماءة منها ، أو بمجرد قولها { ليس لها زوج } { يو: ٤: ١٧ } .
وأكمل لها ما لم تقله وخلصت هذه المرأة ، ولم يوبخها الرب علي شيء من كل أخطائها
القديمة !! ما أعمق حنوه!

* بل ما أعجب عمل المحبة الذي عامل به الرب لوطاً وأسرته .

لم يطلب لوط أن يخرج من مدينه سادوم الخاطئة ، وقد فقد هيئته فيها . بل أرسل الله ملاكين
لإخراجه وأنقاذه من أجل شفاعته أبنيا إبراهيم . ويقول الكتاب في خروج لوط { كان الملاك
يعجلان لوطاً قائلين : قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين ، لتلا تهلك بإثم المدينة . ولما تواني
، أمسكا بيده وييدا امرأته وييدا ابنتيه ، لشفقة الرب عليه . واخرجاه ووضعاه خارج المدينة } {
تك: ١٩: ١٥ ، ١٦} ... وخلص لوط { لشفقة الرب عليه } علي الرغم من توانيهِ في الخروج يكفي
انه أطاع ولو بدفعه دفعا إلي الخارج .

* ومن محبة الله في قبوله للعمل الصغير ، مثل الزرع الجيد .

قال في مثل الزارع وبذاره { وسقط آخر علي الأرض الجيدة ، فأعطي ثمراً :

بعضه مائه ، وآخر ستين ، وآخر ثلاثين } { مت: ١٣: ٨} ... حتي الذي أعطي ثلاثين فقط

اعتبره من ثمر الأرض الجيدة... يكفي أن الأرض قد أعطت ثمراً، حتى لو كان قليلاً...

* يذكرنا هذا بأنه أعطى نفس البركة لصاحب الوزنتين، كما أعطاهما لصاحب الخمس وزنات. وقال لكليهما إنه عبد صالح وأمين، وأدخله إلى فرح سيده (مت ٢٥ : ١٤ - ٢٣).

* * *

* يذكرنا هذا بقول الرب «كنت أميناً في القليل» (مت ٢٥ : ٢١)، (٢٣).

إن الأمين في القليل ينال نفس البركة ويدخل إلى الملكوت. إن الله لا ينظر إلى مقدار مسئوليتك، كبيرة وخطيرة أم صغيرة وضحيلة. إنما المهم أمانتك فيها. لا شك أن أمانة الشماس اسطفانوس أول الشهداء جعلته أمام الله في رفعة قد لا تقل عن الرسل...

* * *

* وتبدو محبة الرب وقبوله للعمل القليل، في يوم الدينونة.

قال للذين أوقفهم على يمينه «تعالوا يا مباركي أبى، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم». لماذا؟ هل لعمل كرازي عظيم أوصلوا الإيمان به إلى كثيرين وأدخلوهم إلى عمق الروحيات؟! كلا، إنه يقول لهم «لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى. كنت غريباً فأوَيْتمونى، عرياناً فكسوتونى...» (مت ٢٥ : ٣٤ - ٣٦). وهل هذا القليل يارب يدخلهم ملكوتك مثل كبار الرسل وصانعي المعجزات؟! نعم، إن محبة الرب تسمح بهذا...

* يذكرنا هذا أيضاً بأصحاب الساعة الحادية عشرة.

هؤلاء الذين جاءوا إلى كرمه في آخر النهار، ولم يشتغلوا سوى ساعة واحدة. ومع ذلك أعطاهم نفس الأجر كالذين عملوا النهار كله، شفقة منه عليهم، إذ كانوا بطالين لأنه لم يستأجرهم أحد (مت ٢٠ : ١ - ١٥).

ونحن نذكر هؤلاء في صلاة الغروب كل يوم، متذكّرين شفقة الله على أولئك

الذين أتوا إليه متأخرين ، ونطلب إليه أن يحسبنا معهم ...

* محبة الله للذين عملوا قليلاً ، علمها الرب لتلاميذه أيضاً

فعاملوا بها الأمم لما قبلوا الإيمان وهكذا قالوا { لا يتقل علي الرجعين إلى الله من الأمم ، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم } وهكذا فعلوا {ع ١٥ : ٢٩، ٢٠، ١٩} .

وبالمثل قال معلمنا بولس لأهل كورنثوس {وأنا أيها الأخوة لم استطع أن أكلمكم كروحيين ، بل كجسديين كأطفال في المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون ...} {١ كو ٣ : ١، ٢} .

إن الله في محبته يرضي بالقليل الذي تبذله ، علي شرط أن يكون آخر جهديك ، لا عن إهمال ، بل عن ضعف ...

* وهكذا نقول في أوشيه القرايين {أصحاب الكثير وأصحاب القليل} .

بل نقول أكثر من هذا {والذين يريدون أن يقدموا لك ، وليس لهم} ... ليس جميع الناس في مستوي واحد من الروحيات . والله في محبته للبشر يقبل كل المستويات ، كل واحد حسب درجته . وفي الملكوت نجم يفوق نجماً في المجد {١ كو ١٥ : ٤١} .

* كل المستويات الروحية يقبلها في ملكوته .

يقبل الذين عاشوا في حياة الصلاة الدائمة وحياة النسك والزهد ، كالسواح والمتوحدين . كما يقبل الذين عاشوا في المجتمع ومشغوليته ، وعلي قدر طاقتهم وإمكاناتهم يصلون ويصومون . يقبل الرعاية كما يقبل الرعاية . يقبل المخدومين كما يقبل الخدام ... في جسده أي الكنيسة أعضاء كثيرون . والله يقبل العين ، كما يقبل اليد والقدم . ومحبته تشمل الكل .

* وفي لقائه مع الشاب الغني ، نري مثلاً لتعامل الرب .

لم يطلب منه أولاً حياة الكمال في الزهد والتجرد . وإنما قال له {إن أردت أن تدخل الحياة ، احفظ الوصايا} . فلما أجاب {هذه كلها حفظتها منذ حداثتي} نقله الرب إلي الدرجة الأعلى وقال {أن أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب وبع كل أملاكك واعط الفقراء ، فيكون كثراً في السماء} {مت ١٩ : ١٧-٢١} . هنا نري الرب في حنوه يتدرج مع النفس البشرية .

* وهو في حنوه أيضاً يقدر مشاعر الإنسان وحالته النفسية .

كان نيقوديموس أحد رؤساء اليهود ، وكان خائفاً منهم ، لذلك أتى إلي المسيح ليلاً {يو ٣ ، ٢ ، ١} . وقبل الرب ذلك منه ، دون أن يسأله عن خوفه ... وتدرج معه ، إلي أن صار فيما بعد تلميذاً له ، واشترك مع يوسف الراعي في تكفينه {يو ١٩ : ٣٩-٤٠} .

* نري كذلك قبول الله للعمل الصغير في حياة الملوك القديسين في العهد القديم .

قيل عن سليمان الحكيم إن النساء الغريبات أغوينه في زمن شيخوخته ، وأملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه {١ مل ١١ : ٤} . ونحن نعلم أن داود النبي كانت له أخطاؤه المعروفة والتي عاقبة الرب علي بعضها {٢ صم ١٢} {٢ صم ٢٤ : ١٠-١٥} ... ومع ذلك يقول الكتاب إن قلبه كان كاملاً أمام الرب ... لعل الله كان يقصد مجرد إيمان داود ، وعدم اتباعه آلهة أخرى ... وهكذا قيل عن باقي الملوك القديسين في العهد القديم . كانوا كاملين من حيث الإيمان . وقبل الله منهم ذلك . وكان يعفو عن أخطائهم بالتوبة .

* وعبرة {كاملاً} قيلت أيضاً عن كثير من أنبياء العهد القديم ، وكانت لهم أخطاء... أيوب الصديق مثلاً ، قال عنه الرب أكثر من مرة أنه رجل كامل ومستقيم

(أى ١ : ٨) (أى ٢ : ٣) . وعلى الرغم من ذلك سجل الوحي الإلهى عنه إنه « كان باراً فى عينى نفسه » (أى ٣٢ : ١ ، ٢) . وقد وبخه أليهو بن برخثيل البوزى (أى ٣٢) (أى ٣٥ : ١) . بل وبخه الله نفسه ، وسأله أسئلة ليثبت له جهله (أى ٣٨ : ١ - ٤) ... إلى أن اعترف أخيراً بضعفه ، وندم فى التراب والرماد (أى ٤٢ : ١ - ٦) ... وحينئذ رفع الرب وجهه ، وقال لأصحاب أيوب (.. لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٨) .

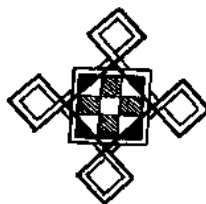
إن الله يعاملنا بالكمال النسبى ، الذى يناسب ضعفنا البشرى .

لأنه « يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن » (مز ١٠٣ : ١٤) .

لذلك يقبل أى عمل صغير نعمله ، ويطوبنا عليه ... بل كما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « ... إن الله يجول ملتصقاً سبباً لخلاصك . حتى ولو دمة واحدة تسكبها ... يسرع الله لأخذها ، قبل أن يخطفها منك شيطان المجد الباطل .

ولكن ليس معنى هذا أن نتهاون معتمدين على حنو الله ومحبه .

حقاً إن الله مستعد أن يقبل منا العمل الصغير . ولكن علينا نحن أن نبذل كل الجهد ، وأن نقاوم حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢ : ٤) . وأن نسعى نحو القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب . ونذكر باستمرار قوله « كونوا قديسين ، لأننى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٦) (لا ١١ : ٤٤ ، ٤٥) ... ونسير زمان غربتنا بخوف (١ بط ١ : ١٧) « مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .



الفصل الرابع :

محبة الله في شرائعه

- ١ - في معاملة العبيد .
- ٢ - في معاملة الغريب واليتيم والأرملة
- ٣ - في معاملة الفقراء والمساكين .
- ٤ - شرائعه الخاصة بالرهن والقرض .
- ٥ - شرائعه في منع الربا .
- ٦ - إنصاف المظلومين .
- ٧ - منع العنف .

شريعة الله مملوءة حباً لخليقته . كلها حنو وعطف ، على كل من هو محتاج إلى لمة حنان ، يعلمنا بها كيف نعامل المساكين بالحب...

معاملة العبيد

★ ومن ذلك : الشرائع الخاصة بالشفقة على العبيد .

فقد شملت الوصايا العشر إراحة العبد في اليوم السابع . إذ قال الرب في تقديس هذا اليوم « لا تصنع عملاً ما : أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزريك الذى داخل أبوابك » (خر ٢٠ : ١٠) . « لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك . وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر... » (تث ٥ : ١٤ ، ١٥) .

والهنا المحب كما أراح العبد في اليوم السابع ، أمر بتحريره في العام السابع ..

فقال « إذا اشتريت عبداً عبرانياً ، فست سنين يخدم ، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً ... إن كان بعل امرأة ، تخرج إمرأته معه .. » (خر ٢١ : ٢ ، ٣) . « في السنة السابعة ، تطلقه حراً من عندك . وحين تطلقه حراً من عندك ، لا تطلقه فارغاً . تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك ، كما باركك الرب إلهك تعطيه . واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر .. » (تث ١٥ : ١٢ - ١٥) .

وفي معاملة العبد الهارب يقول الرب :

« عبداً أبقَ إليك من مولاه ، لا تسلم إلى مولاه . عندك يقيم في وسطك في المكان الذى يختاره في أحد أبوابك حيث يطيب له . لا تظلمه » (تث ٢٣ : ١٥) . أى أن الله منح هذا العبد حق اللجوء إليك ... فغالباً لا يهرب العبد من سيده إلا إذا كان في خطر

منه، وكان السيد قاسياً عليه .

★ ★ ★

كذلك أعطى الرب العبيد والأجراء الاستفادة بغلة العام السابع .

فقال « وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة، سبت للرب . لا تزرع حقلك، ولا تقضب كرمك . زرع حصيدك لا تحصد، وعنب كرمك المحول لا تقطف . سنة عطلة تكون للأرض، ويكون سبت الأرض لكم طعاماً : لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولستوطنك النازلين عندك ولبهائمك » (لا ٢٥ : ٤ - ٧) .

★ ★ ★

وأمر الرب بالعتق لجميع العبيد في سنة اليوبيل .

وهي السنة الخمسون في العهد القديم، وتكون مقدسة وعيداً . وقال عنها الرب « وتقديسون السنة الخمسين . وتنادون بالعتق في الأرض لجميع سكانها » (لا ٢٥ : ١٠) ... حتى الذي باع أرضه، يرد إلى ملكه في سنة اليوبيل (لا ٢٥ : ١٠ ، ٢٨) .

الغريب واليتيم

★ ظهرت محبة الرب أيضاً في معاملة الغريب .

فقال « ولا تضايق الغريب . فإنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر » (خر ٢٣ : ٩) . وقال أيضاً « وإذا نزل عندك غريب في أرضكم، فلا تظلموه . كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم . وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر » (لا ١٩ : ٣٣) . وقال الرب أيضاً عن معاملة الغرباء في الأحكام « حكم واحد يكون لكم : الغريب يكون كالوطني » (لا ٢٤ : ٢٢) .

★ ★ ★

★ وفي الشفقة على الغريب واليتيم والأرملة :

قال الرب « وإذا افتقر اخوك وقصرت يده عندك، فاعضده غريباً أو مستوطناً، فيعيش معك » (لا ٢٥ : ٣٥) ... « ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه ... ولا تسيء إلى أرملة ولا يتيم . إن أسأت إليه، فإنني إن صرخ إلى أسمع صراخه، فيحمي غضبي

واقْتَلِكُم بالسيف . فتصير نساؤكم أرامِل ، وأولادكم يتامى » (خر ٢٢ : ٢١-٢٤) .

* * *

وقال عن نصيب الغريب واليتيم والأرملة في موسم الحصاد وفي العشور :

* وعندما تحصدون حصيد أرضكم ، لا تكمل زوايا حقلك ، ولقاط حصيدك لا تلتقط . وكرمك لا تعلقه ، وبثار كرمك لا تلتقط . للمسكين والغريب تتركه » (لا ١٩ : ٩ ، ١٠) . وقال أيضاً « إن حصدت حصيدك في حقلك ، ونسيت حزمة في الحقل ، فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة تكون ، لكى يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك . وإذا تحببت زيتونك ، فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة تكون » (ث ٢٤ : ١٩-٢١) .

وقد أمر الرب أيضاً باعطاء اللاوى والغريب واليتيم والأرملة عند تعشير كل عَشْر المحصول ، لكى يأكلوا ويشبعوا (ث ٢٦ : ١٢) . وقال أيضاً « فى آخر ثلاث سنين ، تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة وتضعه فى أبوابك ، فىأتى اللاوى لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك ، والغريب واليتيم والأرملة الذين فى أبوابك ، فىأكلون ويشبعون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يدك الذى تعمل » (ث ١٤ : ٢٨ ، ٢٩) .

الفقراء والمساكين

* وما أكثر وصايا إلهنا المحب فى العطف على الفقراء :

فقال « إن كان فىك فقير ، أحد من أخوتك فى أحد أبوابك فى أرضك ... فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير . بل افتح يدك له » (تك ١٥ : ٧ ، ٨) .

بل يقول الكتاب أيضاً « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد يتامى والأرامِل فى ضيقهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) . ويقول الكتاب أيضاً « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب » (أم ٢١ : ١٣) .

* * *

بل الرب يعتبر من يقدم إلى المساكين ، كأنه يقدم له شخصياً .

فيقول للذين يقفون عن يمينه في يوم الدين «تعالوا إلىّ يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم. لأنني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فأويتموني، عرياناً فكسوتوني، مريضاً فزرتوني، محبوساً فأتيتم إلىّ... الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم» (مت ٢٥ : ٣٤ - ٤٠).

إن الشفقة على المساكين، جعلها الرب من أساسيات مسحته.

فقال «روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسرى القلب، لأنادي للمسيبين بالعنق، وللمأسورين بالإطلاق... لأعزي كل الناثحين... لأعطيهم جلالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرح عوضاً عن النوح..» (أش ٦١ : ١ - ٣).

★ وتظهر محبة الله أيضاً في منع تأخير أجره الأجير أو طلب الفقير:

فيقول في ذلك «لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً من أخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك في أبوابك. في يومه تعطيه أجرته، ولا تغرب عليها الشمس، لأنه فقير وإليها حامل نفسه. لئلا يصرخ إلى الرب فتكون عليك خطية» (تث ٢٤ : ١٤، ١٥).
ويقول الكتاب أيضاً «لا تمتنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد فاعطيك غداً، وموجود عندك» (أم ٣ : ٢٧، ٢٨).

الرهن والقرض

★ وقد ظهرت محبة الرب أيضاً في شريعة الرهن والقرض.

فمنع أن يسترهن شخص الأساسيات التي يحتاجها الفقير وتكون ضرورية له. فقال: «إن ارتهنت ثوب صاحبك، فألى غروب الشمس ترده له. لأنه وحده غطاؤه. هو ثوبه لجلده. في ماذا ينام؟! فيكون إذا صرخ، إلىّ، إني أسمع. لأنني رؤوف» (خر ٢٢ : ٢٦، ٢٧).

وقال أيضاً «لا يسترهن أحد رضى أو مرداتها، لأنه إنما يسترهن حياة» (تث ٢٤ : ٦). ذلك لأن الرضى التى يطحن عليها صاحبها غذاءه، أو يستخدمها لرضقه، إنما تمثل حياة بالنسبة إليه.

وبالمثل قال «لا تسترهن ثوب الأرملة» (تث ٢٤ : ١٧).

ومن الناحية النفسية أو الإنسانية فى مسألة القرض والرهن، قال الرب «إذا اقترضت صاحبك قرضاً، فلا تدخل بيته لكى ترتهن رهناً منه. فى الخارج تقف. والرجل الذى تقرضه، يخرج إليك الرهن إلى خارج. وإن كان رجلاً فقيراً، فلا تنم فى رهنه. ردّ إليه الرهن عند غروب الشمس، لكى ينام فى ثوبه ويباركك، فىكون لك برّ لدى الرب إلهك» (تث ٢٤ : ١٠-١٣).

كل هذه كانت وصايا فى العهد القديم، التى تناسب مستوى روحيات الناس وقتذاك. أما فى العهد الجديد، فإن الرب يقول فى العظة على الجبل «من سألك فاعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترد» (مت ٥ : ٤٢). وقال أيضاً «إن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأى فضل لكم؟! فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا. بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا واقترضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فىكون أجركم عظيماً، وتكونوا بنى العلى» (لوقا ٦ : ٣٤، ٣٥) «كل من سألك فاعطه. ومن أخذ الذى لك، فلا تطالبه» (لوقا ٦ : ٣٠). وقال كذلك على لسان المعمدان «من له ثوبان، فليعط من ليس له. ومن له طعام فليفعل هكذا» (لوقا ١١ : ١١).

ومن محبة الله تعليمه عن الديون فى سنة الإبراء.

إذ قال «فى آخر سبع سنين تعمل إبراء. وهذا هو حكم الإبراء: يبرىء كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه. لا يطالب صاحبه أو أخاه، لأنه قد نوى بإبراء للرب» (تث ١٥ : ١، ٢).

منع الربا

★ ومن محبة الله أيضاً تعليمه عن منع الربا :

إذ قال « لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض بربا » (ث ٢٣ : ١٩) « لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة ، بل أخش الرب إلهك ، فيعيش أخوك معك . فضتك لا تعطه بالربا . وطعامك لا تعطه بالمرابحة » (لا ٢٥ : ٣٦ ، ٣٧) . « إذا أقرضت فضة لشعبي الفقير الذى عندك ، فلا تكن له كالمرابى . لا تضعوا عليه ربا » (خر ٢٢ : ٢٥) .

لقد منع الله أخذ الربا من الفقير ، لأنه لا يملك ، ولأن أخذ الربا يزيده فقراً على فقر ، وهذا ضد الرحمة والمحبة . ويختلف الوضع بالنسبة إلى المصارف (البنوك) ، حيث أن المال الذى تضعه فيها ، تستخدمه فى استثمار اقتصادى وترى به . فتكون أنت شريكاً فى هذا الربح ، باعتبار أنك شريك فى رأس المال المستثمر...

إنصاف المظلومين

★ ومن محبة الله أيضاً الدفاع عن المظلومين والمساكين .

يقول المزمور عن الرب « الرب يحكم للمظلومين » (مز ١٤٦ : ٧) . « الرب يقوم المنحنيين ... الرب يحفظ الغرباء يعصم اليتيم والأرملة » (مز ١٤٦ : ٨ ، ٩) . (مز ١٤٥ : ١٤) . « الرب يجرى حكماً للمساكين وحقاً للبائسين » (مز ١٤٠ : ١٢) .

ويقول الرب « من أجل شقاء المساكين وتنهيد البائسين ، الآن أقوم - يقول الرب - أصنع الخلاص علانية » (مز ١١١ : ٥)

★ ★ ★

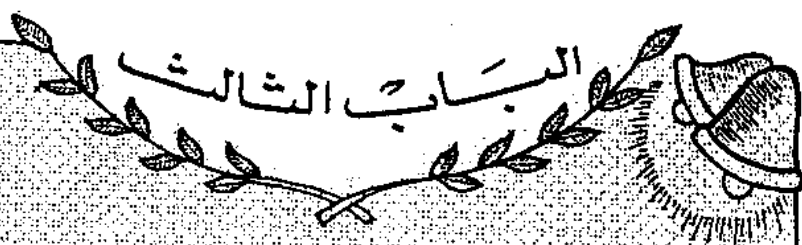
ويعطينا الكتاب مثلاً لدفاع الرب عن نابوت اليزريعى ، وعن أوريا الحثى . فلما اغتصب أخاب الملك وزوجته إيزابل حقل نابوت اليزريعى ودبرا مؤامرة

فقتلاه ، وإذا بالله يتدخل ويرسل إيليا النبي ليقول لآخاب الملك { في المكان الذي
 لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلي ، تلحس الكلاب دمك انت أيضاً ... }
 { ١ مل ٢١ : ١٩ } . وقد كان أنقم الرب من آخاب وزوجته إيزابل ، لدم نابوت
 اليزرعيلي الذي ظلم منهما .
 وبنفس الأسلوب ، وعقوبة أخرى ، عقب الرب داود الملك انتقاماً لدم أوريا الحثي
 الذي ظلم منه وتم قتله { ٢ صم ١٢ : ٧-١٢ } .
 وبالمثل أنقم الرب لدم هابيل الصديق الذي قتله أخوه { تك ٤ } .
 * ولكي ينقذ الرب الذين قتلوا خطأ ، أقام لهم مدن الملجأ .
 فأمر موسي بتخصيص ستة مدن تسمى { مدن الملجأ } . وقال في ذلك : { تعينون
 لأنفسكم مدناً تكون مدن ملجأ لكم ، ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً .
 فتكون لكم المدن ملجأ من الولي . لكي لا يموت القاتل ، حتي يقف أمام الجماعة
 للقضاء ... } { عد ٣٥ : ١٢ ، ١١ } ... ما أعجب محبة الله وحنوه ، إذ يشفق علي
 هؤلاء ويحميهم ولي الدم ...

وتشيتاً للعدل حتي لا يظلم أحد ، أمر الرب أن لا تقبل شهادة رجل واحد .
 وقال في ذلك { لا يقوم شاهد واحد علي إنسان في ذنب ما أو خطية ما من جميع
 الخطايا التي يخطيء بها . علي فم شاهدين أو فم ثلاثة شهود يقوم الأمر } { تث ١٩ :
 ١٥ } ... مع معاقبة شهود الزور { تث ١٩ : ١٦-٢١ } .

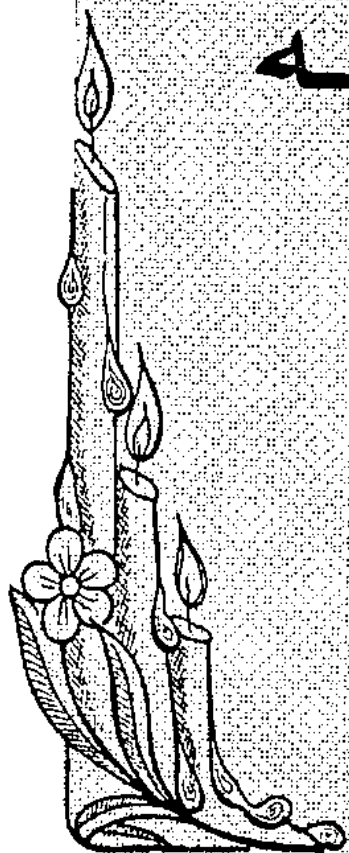
منع العنف

ومع محبة الله أنه منع العنف والتسلط (لا ٢٥ : ٢٣ ، ٤٦ ، ٤٣) .
 ومن محبته أيضاً منع أن يرسلوا إلي الحرب الرجل الخائف ، أو الذي خطب فتاه ، أو
 متزوج حديثاً . فقال { إذا أخذ رجل امرأة جديدة ، فلا يخرج في الجند ، ولا يحمل
 عليه أمر ما . حراً يكون في بيته سنة واحدة ، ويسر إمرأته التي أخذها } { تث ٢٤ :
 ٥ } . انظر أيضاً { تث ٢٠ : ٥-٨ }



البَابُ الثَّالِثُ

مَحَبَّتِنَا لِلَّهِ



فصول هذا الباب :

- ١- أهمية محبتنا لله ، ونتائجها .
- ٢- لماذا نحب الله ؟ وما هي عوائق المحبة .
- ٣- كيف نحب الله ؟
بدون الاستغناء عنه . بطرد كل محبة مضادة .
- ٤- نحب الله بتذكر إحساناته إلينا .
- ٥- نحب الله بالفكر فيه .
- ٦- نحبّه باتخاذهِ صديقاً ، وبعشرته .
- ٧- نحبّه بتأمل صفاته الجميلة وعلاقته بقديسيه .
- ٨- نحبّه بتأمل سير القديسين الذين أحبرهم وأحبوه .
- ٩- نحب الله ، بالصلاة ، صلاة الحب .
- ١٠- وسائل أخرى لمحبة الله :
مخافة الله / محبة الخير / محبة الناس .
وسائط النعمة / تذكارات الموت والأبدية .
- ١١- علامات محبتنا لله .

الفصل الأول :

أهمية محبتنا لله ونتائجها

أهمية محبتنا لله

إن الله لا يريد منك سوى شيء واحد ، فيه تكمن جميع الوصايا ، وهو المحبة . إن أحببت الله تكمل كل ما هو مطلوب منك . وإن لم تكن تحبه ، فباطل هو كل عملك .. !

فإن الله يريد قلبك ، وقلبك كله . وهكذا قيل في شريعة موسى « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك » (تث ٦) . وقد أكد السيد المسيح هذه الوصية في (مت ٢٢) . ويقول الرب في سفر الأمثال « يا ابني اعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . واعطاؤه قلبك تعنى كل القلب ، وليس مجرد جزء منه . وإلا فما هو مصير باقى الأجزاء .

إن الدين يا أخوتي ، ليس هو مجرد حلال وحرام !

أو مجرد أوامر ونواهي ، وناموس ونعمة ، بقدر ما هو حب ، نحو الله والناس . ومن هذا الحب ينبع كل خير .

وإن كنت لا تحب الله والناس ، فلست إنساناً متديناً ، مهما كانت لك صلوات وأصوام وقراءات وتأملات ، ومنح وعشور وخدمة ووعظ ...

فإن الله يريد الحب ، وليس مجرد الممارسات .

لا تظن أن الله يطلب منك واجبات أو فروضاً ، أو مجرد وصايا ترغم نفسك عليها ، لكى تظهر مطيعاً لأوامره ، أو لتكون باراً فى عيى نفسك ... إن كل ما يريده هو أن تحبه كما أحبك . وهذا الحب الذى يريده ليس هو أمراً موجهاً إليك ، إنما هو متعة مقدمة منه لك . تشعر فيها بالفرح ، إن كان قلبك نقياً وحياتك روحية ...

إن كنت لا تحب الله ، فأنت لم تعرفه بعد .

على أن معرفة الله أمر من المفروض أن يكون للمبتدئين . أما عن الكاملين فالمطلوب منهم هو الثبات في الله ، كما يقول « اثبتوا قى وأنا فيكم » تماماً « كما يثبت الغصن في الكرمة » (يو ١٥) . فهل تشعر أنك في الله كالغصن في الكرمة ، وعصارة الكرمة تسرى فيك ، وتصبح على صورتها .

أنت لست غريباً عن الله ، ومحبه ليست غريبة عليك .

فأنت ابن له . والمفروض أن الابن يحب أباه . وأنت هيكل لروح القدس ، وروح الله ساكن فيك (١كو ٣ ، ٥) . هو الأصل وأنت فرع . هو الرأس وأنت عضو في الجسد . حقاً كما قال بولس الرسول « هذا السر عظيم » (أف ٥) .

إن كان الحب الحقيقي لله ، هو الثبات فيه ، فماذا تكون الخطية إذن سوى انفصال عن الله ، إذ ليست هناك شركة بين النور والظلمة ... ما أصعب أن تتحول من الحب إلى الخصومة !!

أنت تحب الله ، وتحب كل الناس داخل محبة الله .

لا تسمح بوجود محبة في قلبك تتعارض مع محبة الله ، فهذه خيانة لله الذي خلقك ورعاك وفداك ... والكتاب يقول « محبة العالم عداوة لله » (يع ٤) . وقيل « إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » (١يو ٢) . ولذلك فإن الكنيسة تقول لنا في كل قداس « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . لأن العالم يبغضه وشهوته معه » (١يو ٢) .

كذلك لا نحب أحداً أو شيئاً أزيد من محبتنا لله .

فقد قال الرب « من أحب أباً أو أمأ أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب إبناً أو إبنة أو زوجة أكثر منى فلا يستحقنى » ... وهكذا قال الآباء الرسل « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » .. بل حتى نفسك ، لا تحبها أكثر من الله ، بل تضبطها وتقمعها في طاعته . وتنكر ذاتك ، وتبغض نفسك من أجل الرب ... وإذا أحببت الله من كل

القلب ، لا تسمح لأى شيء أن يفصلك عنه . فقد قال الرسول :

« من يفصلنى عن محبة المسيح ؟! ... » (روم ٨) .

لا شدة ولا ضيق ، ولا قوات حاضرة ولا مستقبلية ... ولا أية شهوة أو رغبة ... ما أعجب قصة ذلك القديس الذى كان سائراً فى البرية يصلى . فأتى ملاكان ساروا وحده عن يمينه ، والآخر عن يساره ، ولكنه لم يسمح لنفسه أن ينشغل بهما عن صلاته . بل قال فى فكره « من يفصلنى عن محبة المسيح ؟! لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة » !! واستمر فى عمق صلاته ...

إن كل محبة تبعدك عن محبة الله هى محبة غريبة خاطئة .

وكل محبة تنافس الله فى قلبك ، اهرب منها .

ولكنك يمكنك أن تحب كل الناس من أجل الله ، وداخل محبة الله . تحبهم فى المسيح يسوع الذى أحبهم . ولا تحبهم أكثر من الله . وحتى العالم الخاطيء ، تحبه أيضاً لكى تقوده إلى محبة الله ، لا لكى يشغلك عنه ...

القلب كله ملك لله ، فلا تسلبه شيئاً من حقوقه .

إن كان قد قال عن العشور « سلبتمونى ، قال الرب » (ملا ٤) ، فكم بالأكثر تسلبه ، إن أعطينا قلبنا لشيء ضده ، أو فضّلنا آخر عليه ؟! لذلك شبهت النفوس المحبة لله بالعدارى . وقيل فى سفر النشيد « أحبتك العذارى » (نش ١) . واللاثنى دخلن الملكوت شهن بخمس عذارى حكيمات (مت ٢٥) . وقال بولس الرسول « خطبتكم لرجل واحد ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح ... » (فلماذا هذه التشبيهات كلها ؟

لأن العذراء لم تعطِ ذاتها لآخر ...

وينطبق الإسم على كل نفس لم تعطِ قلبها لغير الله . ويتساوى فى هذا المتزوجون وغير المتزوجين ، مادام القلب فى محبته مكرساً لله وحده ... وهكذا قالت عذراء النشيد « أنا لحبيبي ، وحبيبي لى » أنا لست لشيء آخر ... ونلاحظ هنا استخدام كلمة « حبيبي » بدلاً من كلمة ربى وإلهى ، بسبب عاطفة الحب ، التى ندعوها بها أبانا ...

إنه حب متبادل بين الله والنفس البشرية .

بسيبه قال بولس الرسول « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح ... وأوجد فيه » (فى ٣) ... فإن كنا نتعلق بشيء فى العالم يشغلنا عن محبة الله ، فهذا دليل على أن محبتنا لله ليست كاملة ... لقد استطاع القديسون أن يفرغوا قلوبهم من كل حب ، لكى يكون الله هو الكل فى الكل فى قلوبهم ... لكى يكون الفكر كله لله ، والعاطفة كلها لله . فالحاجة إلى واحد ...

نتائج محبتنا لله

فإن أحببت الله ، تحب أن تتكلم معه ، فتحب الصلاة .

وتجد لذة فى الحديث مع الله . وتكون صلاتك مشبعة بالاشتياق إلى الله ، وإلى البقاء فى حضرته . وتقول مع داود النبى « باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » . فهل لك هذا الشبع الروحى فى الصلاة ؟ هل الصلاة تغذيك وتعزيك وتفرحك ، وتسمو بك فى أجواء عليا أرفع من مستواك ؟ وهل كل كلمة من الصلاة لها مذاقة حلوة فى فمك وفى ذهنك ومصدراً لتأملات ؟!

أم أنت تقاوم نفسك وتغضب نفسك ، لكى تصلى ! أو تلتمس أعذاراً كثيرة لكى لا تصلى ؟ محتجاً بالتعب وضيق الوقت . بينما السبب الوحيد لعدم صلاتك ، هو أنك لا تحب الله . فلو كنت تحب الله ، كنت تشاق إلى الحديث معه . ولو أحببت الصلاة ، تحب الله . فمتى إذن تحبه وتحبها ؟

* * *

الذى يحب الله لا يخطئ ، لأن محبته لله تمنعه من مخالفته .

وهذا واضح من الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول ، حيث يقول ويكرر إن « المولود من الله لا يخطئ » « لأن زرعته ثابت فيه » « والشرير لا يمس » . بل يقول عنه أكثر من هذا إنه : « لا يستطيع أن يخطئ » (١ يوحنا ٣ ، ٥) . أصبحت طبيعته لا تقبل الخطيئة . المحبة رفعتة فوق مستوى الخطيئة ، وفوق مستوى الوصية ، وفوق مستوى الجسد ...

فهو يمتنع عن الخطيئة ليس خوفاً من العقوبة ، ولا رعباً من جهنم ، إنما بسبب محبته لله ، وبالتالي محبته للخير . وهنا نقول :

الإنسان الذى يحب الله ، تتحد مشيئته مع مشيئة الله .

فهو فى محبته لله يقول له « لا تسمح يارب أن أشاء شيئاً لا تريده أنت . لتكون مشيئتى إذن هى مشيئتك . ولتكن مشيئتك هى مشيئتى . بل ليتنى لا تكون لى مشيئة على الإطلاق . بل ما تضعه أنت فى فكرى ، وفى قلبى ، هو الذى أعمله بكل رضا وحب .

لذلك فالذى يحب الله لا يجد صعوبة فى تنفيذ وصاياه .

« لأن وصاياه ليست ثقيلة » كما قال القديس يوحنا الرسول « والذى يحب الله ، يحب وصاياه أيضاً » ويجدها سراجاً لرجله ونوراً لسييله ، ويكون « فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً » ويقول للرب « وجدت كلامك كالشهد فأكلته » . إنه أحلى من العسل والشهد فى فمى فرحت به كمن وجد غنائم كثيرة (مز ١١٩) .

وصية الله ليست صعبة أمامه ، لأنه لا توجد فى قلبه النقى أية شهوة خاطئة تقاوم وصية الله .

ولأنه يعمل بضمون هذه الوصية ، حتى دون أن يقرأ عنها . إن المحبة رفعتة فوق مستوى الوصية . ولم يعد داخلاً تحت سيطرتها . الوصية لا تشكل عبئاً عليه ، وهى ليست مجرد أمر ، بل هى نور يضىء له الطريق إلى الله ، حتى لا يضل بحيل العدو أو بخطأ الأفكار . إنها الوسيلة التى بها ينقى الله قلبه ، فيصير حسب قلب الله . إنها الطريقة التى تجعل منه صورة لله ومثاله . حقاً إن الله من محبته لنا ، منحنا وصاياه . ونحن من محبتنا له نطيع هذه الوصايا ، بل ونفرح بها كرسالة إلينا من الله الذى نحبه .

الذى يحب الله لا يرى أن الوصية تقيده ، بل ترشده .

إنها ليست قيوداً على إرادته ، ولا هى حدٌ لحريته ، لأن الخطية والعادات السيئة هى التى تقيد حرية الإنسان ، وكلمة الله هى التى تحرره والذى يحب الله لا يرى الوصايا ضغطاً على إرادته ، لأن إرادته المتحررة تفرح بالوصايا التى قررها الله لمنفعتنا ...

الذى يحب الله ، يسعده أن يدعو جميع الناس إلى محبته .

مثلاً فرح يوحنا المعمدان إذ رأى الناس يلتفون حول المسيح . وقال « من له العروس فهو العريس . أما صديق العريس فيرى ويفرح . لذلك فرحى قد صار كاملاً » (يو ٣) .

لذلك فهو يخدم ، لأنه يحب الله ، ويحب ملكوته ، ويجب أن ينتشر هذا الملكوت ، وتنتشر كلمة الله ، ويزداد عدد الذين يتبعون طريق الرب ويحبونه .

* * *

وهكذا ينجح فى حياة الخدمة ، من يرى الخدمة حباً .

حباً لله وللناس وللملكوت . حبه لله يقوده إلى خدمتهم ، لكى يذوقوا وينظروا ما أطيب الرب ... وكلما يخدمهم يزداد محبة لهم . وكلما يحبهم تزداد خدمته لهم .

وهو حينما يعطى ، إنما يعطى عن حب ، لأنه مكتوب :

« المعطى المسرور يحبه الرب » .

لا عن طلب أجر من الله ، وإنما بسبب الاشفاق العجيب الذى فى قلبه من نحو المحتاجين . لذلك فإن عطاءه يرتفع فوق مستوى العشور والبكور والنذور ، ويرتفع فوق مستوى الأرقام . فيعطى بسخاء ولا يعير .

ولا يسأله الله كم أعطى ؟ وإنما كم أحب .

ويكافئه على الحب الموجود فى عطاءه ، وليس عن الكمية ...

حبة الخير

الذى يحب الله ، بالضرورة يحب الخير ، ويحب حياة القداسة .

نحبة الإنسان لله توصله إلى محبة الفضيلة . كما أن محبة الفضيلة توصل أيضاً إلى محبة الله ، وتجعله يرتفع عن مستوى الصراع مع الخطية ، لأنه ما عاد يحبها ، بل أصبح يشمئز منها . لأنه ثبت في الله ، والله نور ، والخطية ظلمة ، ولا شركة للنور مع الظلمة ... الذى يحب الله ، يصبح هيكلاً للروح القدس ، والروح القدس يسكن فيه ، ويعمل به ومعه . وهو لا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يحزن روح الله الذى فيه بخطية من الخطايا ، لذلك لا يخطئ ...

وهو يعرف تماماً أنه لو أخطأ ، يقول له الرب كما قال لملاك كنيسة أفسس « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى » (رؤ ٢) .

ولكن الإنسان المحب لله حقاً ، هو ثابت في محبته ، وثابت في حياة القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب .

وفي محبته للخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة ، لأنه قد اجتاز هذه المرحلة ، إنما كل جهاده هو للنمو في حياة البر وعمل الخير . إنه جهاد إيجابى ، وليس جهاداً سلبياً . هو انتقل في حياة القداسة من درجة إلى درجة أعلى . إنه جهاد لذيذ بلا تعب داخلي . فهو في محبته للرب ، قد دخل إلى راحة الرب ، واستراحت روحه فيه . دخل إلى سبته الروحي الذى لا ينتهى ، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر ، بلا تفصّب ، بل في متعة روحية ، بفعل الخير تلقائياً بلا تفصّب ...

* * *

هذا الذى يحب الخير لا يحتاج إلى الوصية التى تدعو إلى الخير . بل يصنع الخير بطبيعته الخيرة ، إذ صار الخير من مكونات طبيعته كصورة لله .

الذى يحب الله ويحب الخير ، يفعل الخير كشئ عادي طبيعي ، كالنفس الذى يتنفسه ، دون أن يشعر في داخله أنه يعمل شيئاً زائداً أو عجبياً ، ودون أن يأخذه الزهو بما فعل . ولهذا فهو لا يفتخر مطلقاً بشئ من فضائله ، لأنه يراها شيئاً عادياً . وثانياً لأنه من محبته لله ، ينسب كل شئ حسن يعملته إلى عمل الله . كما قال بولس الرسول « لا أنا ، بل نعمة الله العاملة معي » (١ كور ١٥) .

* * *

لماذا نحب الله ؟

وما العوائق التي تمنع محبتنا له ؟

لماذا نحب الله ؟

فلنأخذ سفر النشيد الذي يعطينا مثلاً عن محبة النفس لله . فلماذا كانت تحبه ؟

١ - أول كل شيء ، هو أن حب الله متعتها ولذتها :

تقول له « حيك أطيب من الخمر » (نش : ١ : ٢) . إنها محبة تسكر . تنتشى بها النفس . بل تقول « إني مريضة حباً » (نش : ٢ : ٥) . أى أن محبة الله قد دغدغت جسمها ، فلم تعد تحتمل تلك الطاقة الجبارة من الحب الإلهي .

جسدها أضعف من طاقات الروح . فلم تعد طاقة الجسد تحتمل الحب الإلهي ، فأصبحت مريضة حباً ...

إنسان ترتفع درجة حرارة جسده ، إذ هو مريض جسدياً . وإنسان آخر ترتفع بالحب درجة حرارة روحه ، فإذا هو مريض حباً ... (مدروخ) من الحب الإلهي . مثلما قيل لبولس الرسول « كثرة الكتب حولتك إلى الهذيان يا بولس » (أع : ٢٦ : ٢٤) .

هذا الهذيان البولسي المقدس ، نشتهى نحن جميعاً أن نصاب به ...

إنسان من فرط الحب الإلهي الذي فيه ، يتكلم كلاماً لا يفهمه الناس ، ويشعر بشعور لا يدركه الناس ، فيحسبونه يهذى ... !

★ ★ ★

مشكلة أهل العالم ، أن محبة العالم تتصارع فيهم مع محبة الله . فالجسد يشتهى ضد الروح التي تشتهى الله (غل : ٥ : ١٧) . فهم يلتذون بالعالم ، فيما يريدون أن

يحبوا الله!! وهكذا يوجد في حياتهم شيء من التضاد ومن التناقض ، ومن الصراع ،
بغير استقرار .

أما الإنسان الذي يحب الله حقاً ، ومحبة الله هي متعته ، فليس فيه صراع ولا
تضاد . ولا يتعب في تنفيذ وصية الله ، لأنها لذته ...

إنه يتغنى بوصايا الله ، كما تغنى بها داود في مزاميره «وصاياك هي لهجى»
«سراج لرجلى كلامك ، ونور لسبيل» «محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار
تلاوتى» (مز ١١٩) ... أو كما تقول عذراء النشيد «اسمك دهن مهراق» وترجها في
القداس الإلهى «طيب مسكوب هو اسمك القدوس» ...

«طيب مسكوب هو اسمك ، لذلك أحبتك العذارى» (نش ١ : ٣) . ونعنى
بالعذارى النفوس التى لم تعط ذاتها لآخر ، إذ أحبت الرب من كل القلب . سواء
أكانت هذه النفوس من البتولين ، أو المتزوجين . لذلك فإن الكتاب . لقب كل الذين
يخلصون بخمس عذارى حكيماآت ...

٢ - النفس تحب الله ، لأنها لا تجد له شيئاً ...

كما نغنى له في التسبحة ونقول «من فى الآلهة ، يشبهك يارب؟! أنت الإله
الحقيقى ، صانع العجائب ..» .

إن الله ، إذا قارنا محبته بكل مشتريات العالم ، وكل آلهته ، نجده يفوقها جميعاً ،
لذلك تقول عذراء النشيد :

«حببى أبيض وأحمر ، معلم بين ربوة» (نش ٥ : ١٠) .

أبيض فى نقاوة قلبه ، وفى أنه النور الحقيقى ... وأحمر فى الدم المسفوك لأجلنا
ولأجل خلاصنا ... وهو مميز بين ربوة . أى إن وضعت حببى بين عشرة آلاف ، أجده
مميزاً بينهم متى إذن يتميز الله فى قلبك عن كل مشتريات الدنيا وكل سكانها ،
وتجده يفوقهم جميعاً ... ؟

كل شهوات العالم زائلة ، تنتهى بعد حين ، أما محبة الله ، فتبقى إلى الأبد .
شهوات العالم سطحية ، أما محبة الله فلها عمق ، ولها قدسية ، وترفع مستوى الإنسان ،

في حين أن شهوات العالم تهبط بمستواه ...

كلما أحببك يارب ، ترفعني إليك ، لأعيش في السماويات . أما إن أحببت العالم ، فإنه يهبطني معه إلى الأرض ، إلى التراب والأرضيات ...

* * *

٣ - نحن أيضاً نحب الله من أجل بهائه .

إنه « أبرع جالاً من بنى البشر » (مز ٤٥ : ٢) .

تناديه عذراء النشيد فتقول « ها أنت جميل يا حبيبي » (نش ١ : ١٦) . فهل حقاً نرى الله كذلك ؟

ربما إنسان يسير في طريق الله ، فيجد أن الباب ضيق ، والطريق كرب (مت ٧ : ١٤) . ويجد أن الوصية ثقيلة ، ولولا خوف الأبدية ما كان يستمر . فيقول للرب : من أول معرفتي لك ، عرفت التجارب والضيقات (يو ١٦ : ٣٣) . وعرفت الصليب وجثسيماني ، وعرفت البكاء والدموع (مت ٥ : ٤) .

وهكذا لا يرى الحياة مع الله جميلة !!

أما الذي يحب الله ، فكل شيء جميل في عينيه : الله وصلبيه ، وتجاربه ، ووصاياه .

ويرى طريق الرب حلواً ، مهما كان ضيقاً ... يكفي أنه يوصل إلى الملكوت ... ولا تحزنه التجارب ، إذ يرى فيها بركاتها ، فيغنى مع يعقوب الرسول « احسبوه كل فرح يا أخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) . وينشد مع بولس الرسول « افرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا » (في ٤ : ٤) ومن أجل محبته لوصايا الله ، يقول مع يوحنا الرسول إن « وصاياهم ليست ثقيلة » (١ يو ٥ : ٣) .

عذراء النشيد تغني بجمال الرب فتقول :

« حلقه حلاوة . كله مشتبهات » (نش ٥ : ١٦) « فتى كالأرز ، طلعتة كلبنان » (نش ٥ : ١٥) ... وتشرح باقي صفاته . حقاً إن الوجود مع الله ، هو شهوة نشتهيا . وكما قال بعض الآباء إن القداسة هي استبدال شهوة بشهوة ، إذ نترك شهوة

العالم ، لنحظى بشهوة التمتع بعشرة الله ... نشتهي الله وكل ما يتعلق به ، وكل ما يوصلنا إليه . ونجد فيه لذتنا وفرحنا ومعه لا يعوزنا شيء ...

ما أجل التأمل في صفات الله . إنها تغرس محبته في القلب .

الله المحب ، الطويل الروح ، الكثير الرحمة ، الجزيل التحنن ، الذى لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا (مز ١٠٣) . الله الكلى القداسة ، الكلى الحكمة ، الكلى القدرة ، المخبأة فيه كل كنوز الحكمة والعلم (٢ كو ٣ : ٣) ... الله الذى نتغنى بصفاته فى القداس الغريغورى وفى تحليل آخر كل ساعة ، وفى صلوات المزامير .

٤ - نحب الله ، لأنه أحبنا قبلاً (١ يو ٤ : ١٩) .

هو الذى أحبنا وفدانا . لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ... « هذه هى المحبة . ليس أننا نحن أحببنا الله . بل أنه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١ يو ٤ : ١٠) .

نحبه لأنه نقشنا على كفه (أش ٤٩ : ١٦) . ووعدنا بأن « كل آلة صوّرت ضدنا لا تنجح » (اش ٥٤ : ١٧) ، وأن أبواب الجحيم لن تقوى علينا (مت ١٦ : ١٨) . وما أكثر وعوده المعزية ...

٥ - نحب الله ، لأنه أبونا ، وراعى نفوسنا .

هو الذى تغنى داود برعايته فقال « الرب يرعاني فلا يعوزني شيء . فى مراعى خضر يربضنى . إلى ماء الراحة يوردنى . يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر .. » (مز ٢٣) . هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف (يو ١٠ : ١١ ، ١٤) . وهو الذى قال « أنا أرعى غنمى وأربضها ... وأطلب الضال ، وأسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز ٣٤ : ١٦) . وعذراء النشيد تسميه « الراعى بين السوسن » (نش ٢ : ١٦) .

هو الأب الحانى على أولاده ، الذين يعطيهم خيراتهم بكل سخاء ، ويهتم بهم ،
ويفدق عليهم من عطايه ، حتى أن داود النبى يقول فى المزمور «باركى يا نفسى
الرب ، ولا تنسى كل احساناته ، الذى يغفر جميع ذنوبك ، الذى يشفى كل أمراضك ،
الذى يفدى من الحفرة حياتك ، الذى يكللك بالرحمة والرفقة ، الذى يشبع بالخير
عمرك ، فيتجدد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣ : ١ - ٥) .

٦ - إننا نحب الله ، لأنه قوى ، يحرس ويسند .

تشعر النفس المحبة له ، أنها فى حمايته ، محاطة بقوة عجيبة . ينقذها بذراع قوية ،
ويبد حصينة . فلا تخشى من خوف الليل ، ولا من سهم يطير بالنهار . فهو يعزىها بقوله
«واليك لا يقتربون ، بل بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار» لذلك فهى تغنى قائلة
«الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت» (مز ٩١ : ١ - ٨) . «إن لم يحرس
الرب المدينة ، فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧ : ١) .

٧ - إننا نحب الله لأسباب عديدة لا تحصى .

إذ أنه بمحبة الله ، يعيش الإنسان فى فرح دائم : يفرح بالرب الذى يقوده فى
موكب نصرته (٢كو ١٤ : ١٤) ... وينقله من خير إلى خير . ويفرح لثمنه بالرب ،
ولأن الخطية لا مكان لها فى قلبه ولا مكانة . لأن محبة الله طردتها . حقاً قد تحدث له
حروب ومقاومات من الشيطان ، ولكنها مقاومات من الخارج فقط ، وأما قلبه من
الداخل فيملك عليه السلام . وهكذا تجتمع فى القلب المحبة والفرح والسلام ، التى
هى أولى ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) .

نحن نحب الله ، لأن محبته تطرح الخوف إلى خارج قلوبنا (١يو ٤ : ١٨) . فلو
ملكنا المحبة على قلوبنا ، لا نعود نخاف الله ولا الدينونة ، ولا نخاف الناس ، ولا
الخطية ولا الشيطان ...

نحب الله ، لأنه بمقدار محبتنا له سيكون فرحنا به فى الأبدية وستكون سعادتنا .
لأن فى الأبدية «نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» (١كو ١٥ : ٤١) . وهذا الامتياز
تحده المحبة . فحسب مقدار محبتنا يكون امتياز درجتنا ومتعتنا فى الأبدية .

يا اخوتي ، أريدكم أن تدربوا أنفسكم على محبة الله . أخرجوا من مظاهر الحياة الروحية ، وادخلوا إلى عمق الحب .

واعلموا أن محبتكم لله ، هي التي تعطى روحياتكم عمقاً ...

لقد أنكر بطرس سيده ومعلمه ، وسب ولعن وقال لا اعرف الرجل (مت ٢٦ : ٧ : ٧٤) . ولكن الرب لما عاتبه بعد القيامة ، لم يذكر له موضوع الإنكار ، وإنما سأله قائلاً « يا سمعان بن يونا ، أتجنبي أكثر من هؤلاء ؟ » (يو ٢١ : ١٥) . فأجاب بطرس « أنت تعلم يا رب كل شيء . أنت تعلم أني أحبك » ... وبهذه المحبة نال المغفرة ، ورجع إلى رتبته الرسولية ...

إن كانت محبة الله لها كل هذه الأهمية ، فلعلنا نسأل :

ما الذي يعوق محبتنا لله ؟

عوائق المحبة

أول عائق ضد محبة الله هو الذات .

كثير من الناس يحبون ذاتهم أكثر من محبتهم لله !! ذاتهم هي الصنم الذي يتعبدون له : فيبحثون باستمرار عن رغبات هذه الذات وشهواتها ، ورفعة الذات ومجدها ، وكرامة الذات وانتقامها لنفسها ، ومجد هذه الذات ومديح الناس لها ، وشهرة الذات وعظمتها وظهورها ... وفي سبيل ذلك ما أكثر الخطايا التي يقترفونها ، ويبعدون بها عن الله وعن محبته !! ولذلك قال الرب :

« من أراد أن يتبني ، فليترك ذاته ... » (مت ١٦ : ٢٤) .

وقال أيضاً « من وجد ذاته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل مجدها » (مت ١٦ : ٣٩) (مر ٨ : ٣٤ ، ٣٥) . ودعانا أن نبغض حتى أنفسنا من أجل محبته .. أي نبغض انحرافاتنا التي تبعدنا عنه .. وليس فقط الذات ومحبتها وإنما أيضاً :

اسأل نفسك : هل هناك محبة أخرى تنافس الله في قلبك ؟

حاول أن تطرد من قلبك كل محبة أخرى ضد محبة الله ، أو تريد على محبة الله ...

لقد أحب شمشون دليلاً أكثر من محبة الله . ومن أجلها فقد نذره (قض ١٦) . وأحب لوط الأرض العشبة في سادوم ، أكثر من عشرة ابرام ومذبح الله ، فوقع في سبي سادوم . « وكان البار بالنظر والسمع ... يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الاثيمة » (بط ٢ : ٨) .

حتى المحبة المقدسة الطبيعية للأقرباء لا تجعلها تزيد عن محبتك لله . وفي ذلك قال الرب « من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) . فكثيراً ما يكون « أعداء الإنسان أهل بيته » (مت ١٠ : ٣٦) ، إن كانوا يمنعون عن محبة الله ، أو تكرس نفسه له ، أو يقودونه في طرق مخالفة ...

* * *

يمنعنا عن محبة الله أيضاً : محبة العالم والجسد والمادة .

وصدق الكتاب حينما قال « محبة العالم عداوة لله (يع ٤ : ٤) . « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » (١يو ٢ : ١٥) . لذلك هرب آباؤنا من العالم ليتمتعوا بمحبة الله ... فإن كنت أنت تعيش فى العالم ، فعلى الأقل تذكر قول الرسول « ويكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول » (١كو ١٧ : ٣١) .

وما أكثر ما تقف المادة ضد محبة الله ، كالمال مثلاً .

وقد أمرنا الرب بأن نبعد عنه كمنافس لله ، فقال « لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) . وفي قصة الشاب الغنى ، نرى أنه مضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢) . فإن كنت تملك مالاً ، فلا تجعل المال يملكك . أنفقه فى محبة الله والناس ، فيكون لك كنز فى السماء (مت ١٩ : ٢١) .

بقى الجسد ، الذى تقف شهواته عقبة ضد محبة الله .

وهكذا يقول الرسول « إن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله » (رو ٨ : ٦ ، ٧) . ويقول أيضاً « لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تقيمون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .

ابحث إذن هل جسدك يعوقك عن محبة الله ؟
ليس فقط شهوات الجسد في الزين ، وفي شهوة الطعام والشراب ، وإنما أيضاً في محبة
الراحة التي قد تعطلك عن الصلاة وعن الخدمة وإعانة الآخرين ...

قد تعوقك عن محبة الله أيضاً : المشغوليات .
التي تستولي علي كل وقتك وكل اهتمامك ، وتشغل فكرك وعواطفك ، ولا تبقي لك
وقتاً تقضية في الصلاة أو التأمل ، أو قراءة كلمة الله ، أو حضور الاجتماعات الروحية
... وهكذا تبعدك المشغوليات عن الوسائط الروحية التي تعمق محبة الله في قلبك
نصيحتي لك أن تمسك بميزان دقيق ، وتجعل لكل مشغولياتك حداً لا تتعداه ، فلا
تطغي كفتها علي حياتك الروحية ، لأن الرب يقول {ماذا ينتفع الإنسان لو ربح
العالم كله وخسر نفسه} {مر ٨ : ٣٦} .
واهتم بمحبة الله والوسائط التي تؤدي إليها ، ولتكن لها المكانة الأولى في قلبك وقل مع
داود النبي :

(وأما أنا فخير لي الالتصاق بالرب) (مز ٧٣ : ٢٨) .
لقد حدثتك عن محبة الله وأهميتها ودوافعها وموانعها . وبقي أن أتكلم معك بتفصيل
عن كيف نحب الله؟ وكيف نصل إلي محبته ؟ ...

الفصل الثالث :

كيف نحب الله ؟

كل إنسان متدين ، يهيمه بالضرورة أن يرقى إلى محبة الله . ولعل الكل يسألون : كيف يمكننا أن نصل إلى محبة الله ؟ وسنضع أمامنا هنا بعض الوسائل .

لن تستغنى عنه

* أنه ينبغي أولاً أن تتأكد من هذه الحقيقة :

إن الله هو الكائن الوحيد الذى لا يمكنك أن تستغنى عنه ...

سواء فى هذه الحياة ، أو فى الحياة الأخرى ...

كل خطوة من خطواتك تحتاج إلى حفظ الله وعنايته . كل طريق تسلك فيه يحتاج إلى معونة إلهية ، وما أكثر ما تحتاج إلى إرشاد إلهي ، وبخاصة حينما ترى الطرق قد تشعبت أمامك ، والأمور قد تعقدت . هنا تذكر قول الرب فى الإنجيل « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يوحنا : ١٥ : ٥) .

إن الحياة مع الله ، تغرس سلاماً فى القلب ، وتبعد الإنسان عن الخوف ، وتمنحه ثقة فى وجوده .

* * *

فإن كنت لا تستغنى عن الله ، وهو لازم لك ولحياتك ، فلتكن لك إذن علاقة معه .

وإن وصلت هذه العلاقة إلى درجة الحب ، ستكون لك دالة أمامه حين تطلبه . وحتى دون أن تطلب ، ستجده يدبر أمورك حسب مشيئته الصالحة . وأنت نفسك ستكون مطمئناً جداً فى تسليم حياتك بين يديه .

لا تظن في يوم ما أنك تستطيع أن تستقل بنفسك، مستغنياً عن الله، مكتفياً بعقليتك وما وصلت إليه من معرفة وخبرة وقوة!! فإن هذا سيقطع الصلة بينك وبين الله. وربما تشعر أيضاً في تلك الحالة أنك لست في حاجة إلى الصلاة.

ويأتى وقت وتقع في ضيقة، فتستيقظ ...

وتعود إلى الله لتقول له: لست أستطيع يارب أن استغنى عنك. إننى محتاج إليك في مشاكل. بل أنا محتاج أولاً إلى الصلح معك، وإلى عودة علاقتى بك، أو إلى تكوين علاقة جديدة معك... ويسمع الرب ويتحنن ويستجيب، لكى يقودك إلى محبته... أترك إذن في حاجة إلى ضيقات وتجارب لكى توصلك إلى محبة الله!؟

اترك المحبة المضادة

★ للوصول إلى محبة الله، ينبغى أن تبعد عن كل محبة مضادة، وبالتالى تبعد عن شهوات العالم...

وقد ركز الرسول محبة العالم في «شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة» (١٦: ٢يو١). وقال «إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب... والعالم يبغى وشوته معه...» (١٧: ١٥يو١). ومن أجل أهمية هذا الأمر، فإن الكنيسة في كل قداس بعد قراءة الكاثوليكون، تردد على أسماعنا قول الرسول «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم» (١٥: ٢يو١). وقد قال القديس يعقوب الرسول «إن محبة العالم عداوة لله» (يع ٤: ٤).

إنك لا تستطيع أن تعبد ربين، أو تخدم سيدين (مت ٦: ٢٤). فإما محبة الله، أو محبة العالم.

كلما ازدادت محبة العالم فى قلبك، فإن محبتك لله تقل. وكلما ازدادت محبتك لله، فعلى نفس القياس تقل محبتك للعالم وكل ما فيه، وتصبح كل شهواته تافهة فى نظرك، كما قال القديس بولس الرسول «خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح، وأوجد فيه» (فى ٣: ٨، ٩).

إن الكنيسة بلغت قمة محبتها لله في عصر الاستشهاد ، وارتبط ذلك أيضاً بقيمة زهدها في العالم .

فالذى يشتهى شيئاً في العالم ، لابد أن يشتهى أيضاً البقاء فيه . أما الذى يزهد العالم وشهواته ، فإنه يشتهى الانطلاق منه ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً (فى ١ : ٢٣) ... وهكذا من أجل محبة الله ، كانوا يشتهون الاستشهاد ... وكانت أصوات التسابيح والصلوات غلاً سجونهم ، كما حدث مع بولس وسيلا وهما فى سجن فيلبى (أع ١٦ : ٢٥) .

ونسمع فى قصة استشهاد القديس أغناطيوس الأنطاكي ، أنه حينما أرسله الحكام إلى رومه لإلقائه إلى الأسود الجائعة ، وأراد أهل رومه المسيحيون أن ينقذوه من الموت ، أرسل إليهم القديس أغناطيوس رسالة يقول لهم فيها « أخشى أن محبتكم تسبب لى ضرراً ... » .

كانت فى قلبه شهوة الموت ، للالتقاء بالله ...

أما الذى شهواته تكون فى العالم ، فإنه سيقول مع الغنى الغبى « أهدم مخازنى وابنى أعظم منها ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفسى ، لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة . فاستريحى وكلى واشربى وافرحى » (لو ١٢ : ١٨ ، ١٩) ... ولم يفكر ذلك الغنى فى الله ، ولم يرد اسمه على لسانه ولا فى فكره ، لأن قلبه متعلق بماله ومخازنه وخيراته الأرضية .

* * *

حقاً كما قال الرب : حيث يكون كنزك ، هناك يكون قلبك أيضاً (مت ٦ : ٢١) (لو ١٢ : ٣٤) .

فأين هو كنزك يا أخى ؟ هل هو على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ، وينقب السارقون ويسرقون (مت ٦ : ١٩) ؟ هل كل كنوزك هى شهوات العالم وألقابه وأمجاده وألوان المتع التى فيه . وهناك قلبك أيضاً !! إذن فقلبك خالٍ من الله . والمحبة التى فى قلبك ، قد تحولت إلى العالم ، ولم يعد لله فيها نصيب ...

أتراك تستطيع أن تستمتع بالعالم ، كما فعل سليمان ؟!

الذى كانت له جنات وفراديس ، وعبيد وجواري ، ومغنين ومغنيات ، وخصوصيات الملوك ، ومثالث من النساء . ومهما اشتتهه عيناه لم يمسكه عنهما (جا ٢ : ٤ - ١٠) . وفى كل ذلك ابتعد عن الله « ولم يكن كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه » (١ مل ١١ : ٤) ... بل أنه استحق منه العقوبة التى استمرت مع نسله .

وكل ما تمتع به سليمان من متع العالم ، قال عنه أخيراً « ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى ، وإلى التعب الذى تعبته فى عمله ، فإذا الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس » (جا ٢ : ١١) .

* * *

إذن ، لا تجعل قلبك فى شهوات العالم ، فإن الباب الواسع لا يوصل إلى الملوكوت (مت ٧ : ١٣) .

متع العالم لن توصلك إلى الله ، بل هى تبعذك عنه ... وإن دخلت محبة العالم إلى قلبك ، فسوف ترى أن أفكارك ومنك بدأت تهتز ... وحينئذ ستناقش المثاليات التى كنت تؤمن بها ، وتقول : وما المانع أن أفعل كذا وكذا ؟! وما الخطأ وما الحرام فى أن أتمتع بكذا وكذا . وتبدأ فى سلسلة مساومات مع المبادئ والقيم !! والسبب فى كل هذه الأسئلة والمساومات والمناقشات ، هو أن محبتك لله قد قلت ...

* * *

إن بدأت محبة العالم تدخل إلى قلبك ، فبالضرورة محبتك لله ستقل ...

فهذه هى مأساة ديماس ، التى سجلها بولس الرسول بقوله « ديماس تركنى ، لأنه أحب العالم الحاضر » (٢تى ٤ : ٩) . وهذه هى أيضاً مأساة كثيرين كان يذكرهم القديس بولس فى رسائله ، ثم تحدث عنهم فى رسالته إلى فيلبى وهو باك وقال « الذين نهايتهم الهلاك ، ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ ، ١٩) .

لعلك تقول : ولكنى أعيش فى العالم ...

نعم ، أنت تعيش فى العالم ، ولكن لا تجعل العالم يعيش فيك . كما قال

القديس بولس «والذين يستعملون هذا العالم، كأنهم لا يستعملون، لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧: ٣١)... عش في العالم كغريب عنه كما عاش آباؤنا القديسون الذين «أقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض... يبتغون وطناً أفضل أى سماءياً» (عب ١١: ١٣، ١٦). كان بعضهم يملكون المال، ولكن المال لم يكن يملكهم لأن قلبهم كان كله لله.

* * *

ينبغي إذن أن تشعر بأن الله هو الوحيد الذى يملأ قلبك .

هو الذى يسكن فى أعماقك ، فى أعماق الفكر والقلب . أما باقى ألوان المحبة فهى سطحية أو عابرة . ويكون لها عمق، كلما تكون نابعة من محبة الله، وليست متعارضة معه . إذن تحب كل ما يزيدك محبة الله وكل ما يقربك إليه . وإن كنت تريد محبة الله حقاً، كن حريصاً على كل المشاعر التى تدخل إلى قلبك، كرقيب عليها، تختبرها جيداً هل متفقة مع محبة الله أم لا... ولا تحاول أن تخدع نفسك أو أن تغتير موازينك .

ناقش إذن مدى علاقتك بالماديات والجسدانيات .

فمحبتك لله تتناسب عكسياً مع هذه الأمور جميعها . وتذكر أن خطية الإنسان الأول، بدأت حينما انتهى شهوة أخرى تتعارض مع محبة الله ووصيته .

ناقش أيضاً فى داخلك ، ما هى المحبات الأخرى التى تنافس محبة الله فى قلبك؟ وكيف يمكنك التخلص منها؟ وهنا لابد أن يواجهنا سؤال هام وهو:

* * *

هل نحارب المحبات الأخرى ، لتدخل محبة الله إلى قلوبنا؟ أم نبدأ بمحبة الله وهى التى تطرد المحبات الأخرى .

أسأل بأبيها تبدأ؟ إبدأ بأبيها . وثق أن كلاً من الطريقين يوصل إلى الآخر.

إن شعرت أن كل محبة تتعارض مع محبة الله ، هى محبة زائلة وخاطئة وشريرة ولا تملأ قلبك ، فحينئذ ستردها، وتملك محبة الله على قلبك .. وإن حدث أن بدأت نعمة الله معك ، وانسكبت محبته فى قلبك بالروح القدس (رو٥: ٥)، فستجد أن محبة الله قد طردت من قلبك كل محبة معارضة....

تذكر عبارة « تحب الله من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك »
(ث ٦ : ٥) .

وأسأل نفسك : هل حقاً كل قلبى لله ؟ أم أن جزءاً بعيد عنه ؟ وضع فى نفسك
أنك لا تستطيع أن تجمع بين محبتين متعارضتين ، لأنه كما قال الكتاب : « أية خلطة
للبر والإثم ؟ أية شركة للنور مع الظلمة ؟ » (٢ كور ٦ : ١٤) .

ليتك إذن تشعر ببطلان العالم وزواله وتفاهته . ونصيححتى لك أن تركز على قراءة
سفر الجامعة بعمق وفهم . وليكن الله معك ...

خَبِّ اللَّهَ بِتَذَكُّرِ إِحْسَانَاتِهِ إِلَيْنَا وَإِلَى غَيْرِنَا

من الأشياء التي تملأ قلبك بحبة الله ، أن تذكر باستمرار إحساناته إليك . وهذا أمر طبيعي جداً . فإنك إن تذكرت جمایل إنسان عليك ، أو إنقاذه لك ، أو وقوفه إلى جوارك في ضيقائك ، لابد ستحبه . فكم بالأولى الله الذي إحساناته لا تعد ؟!

هذا الأمر عرفه واختبره داود النبي فقال :

« باركی یا نفسی الرب ، وكل ما فی باطنی لیبارك اسمه القدوس . بارکى یا نفسی الرب ولا تنسى كل إحساناته . »

ویدخل فی تفاصيل هذه الإحسانات فيقول لنفسه : « الذى یغفر جميع ذنوبك ، الذى یشفی كل أمراضك ، الذى یفدى من الحفرة حیاتك ، الذى یكلك بالرحمة والرأفة ، الذى یشبع بالخیر عمرك ، فيتجدد مثل النسر شبابك » (مز ١٠٣ : ١ - ٥) ... ویستمر فی تذكر إحسانات الله فيقول :

« لم یصنع معنا حسب خطایانا ، ولم یجازنا حسب آثامنا ... کبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصینا . كما یتراءف الآب على البنین ، یتراءف الرب على خائفیه .. »

لذلك اجلس إلى نفسك ، وتذكر إحسانات الله إليك ، منذ ولادتك وإلى الآن ..

أذكر ستره عليك من خطایا لو عرفها الناس ، ما كانوا یقبلون أن یسلموا عليك ، ولا یدخلوا بیتك ، ولا یدخلوك إلى بیوتهم ، ولا یتعاملون معك على الإطلاق ... ولكن الله یعرف خطایاك كلها ، التى لا یعرفها أحد غیره ... ومع ذلك یستر ، بل ویغفر ..

ويجعل الناس يحبونك ، على الرغم من كل تلك الخطايا التي سترها ، وربما يطلبون صلواتك ، ويمدحونك .. !! والله نفسه يدعوك ابناً له ، ويجعلك تقول له في الصلاة «أبانا الذي في السموات» ..

تذكر إلى جوار ستره ، انقاذه لك من مشاكل عديدة :

تذكر إنقاذه لك من أمراض أصبت بها ، ومن أمراض أبعداها عنك ، كان يمكن أن تصاب بها ... انقاذه لك من مشاكل ومن ضيقات ، ومن أناس أشرار ومؤامرات دبروها ضدك ... اذكر كل هذه الأمور في مطانيات شكر أمام الله . وقل له : أنا يارب لا أستحق كل ما قدمته لي من معونة وحب . ليتني أحبك كما أحببتني .

* * *

اذكر أيضاً عطايا الله لك ومواهبه ...

إن كان لك عقل أو ذكاء أو حكمة ، أو جمال وجه أو جمال صوت ، أو مواهب فنية ، أو حتى جمال خط ... مع مواهب أخرى روحية .. أو موهبة في الخدمة وما أعطاك إياه من نعمة في أعين الناس ، ومحبة في قلوب الآخرين ... وقل له : كم أحبك يارب من أجل كل تلك النعم ، أو كم ينبغي أن أحبك ؟ بل أيضاً تحبه من أجل احساناته إلى أحبائك .

سواء من أقربائك بالجد ، أو أصدقائك أو زملائك ، بل من أجل إحسانات الله إلى الكنيسة وإلى وطننا وبلادنا ... من العجيب إننا في الكوارث ، نذكر من حلت بهم المصائب فنحزن ونتضيق . وفي نفس الوقت لا نذكر أحبائنا ومعارفنا الذين أنقذهم الرب وخلصهم ، بوسائل تكاد تكون ضمن المعجزات !

* * *

إذا أردت أن يمتلئ قلبك بحبة الله ، لا تنسب إحساناته إلى غيره . لا تنسبها إلى الناس أو إلى نفسك .

كثيراً ما أنجح الله عملك ، فكنت تنسب النجاح إلى ذكائك وقدراتك ، وتنسى الله الذي ساعدك وأعانك . وتفقد سبباً يقربك إلى محبته وكثيراً ما كان الله يرسل إليك إنساناً ينقذك ، فتنسب كل الفضل إلى ذلك الإنسان ، وتنسى الله الذي أرسله إليك .. !

تقرض وتحتاج إلى عملية جراحية خطيرة، ويجريها لك أحد الأطباء المشهورين،
وتنجح العملية وتشفى. وتعزو نجاتك إلى نبوغ الطبيب وعقله الجبار، وتنسى الله
شافيك، وتنسى أن الله هو الذى وهب الطبيب ما له من نبوغ وعقل جبار.. وفى
نسيانك لله وعمله، تفقد الشعور بإحسانه إليك، وتفقد سبباً تحبه به ... !

* * *

يكفى أننا لا نزال أحياء حتى هذه الساعة ...

من محبة الله لنا ، أنه أبقانا حتى الآن ... ألا نشكره ونحبه لأجل هذا الأمر... كم
اجتاحت العالم أوبئة وأمراض، ونحن نجونا ولا نزال أحياء... كم كانت البلاد
مهدة بجفاف، والرب أرسل المطر ونجى. ولا يزال الله يعطينا فرصة لنعمل عملاً من
أجل أبديتنا .

يجب أن تحب الله ، لأنه لم يأخذك من العالم، وأنت فى حالة غفلة، أو
وأنت متلبس بخطية !!

إذن لكنت قد هلكت فى هذا العالم ، وفى العالم الآتى ، وأتاك الموت بدون توبة،
كما حدث لحنانيا وسفيرا (أع ٥). ولهيرودس الملك (أع ١٢) ولآخرين ماتوا فى
خطاياهم ، دون أن يتوبوا...! ويطيل باله ، لعل طول أناته تقودك إلى التوبة (رو ٢ :
٤).

قل له : أنا أحبك يا الله ، من أجل طول أناتك علىّ ، وصبرك وإحساناتك ، على
الرغم من كثرة إساءاتى إليك... حقاً إنك تستحق كل حب . لأن كثيرين من البشر
الذين هم مثلى تراب ورماد، لم يحتملوا منى ولو إساءة واحدة بسيطة . أما أنت فحنون
ومحب ...

* * *

والعجيب أننا فيما ننسب إلى غير الله، الخير الذى نناله، فإننا ننسب كل
مشاكلنا إلى الله !!

كيف نصل إلى محبة الله، إن كانت كل مصيبة تصيبننا ننسبها إلى الله، ونعاتب
الله عليها، ونهدهه بالانفصال عنه بسببها . ونظل نشكو لكل أحد من (قسوة) الله
علينا، ومن (إهماله) لنا!! ونقول : لماذا يارب تفعل معنا كل هذا؟! أين رحمتك التى

نسمع عنها ؟!

وقد تكون المشكلة بسبب الناس الأشرار، ولكننا ننسبها إلى عدم محبة الله ؟! وقد تكون بسبب إهمالنا نحن أو أخطائنا، ولكننا ننسبها أيضاً إلى الله !! وبهذا كله نبعد عن محبته ... !

أما أنت ، فكل بركة تأتيك ، أنسبها إلى الله ، لا إلى الناس أو نفسك . وكل مشكلة تصيبك ارجعها إلى أسبابها الطبيعية الحقيقية .

لأن الله هو مصدر كل خير، ولا يأتي شر من جهة الله إطلاقاً ... بهذا تصل إلى محبة الله ...

والعجيب أن الله هو هو ... فعلی الرغم من أننا ننسب إحساناته إلى غيره ، لا يزال يحسن إلينا ، وكأننا لم ننكر جميله ، ولم ننس إحساناته ... !! أليس هذا وحده سبباً يدعونا إلى محبته ؟ ...

هناك حقيقة ليس من صالحنا أن ننساها ، وهي :

كل من ينسى إحسانات الله ، يتقسي قلبه كناكر للجميل .

مثل فرعون الذي كان يتقسي قلبه ، إذ ينسى كيف أن الله استجاب له ، ورفع عنه ضربات وضربات ... ومثل دليلة التي تقسي قلبها على شمشون ، فخائته إذ نسيت كل محبته لها ، وسلمته إلى أعدائه (قض ١٦) . ومثل سطيحان الذي نسي كل إحسانات الله إليه ، وكل ما وهبه الله من ملك وجلال وحكمة ، وأحب نساءه أكثر من الله ، ولم يكن قلبه كاملاً أمام الله (١ مل ١١) .

أما المرأة الخاطئة ، الناثبة ، فقد أحبت الله كثيراً ، إذ تذكرت أنه غفر لها الكثير ...

« والذي يغفر له قليل ، يحب قليلاً » (لو ٧ : ٤٧) .

ويقصد الرب بهذه العبارة أن الذي يشعر أن الذي غفر له قليل ، أو يظن أن الذي غفر له هو قليل ، يحب قليلاً ... أما أنت فلا تكن هكذا وإنما تذكر كل خطاياك ،

واذكر أن الله - من فرط احساناته إليك - قد غفر لك الكثير . فبهذا ستحب كثيراً .
واذكر أن عطاياه لك كثيرة جداً ، فتحب كثيراً ...

لا شك أن الله قد عمل لأجلك الكثير ، ولكنك أنت تنسى !! لذلك نبه داود نفسه في علاقتها مع الله قائلاً :

« ولا تنسى كل احساناته » (مز ١٠٣ : ٢) .

إنك تنسى احسانات الله ، لأنك مشغول بإحسانات أخرى تطلبها ، غير واضح في ذاكرتك كل الإحسانات السابقة . حياتك كلها طلب لا شكر .

إن حياة الشكر ترتبط بحياة الحب . فاقراً عنها ، وعش فيها ، تجد قلبك قد امتلأ بحبة الله ... وثق أن حياتك كلها لا تكفى لشكر الله على رعايته لك وعنايته بك ، طول عمرك منذ ولادتك .

بل إن احسانات الله سبقت ولادتك أيضاً .

كان من الممكن أنك لا تولد ، ولا تأتى إلى عالم الوجود ، لأى سبب يتعلق بأبيك أو بأمك . وكان ممكناً أن ترث وأنت جنين بعض الأمراض ، أو بعض النقائص ، ولكن الله حفظك منها جميعاً ، ومنحك أن تولد إنساناً سوياً جسداً وعقلاً ونفساً ... أيجوز لك أن تنسى كل هذا ؟ ! إنك لو ذكرت جيل الله عليك في تلك الفترة ، لازدادت حياءً له .

أذكر حفظ الله لك أيضاً أثناء طفولتك .

كما يقول المزمور « حافظ الأطفال هو الرب » . إن أى إهمال للطفل في غذائه أو علاجه أو حراسته ، يمكن أن يضيعه أو يصيبه بسوء ... كذلك الإهمال في تربيته وتعليمه ، أو فرس أشياء ضارة في عقله الباطن ...

اشكر الله لأنه جعل تلك الفترة التأسيسية تمر عليك بسلام ... وقل له : أحبك يارب من كل قلبي ، لأنك حفظت طفولتى ، وأتيت بى إلى هذه الساعة ، واعطينى أن أقرأ عن محبتك ...

على إنى أريد أن أضع هنا ملاحظة هامة وهى :

كثيرون يقابلون احسانات الله إليهم بالفرح والبهجة . ويكتفون بهذا، دون أن يجعلوها سبباً لمحبة الله !

هم يفرحون بالخير الذى يأتيهم من عند الله : يفرحون باستجابة الله لصلواتهم ، و يفرحون بعطاياه ونعمه ومواهبه ، و يفرحون بستره وناقذه . و يتהלلون وقد يقف الأمر عند حدود الفرح والتهلل . وربما يتعداه إلى عبارة شكر قصيرة ، أو صلاة شكر وعرفان بالجميل ، وكفى ...

أما الروحانيون فيحولون عرفانهم بجميل الله إلى حب . يذكرونه ويخلطونه بمشاعرهم ، ويحولونه إلى حب .

إحسانات الله لهم ، دليل على محبته لهم . إذن يجب أن يبادلوه حباً بحب .

ليس الأمر مجرد فرح وشكر . فهذه مشاعر خاصة بك . ولكن يجب أن تعمقها فى داخلك لتكوين علاقة حب بينك وبين الله . وحاول أنك لا تنسى بل تذكرها مرتبطة بمشاعر الحب ، والشعور الداخلى بأبوة الله لك ومحبته ورعايته .

وأنت كابن محب ، تقابل حبه بحب ...



تَحِبُّ اللهَ بالتفكير فيه ولهو مشغول به

فكر فيه

لكي تحب الله ، ينبغي أن تنشغل به كثيراً ، وأن تفكر فيه كثيراً . لأنه هكذا أيضاً علاقتنا مع كل أحد .

كلما تفكر فيه تحبه . وكما تحبه تفكر فيه .

الفكر والعاطفة يتمشيان معاً ، يقوى أحدهما الآخر . وهذا هو شأننا مع كل شيء : إن أحببنا العالم ، نفكر فيه باستمرار . وكلما يزداد تفكيرنا فيه ، يزداد حبنا له . ومن يحب هواية ، يفكر فيها . وباستمرار تفكيره فيها ، يزداد حبه لها .. ولهذا ليس غريباً قول الكتاب :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل فكرك » (مت ٢٢ : ٣٧) ...
القلب والفكر معاً ...

* * *

الذي يشتهي شيئاً ، تراه دائماً يفكر فيه ، ودائماً ينشغل به . والعكس صحيح : إن بردت محبته له ، قل تفكيره فيه ... لذلك اجعل الرب في فكرك باستمرار . وعلامة حبك له ، أن يكون الله دوماً في فكرك . وتذكر داود النبي ، وكيف أنه - على الرغم من كثرة مشغوليّاته كملك وقائد ... نراه يقول :

« محبوب هو اسمك يا رب ، فهو طول النهار تلاوتي » (مز ١١٩) .

ونحن نقول للرب في التسبحة « اسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك » .. فأسأل نفسك ما هو مركز الله في فكرك ؟ وما مقدار انشغالك به ؟ هل العالم جرفك بعيداً عن

الإنشغال بالله ؟ ... إن كان الله لا يخطر علي فكرك طول النهار ، ولا يأتي ذكره علي لسانك وفي حديثك مع غيرك ، فإنك تتدع نفسك إن قلت إنك تحبه !
ألمست تري أنك إذا أحببت شخصاً ، تكون دائم التحدث عنه ؟ فما مدي تحدثك عن الله ؟

ما أكثر حديث عذراء النشيد عن حبيبها وعن صفاته ... { أنا لحبيبي ، وحبيبي لي الراعي بين السوسن } { نش:٦:٣ } { نش:٢:١٦ } { حبيبي ابيض وأحمر ، معلم بين ربوة ... حلقه حلاوة وكله مشتهيات } { نش:٥:٦ ، ١٠ } ... { شبهتك يا حبيبي بفرس في مركبات فرعون } { نش:١:٩ } .

ليكن الله في فكرك وأنت تتكلم مع الناس ، وأنت تتعامل معهم .
كان الرب في فكر يوسف الصديق ، حينما حورب من امرأة سيده ، فقال لها { كيف اصنع هذا الشر العظيم ، واخطيء الي الله } { تك:٣٩:٩ } ؟! إذا كان الله في فكرك وعلي لسانه ، لما حاربتة الخطية . ولذلك كانت محبة الله في قلبه ، لتتزع محبة الخطية ، وتمنعها من الدخول إلي فكرك وإلي قلبه ...
إن كان الله في فكر إنسان ، فسينقي هذا الفكر .

ويقدس ، ويجل فيه ، ويمنحه محبته - ولا نقصد أن يخطر الله علي فكر إنسان ، إنما أن ينشغل هذا الفكر بالله ، ويلتصق به ، ويمجد لذته فيه . وهذا يكون قد ارتبط بالحب الإلهي . فيقدس الله هذا الفكر ، ولا يسمح بأية خطية تدخل إليه . لأن الفكر يكون في سمو لا يقبلها . ويكون قد ارتبط بمحبة الله ...

ومحبة الله كلما تزداد ، لا تسمح للعقل أن يفكر في شيء آخر .
أو علي الأقل لا يجد لذته في فكر آخر . بل تكون كل الأفكار العالية غريبة عليه لا يقبلها كما أنبا أور لتلميذه { انظر يا ابني لا تدخل هذه القلاية كلمة غريبة } ...
هكذا عاش آباؤنا القديسون في البراري ، وقد ارتبط عقلهم بالله . يفكرون فيه

باستمرار. وينقون أذهانهم من كل فكر آخر، لكي يصبح الله في فكرهم هو الكل في الكل.

لأنهم من فرط محبتهم له ، لم يقبلوا أن يفكروا في غيره .

واستطاعوا عملياً أن ينفذوا تلك الوصية العجيبة : «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك» ... وانشغلوا بالله كل الوقت وكل الحياة ، من فرط محبتهم له ...

إن الذي يجعل الله في فكره دائماً ، يصل إلى تكريس الفكر لله .

يصبح فكره ملكاً كاملاً للرب ، ويمتلئ قلبه بمحبة الله ، وينجو من كل أخطاء الفكر والقلب .

هناك تدريب سلك فيه القديس مكاريوس الاسكندراني ، وهو صلب الفكر ، بحيث استمر ثلاثة أيام في البرية الجوانية ، وقد ستر فكره في الله لا ينزل من عنده ... ولم يكن هذا الأمر سهلاً .

والذي يكرس فكره لله ، يصل إلى الصلاة الدائمة ، أو على الأقل إلى التأمل الدائم في الله .

يشغل الله فكره ، ويثبت في عقله الباطن . حتى إذا نام ، يحلم به في أحلام مقدسة . أو يقول مع عذراء النشيد «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (نش ٥ : ٢) . أى قلبي معك ، منصت إليك ...

انشغال الفكر على الدوام بالله ، سندركه حتماً في البداية . أما الآن فأمامنا بعض التداريب :

★ لا تجعل ساعة تمر عليك ، بدون أن يكون الله في فكرك ، ولو في صلاة قصيرة ، أو في تأمل .

★ كلما تعرض لك خطية ما ، تذكر الله ، واشعر أنه أمامك يرى كل تصرف تعمله ، ويسمع كل كلمة تقولها ، ويلاحظ حواسك أيضاً .

★ في أحاديثك مع الناس ، احرص أن يأتي اسم الله أو وصاياه ضمن الحديث

بطريقة غير مصطنعة . أو على الأقل تذكر أن الله يسمع هذا الحديث .

★ في كل عمل تعلمه ، قل لنفسك : هل إلهنا الصالح مشترك فيه ؟ أو على الأقل هل هو موافق عليه ؟

★ يمكن أن تدرب نفسك على صلاة يارب يسوع ، أو على ترديد أية صلاة قصيرة تناسبك ، في مرات عديدة حتى تلتصق تماماً في عقلك الباطن ، فيردها دون أن تقصد...

ولكى تحب الله ، ونجعله دواماً في فكرك ، حاول أن تجعل كل شيء يذكرك بالله .

فإن نظرت إلى السماء ، تقول في فكرك « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) . وإن نزل نظرك من السماء إلى الأرض ، تقول « السماء هي عرش الله ، والأرض هي موطيء قدميه » (مت ٥ : ٢٤ ، ٢٥) . وتقول للرب « السماء والأرض تزولان ، وحرف واحد من كلامك لا يزول » (مت ٥ : ١٨) « أنت يارب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك ، هي تبيد ولكن أنت تبقى . وكلها كثوب تبلى ... ولكن أنت أنت ، وسنوك لن تفنى » (عب ١ : ١٠ - ١٢) .

وإن رأيت الطيور في الجو أو على الأشجار ، تقول « إنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تجمع إلى مخازن . وأبى السماوى يقوتها » (مت ٦ : ٢٦) ... ما أحسن هذا الأب السماوى ... وإن نظرت إلى الطبيعة الجميلة ، تقول في فكرك : إن كانت الطبيعة هكذا جميلة ، فكم وكم يكون خالقها الذى منحها هذا الجمال !..

ولكى يستقيم فكرك في محبة الله ، لتكن علاقتك به تدخلها العاطفة ، ولا تكون مجرد علاقة عقل ...

وهنا نرى إلى جوار التفكير فيه ، التأمل في صفاته الجميلة ... فهل هكذا تفعل مع الله ؟

هوذا الأب الكاهن يطمئن على هذه النقطة بالذات في بداية القداس الإلهي .
فيسأل الشعب قائلاً « أين هي قلوبكم ؟ » فيجيبون « هي عند الرب » ... فهل هم
حقاً كما يقولون ، أم هم يقولون ما ينبغي أن يكون ؟ ...

كثيرون يقولون إنهم يحبون الله ، ومع ذلك فهم لا يعطونه من وقتهم ولا من
فكرهم !! فكيف إذن ينفذون وصية « من كل فكرك » (مت ٢٢ : ٣٧) ؟!

البعض ينشغلون بالخدمة ، وأيضاً لا يكون الله في فكرهم !!

فكرهم في العظات وفي الدروس ، أو في النشاط ، أو في عمارة الكنيسة . أو في
ترتيبات وإداريات ... وما أشبه ... ولكن ليس فكرهم في الله !! وقد يقضون ساعات في
أمور الخدمة ، دون أن يأتي اسم الله على ألسنتهم ! إنهم يذكرونني بعتاب ذلك الأديب
الذي قال :

« قضيت عمرك في خدمة بيت الرب . فمتى تخدم رب البيت ؟ ! »

لذلك تجد هؤلاء الأشخاص وأمثالهم في منتهى النشاط ، وفي منتهى الحيوية ، وفي
عمل دائم في الخدمة ، ولهم فيها إنتاج وإنجازات ... ولكن بعيداً عن الله !! الله ليس
في مركز الخدمة ! ليس هو هدفها ، ولا سببها ، ولا وسيلتها ! وكثيراً ما تُكسر في
الخدمة وصاياه !! لذلك يا أخى ، ضع في خدمتك نصب عينيك ، قول داود النبي :

« جعلت الرب أمامي في كل حين ... » (أع ٢ : ٢٥) .

أو ضع أمامك قول إيليا النبي « حتى هو رب الجنود ، الذي أنا واقف قدامه »
(١مل ١٨ : ١٥) .

أشعر إذن بوجودك في حضرة الله ، وأنت واقف قدامه في كل حين ، لكي يكون الله
في فكرك ...

لا تجعل فكرك يغيب عنه ، لئلا يتيهك العالم ، وتبرد محبة الله في قلبك ...

اقرأ عنه

ولكى يكون الله في فكرك ، اقرأ عنه كثيراً ...

اقرأ عنه لكي تعرفه . لأنك كيف تحبه وأنت تجهله ؟!

اقرأ عنه لا بأسلوب علمي أو فلسفي ، ولا لكي تكتب عنه بحثاً ، أو تلقى عنه درساً ... إنما لكي تدخل إلى أعماقه ، ولكي تدخله إلى أعماقك ... اقرأ عنه لكي تعرف صفاته المحيية إلى النفس ، التي تجعل عقلك يتعلق به ، وقلبك يرتبط بمحبته ، اقرأ عنه معاملاته : عن علاقته بمحييه ، وموقفه من أعدائه . اقرأ عنه القراءة التي تذرك بها أنه « أبرع جمالاً من بنى البشر » (مز ٤ : ٢) . اقرأ لكي تذوق وتنظر ما أطيب الرب (مز ٣٤ : ٨) ... ولتكن قراءتك غذاء لقلبك ، وليس مجرد المعرفة .

إن قرأت عن الله كثيراً ، ستجد كل الكمالات فيه . وستحبه ، وتقول مع النشيد « كله مشتهيات » .

وإن أحببته ، ستداوم القراءة عنه . فالذي يحب شخصاً ، يحب أن يقرأ عنه ، ويتقصى أخباره ، ويتشوق أن يعرف قصة من قصصه ، كما يفعل محبو الأبطال في كل ميدان ... اقرأ عنه سواء في الكتاب المقدس أو في أقوال الآباء ، أو في تاريخ الكنيسة والقديسين . وحاول أن تلمس يد الله في الأحداث ، وستجد أنك تحبه : في حكمته ، في قوته ، في حنانه ...

عاشره

ولكى تعرف الله وتحبه ، ينبغي أن تعاشره .

مجرد القراءة وحدها لا تكفي . فعملها هو أن تفتح الباب ، فتدخل أنت وتعيش مع الرب ، وتختبر بنفسك حلاوة العشرة مع الله .

لذلك جرب الحياة مع الله ، جرب العمل مع الله ، وأن تشركه معك في كل شيء . جرب كيف تتخذه لك صديقاً ، تشرح له أسرارك وأفكارك وكل أمورك ، وترى

ماذا يعمل معك ولأجلك . اختبر أيضاً كيف تعتمد عليه ، أكثر مما تعتمد على فكرك ومواهبك ...

لا تأخذ من الله موقفاً سلبياً أو منعزلاً .

لأن هذا لا يمكن أن يوصلك إليه وإلى محبته ... ولا يمكن أن تذوق الرب وحلاوته بهذه السلبية ... تقدم إذن إلى الرب ، وكون معه علاقة . وحاول أن تعمق هذه العلاقة يوماً بعد يوم .

إن كنت لم تجرب بعد عشرة الله ومحبته على هذه الأرض ، فكيف ستعيش معه إذن في الأبدية ؟!

محبتك لله هنا ، هي مذاقة الملكوت ... فإن ذقت ما أطيب الرب ، ستشتاق إلى الحياة الأبدية ، التي يقول عنها الرسول « نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٧) . بل إن الرب نفسه يقول « آتى وأخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يوح ١٤ : ٣) . فكيف تكون كل حين مع الرب ، إن لم تحبه هنا وتجرب عشرته ؟! فتشتاق إلى الوجود الدائم معه في الأبدية ...

* * *

ولتكن علاقة مباشرة معه لأجل ذاته هو ...
فإن أخطأت ، اخجل منه أكثر مما تخجل من أب الاعتراف ، وقل له « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » (مز ٥٠) . اشعر أنك أخطأت إليه قبل أن تخطيء إلى الناس . حاول أن تكون علاقة مع الله نفسه ، وليست فقط علاقة مع وصاياه .
ليكن لك شركة معه (١ يوح ٦ : ٦) . وهذه الشركة تقودنا إلى حفظ وصاياه .
فنحفظها عن حب ، إذ أن الله يملأ كل فكرنا . ولهذا نضم صوتنا إلى صوت الرسول ونقول « وأما نحن فلنا فكر المسيح » (١ كو ٢ : ١٦) .

نَحَبُ لِلَّهِ بَعْسَرَةً وَلَا تَخَازُهُ صَدِيقًا

اتَّخِذْهُ لَكَ صَدِيقًا

★ إن أردت أن تحب الله ، اتخذه لك صديقاً .

بل ليكن صديقك الأول ، الذى تهرع إليه قبل كل أحد . تكشف له أسرارك ، وتحكى له كل شيء ، وتشعر بعمق الراحة فى الوجود معه . تحكى له كل أفكارك ، وتكشف له أعماقك ، بكل صراحة ، وبكل صدق ، وبكل ثقة . بقلب مفتوح . ولا تسأم من الحديث إليه . بل تقول :

عندى كلام كثير يا رب لأقوله لك ...

أنا يا رب أثق بمحبتك لى ، وبأنك تريد لى الخير ، وتقدر على ذلك . لماذا لا أحكى لك كما أحكى لأحبائى من البشر!! أترانى أبجد لذة فى أن أفتح قلبى لهؤلاء «التراب والرماد» (تك ١٨ : ٢٧) ، وفى نفس الوقت أبعد عنك أنت يا خالق الكل ؟! وكلما تدعونى إليك ، انشغل بأمور أخرى ، وأحتج بضيق الوقت ..!!
لا شك أننا بالحديث مع الله ننقّس عن أنفسنا .

ونجد راحة ، إذ تلقى عليه كل همومنا ، كأب محب لنا ، نبادله الحب ، ولا نخفى عليه شيئاً . بل نجعله يشترك معنا فى كل ما نفعل . وفى حب نسلّمه أفكارنا ليقودها . ويصحح مسارها إن كان فى مسلكها خطأ ...

حاول أيضاً أن تشرك الرب معك في كل عمل ...

فمثلاً ، إن كنت ذاهباً إلى عملك ، أو إلى مكان دراستك ، أو حيثما أردت أن تذهب ، قل له - قبل أن تخرج من بيتك - أنا يارب ذاهب إلى هذا المكان ، فكن معي فيه . وسأقابل فلاناً من الناس ، وفقني في لقائه وفي الكلام معه ، وضع في فمي الكلام الذي سأقوله ... وهكذا تتحدث مع الله خلال اليوم ...

أو قبل أن تخرج من منزلك ، قل له : أنا تارك يارب هذا البيت في رعايتك ... وتمشي في الطريق وأنت شاعر أن الرب إلى جوارك . وقبل أن تبدأ العمل ، مهما كنت ذكياً وصاحب خبرة ، قل له : يارب ، اشترك في العمل معي . فأنا بدونك لا أقدر أن أعمل شيئاً (يوه : ١٥ : ٥) . وإن نجحت في عملك ، قل له : لقد كانت يدك معي في العمل . فأشكرك واطلب دوام معونتك ...

وإن أجريت لك أو لأحد أحبائك عملية جراحية ونجحت ، قل له : لقد كانت يدك مع الطبيب ومع المستشفى ... وهكذا ظهرت محبتك لنا . ونحن نحبك كما أحببتنا .

أمامك باستمرار

ولكى تحب الله ، اجعل الرب أمامك باستمرار ...

مثلاً كان يقول داود النبي « جعلت الرب أمامي في كل حين . لأنه عن يميني فلا أترزع » (مز ١٦ : ٨) (أع ٢ : ٢٥) .

لاشك أن هذا الشعور يمنح القلب إيماناً وثقة وسلاماً . ولهذا يقول داود بعد هذه العبارة « من أجل هذا ، فرح قلبي وابتهجت روحى ... »

أو اجعل الرب أمامك ، كما كان يقول إيليا النبي :

« حتى هورب الجنود الذى أنا واقف أمامه » (١ مل ١٨ : ١٥) .

وهكذا يملأ الرب حواسك ، وبالتالي يملأ فكرك وقلبك ، وتجد نفسك تحتبس وتفعل كل ما يرضيه . بل أيضاً تشعر بصحبته لك . ليس فقط ليعرف أعمالك (رؤ ٢ : ٢-٩)

بل بالحرى ليشترك معك فيها ، أويعدوك لأن تشترك معه فيما يريد له لأجل ملكوته .

وشعورك بوجود الله أمامك يمنحك قوة فلا تخطيء ...

ومثال ذلك يوسف الصديق ، الذى قال « كيف أصنع هذا الشر العظيم واخطيء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) ... لقد كان يرى الله أمامه فى ذلك الوقت ، ولم يغب الله عن ذهنه لحظة واحدة . ومن محبته لله ، لم يقل كيف أخطيء أمامه » وإنما قال « كيف اخطيء إليه » ؟!

إنك تضع صوراً كثيرة فى بيتك ، تراها أمامك ...

فلماذا لا تضع الله أمامك ، مثل باقى الصور ، بل قبلها ؟

تراه أمامك فى كل حين : حين تمشى فى الطريق ، وحين تكون فى بيتك ، وحين تجلس مع الناس ... لاشك أن بطرس الرسول حينما أنكر الرب ، لم تكن صورة الرب أمامه . ولكنه حينما صاحب الديك ، وتذكر الرب وما سبق أن قاله له . حينذاك خرج إلى خارج وبكى بكاءً مرّاً (مت ٢٦ : ٧٥) .

إنك فى محبتك لله ، لست فقط ترى الله أمامك ، بل بالأكثر ترى نفسك فى حضنه .

وتقول كما فى سفر النشيد « شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى » (نش ٢ : ٦) إنك ابنه الذى أحبك ، ومن أجلك فعل الكثير . وإن تذكرت كل حبه لك ، لا بد ستبادله الحب ، ولا يمكن أن تخطيء ، بل تغنى له كل يوم تسييحاً جديداً . وتقول مع عذراء النشيد « حبيبى لى ، وأنا له ، الراعى بين السوسن » (نش ٦ : ٣) « تحت ظله اشتيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى » (نش ٢ : ٣) .

معك وأنت معه

ما أجل أن تشعر أن الله معك ، وأنه ممسك بيدك ، وهو أمامك ، وعن يمينك ، ومحيط بك ...

أنت في يده اليمنى (رؤ ٢ : ١) . وقد نقشك على كفه (أش ٤٩ : ١٦) . ولا يستطيع أحد أن يخطف من يده شيئاً (يو ١٠ : ٢٨) . بل حتى جميع شعور رأسك محصاة (لو ١٢ : ٧) . إن تذكرت هذا الإله المحب لك ، وجعلته أمامك ، فإنك لابد ستحبه . وتشعر بالأمان والاطمئنان لوجودك في حضرته .

أستطيع أن تحبه ، وأنت لا تشعر بوجوده معك ؟!

تحبه غيابياً ، وأنت لا تشعر بوجوده ؟! ليس هذا الأمر معقولاً ... إننا يا أخى لسنا نحب إلهاً مجهولاً . بل هوذا الرسول يقول « الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أبدينا » (١ يو ١ : ١) . فإن كان الرسل قد رأوه عياناً ، فإننا نراه بالإيمان ، مثلما قال داود النبى « .. الرب أمامى فى كل حين » (مز ١٦ : ٨) .

إذن ما هو مركز الله عملياً فى حياتك ، لكيما تحبه ؟

هل تجعله أمامك فى كل حين ؟ هل ترى عمله فى حياتك باستمرار ؟ أم تمر عليك أيام ، لا يأتى فيها ذكر الله على قلبك وذهنك ، إلى أن يذكرك به يوم الرب حين تدخل الكنيسة !! أم تراك تنسى أن يوم الأحد هو يوم الرب ، وتسميه الـ Week End !! حاول إذن أن تشعر باستمرار بوجودك فى حضرة الله . وأن الله موجود معك ، ويعمل معك ولأجلك ..

على أن القديس أوغسطينوس ، وهو يرى حياته فى فترة ما قبل التوبة ، يقول للرب عن تلك الفترة :

كنت يارب معى . ولكننى من فرط شقاوتى لم أكن معك !

كما ظهر لتلميذى عمواس بعد القيامة ، وتكلم معهما ولم يعرفاه (لو ٢٤) . وكما ظهر لمريم المجدلية ولم تعرفه وظننته البستاني (يو ٢٠) . ليتك إذن تشعر بوجودك فى حضرته . تشعر أن عينى الرب ناظرتان إليك باستمرار . وأن يده تمسك بك ، وأنه يركاك بحيث لا يعوزك شيء (مز ٢٣ : ١) . هذه المشاعر تغرس الحب فى قلبك .

* وليس فقط تجعل الله أمامك أو معك ، بل يكون الله فيك وأنت فيه ...

تكون فيه ، كما يكون الفصن ثابتاً في الكرمة ، لكيما يستطيع أن يأتي بشعر
(يو ١٥ : ٤ ، ٥) .

وهو فيك ، لأنك هيكل الله ، وروح الله ساكن فيك (١ كو ٣ : ١٦) . وكما قال
الرب « إن أحبني أحد يحفظ كلامي ، ويحبه أبي . وإليه نأتي ، وعنده نصنع منزلاً »
(يو ١٤ : ٢٣) .

* * *

اسأل نفسك : هل مازلت تحتفظ بالله داخلك ؟

هل الله في قلبك ، وفي ذهنك ، وعلى لسانك ، وفي حياتك كلها ... في بيتك وفي
عملك . تحس وجوده ، وتسعد بوجوده معك ، ويشارك معك في كل شيء ؟ أم أنت قد
ابتعدت عنه ، وأحزنت روح الله القدوس ، أو قد انفصلت عن الله بأنواع وطرق
شتى ؟!

حينما تكون امرأة حبي ، وتشعر بأن داخلها جنيناً حياً يتحرك ، يمتص حياته من
دمها ويتغذى ، فإنها تشعر بشعور خاص ، وبكل حب تقول « أتغذى لكى أغذيه » ...
وأنت في داخلك جنين/روحي ، وُلد فيك من الروح القدس حينما عرفت الله ... فهل
تتغذى لكى تغذيه ؟ وغذاؤه هو الحب الإلهي ، وبه يحيا ويتحرك ... كما يقول المرتل
للرب في المزمور « باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم » (مز ٦٣ :
٤ ، ٥) .

* * *

إن كنا نتغذى بحبة الله ، سننموروحياً ...

وحينما نتغذى بحبته ، نقول أيضاً لغيرنا « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب »
(مز ٣٤ : ٨) . كذلك حينما نتغذى بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤ : ٤) ،
وتكون لنا حياة فيه بتناولنا من سر الافخارستيا . ونشعر بحياته فينا ، فنقول مع
القديس بولس الرسول :

« لي الحياة هي المسيح ... » (في ١ : ٢١) « فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا
فيّ » (غل ٢ : ٢٠) .

—أتراك تشعر بحياة المسيح فيك ، وبنصرته فيك ، وبمجده في حياتك ؟ وهل تشعر
بشركة الروح القدس (٢كو١٣ : ١٤) في كل عمل تعمله ؟ هل أنت لا تدخل
مكاناً ، أو لا تعمل عملاً ، إلا إذا كان يمجّد اسم الله .

حامل الله

وهل أنت تحمل اسم الله وعمله في كل مكان تحلّ فيه ؟

حينما دخل داود إلى ميدان الجيش وقت تهديدات جليات ، أدخل اسم الله معه .
فقال « الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا » (١صم ١٧ : ٤٧) . وقال لجليات الجبار :
أنت تأتي إليّ بسيف ورمح . وأنا آتى إليك باسم رب الجنود... في هذا اليوم يحبسك
الرب في يدي... » (١صم ١٧ : ٤٥ ، ٤٦) . وهكذا كان اسم الرب على فم داود .
وكانت قوة الرب في ذراع داود . وكان اسم الرب سبب اطمئنان ونصر وفرح لكل
الجيش .

* * *

يعجبني أن القديس أغناطيوس الأنطاكي ، كان لقبه (التيوفورس) أى
حامل الله .

فإن كنت تحب الله ، فلا بد أنك ستحمل اسم الله معك إلى كل شخص يقابلك ،
وإلى كل مكان تذهب إليه . حينما تحمل اسم الله ، يعمل الله معك ، فينجح عملك ،
ويفرح قلبك بهذا النجاح ، وتحب الله الذى أنجح طريقك . كما قيل عن يوسف
الصديق إن «الرب معه» وأن كل ما كان يصنعه ، كان الرب ينجحه بيده «
(تك ٣٩ : ٣) .

إن الله يمكنه أن يعمل كل شيء وحده ، فكل شيء به كان (يو ١) ولكنه يحب
أن يعمل بنا ، كأدوات في يديه . لكى نفرح بعمل الرب فينا ، ونجبه لأنه قد اختارنا
لعمله . فهل أنت تعمل عمل الرب . وهل تقول له :

في كل مكان أذهب إليه ، سأوجد لك يارب موضعاً تسند فيه رأسك
(لو ٩ : ٥٨) .

وهكذا يكون الحب متبادلاً بينك وبين الله : هو يعمل فيك ، وأنت تعمل لأجله .
هو من فرط حبه لك ، يرسلك لتعمل في كرمه . وأنت في حبك له تقول « ينبغي أن
ذاك يزيد ، وأنى أنا أنقص » (يوحنا : ٣ : ٣٠) . ولكن الله لا يريدك أبداً أن تنقص ، بل
بحبه يجعلك منارة تنير لكل من في البيت (مت : ٥ : ١٥) . ويقول لك « أباركك
وتكون بركة » (تك : ١٢ : ٢) .

أما أنت ففى محبتك لله تقول مع المرتل فى المزمور « ليس لنا يارب ليس لنا ، لكن
لاسمك القدوس إعط مجداً » (مز : ١٠٥ : ١) .

* * *

الذى يحب الله ، يخفى ويظهر الله .

كما كان يفعل يوحنا المعمدان فى كل كرازته . لذلك انكر ذاتك ، تصل إلى محبة
الله . لأنك إن كنت تركز على محبة ذاتك ، فسوف تشغل بها وليس بالله . أما إذا
أنكرت ذاتك ، فسوف يكون الله هو شغلك الشاغل ، وهو الذى يملأ القلب والفكر ،
فتصل إلى محبته .

* * *



نخب الله بتأمل صفاته الجميلة وعلاقته بقرائسيه

صفات الله

أحياناً تحب إنساناً لأن صفة معينة فيه تجذبك إليه . كأن يكون إنساناً شهماً ، أو خفيف الظل مرحاً ، أو يكون إنساناً خدوماً ، أو قوى الشخصية ، أو ذكياً ... إنها صفة واحدة تجذبك ...

فكم بالأولى الله الذى تجتمع فيه كل الصفات الجميلة ، وعلى درجة غير محدودة من الكمال ... !!

لاشك أنك كلما تأملت صفة من صفات الله الفائقة الوصف ، ستجد نفسك تحبه ...

ولست أقصد صفات الله التى يتميز بها وحده ، ولا يشترك فيها معه أى كائن آخر ... مثل أنه أزل ، وخالق ، وواجب الوجود ، وحاضر فى كل مكان ، وفوق مستوى الزمن ، وغير محدود ، وغير مدرك ، وعارف بالخفيات ، وفاحص القلوب والأفكار ... وما إلى ذلك من الصفات التى يختص بها جوهر اللاهوت ...

إنما أقصد حتى الصفات التى يتصف بها بعض البشر أيضاً ، ولكنها عند الله كاملة وغير محدودة ...

مثل جمال الله ، وقوته ، وحكمته ، وعجبه ورحمته ، وطول أناته ... فقد يتصف بعض البشر بالجمال والقوة والحكمة والمحبة والرحمة وطول الأناة . ولكن هذه الصفات عند الله مطلقة ، وفوق مستوى ما ندركه ...

ولهذا فإن الكنيسة في صلواتها تعلمنا التأمل في صفات الله ...

تجد هذا كثيراً في صلوات القديس الإلهي ، وبخاصة القديس الغريغوري مثل «أيها الكائن الذي كان الدائم إلى الأبد ... غير المرنى ، غير المحوى ، غير المبتدى ، الأبدى ... الذي لا يحد ... الذي يسبحك غير المثنين ، والذي يسجد لك الظاهرون ... ألوف ألوف وقوف قدامك ، وربوات ربوات يقدمون لك الخدمة .

التأمل في عظمة الله ، يجعلك تعجده ، وحينما تتأمل كيف أنه على الرغم من كل مجده ، ينظر إليك ، ويوليكَ اهتماماً خاصاً ... حينئذ تحبه .

ونرى التأمل في صفات الله ، في المزامير والأجبية .

كان يقول المرنم في المزمور « الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة » « الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين » ... (مز ١٠٣ : ٨ ، ٦) . وما أكثر التأملات في صفات الله وأعماله ، التي غنى بها داود في مزاميره ، وأخذناها نحن عنه في التسبحة ... نسبح الرب في كل صباح ، فتزداد حباً له .

وفي الأجبية نقول في ختام كل ساعة من ساعات الصلوات السبع «... يا من في كل وقت وفي كل ساعة ، في السماء وعلى الأرض مسجود له وممجّد . المسيح إلهنا الصالح ، الطويل الروح الكثير الرحمة ، الجزيل التحنن . الذي يحب الصديقين ، ويرحم الخطاة الذين أولهم أنا . الذي لا يشاء موت الخطيء مثلما يرجع ويحيي .. » .

ونجد نفس التأمل في صفات الله عنصراً بارزاً في صلوات الآباء والأئبياء التي وردت في الكتاب المقدس ، ولنتترك هذا الأمر لقراءتك الخاصة ...

مغفرة الله

أما أنت فخذ أية صفة من صفات الله - بالتتابع - واجعلها مجالاً لتأملك ...

خذ مغفرة الله مثلاً ، وستره للخطايا ... كيف أنه على الرغم من العقوبة التي أراد أن يوقعها بأهل نينوى ، ما أن صاموا وتابوا حتى غفر لهم ... بل قال ليونان «أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من إثنتي عشرة ربوة من

الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم» (يون ٤ : ١١) . وعجيب أنه في محبة ومغفرته دعاها مدينة عظيمة ، مع أن أهلها لا يعرفون يمينهم من شمالهم . وقد سبق فأمر النبي أن ينادى عليها بالهلاك (يون ٣ : ٤) .

إنك ستحب الله ، إن تأملت قلبه المحب الذي يغفر .

الذى فى لحظات بسيطة ، غفر للمرأة الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها (لوقا ٧ : ٤٧) . كما غفر أيضاً للمرأة التى ضبطوها فى ذات الفعل (يو ٨ : ١١) . وقال لها «ولا أنا أيضاً أدink» . وكذلك غفر للمرأة السامرية التى كان لها خمسة أزواج (يو ٤ : ١٨) ، ومدحها وقال لها «حسناً قلت ... هذا قلت بالصدق» ... وغفر لزكا العشار ، بل دخل بيته ولم يبالي بتذمر الجمع على أنه دخل لبيت عند رجل خاطيء . بل دافع عنه وقال «اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لابراهيم» (لوقا ١٩ : ٥ - ١٠) .

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن مغفرة الله فى التاريخ .

مغفرته مثلاً لأوغسطينوس ، وموسى الأسود ، ومريم القبطية ، وبيلاجية ، ومرثا ، ويوستينوس الساحر ، وأريانوس والى أنصنا . والجندى الذى طعنه بالحرية .

ولم يكتف الرب بمغفرته لكل هؤلاء وغيرهم ، بل رفع من ذكرهم جداً . وجعل أوغسطينوس أسقفاً جليلاً ، وعالمًا فى اللاهوت والتفسير ، ورجل تأملات . وجعل موسى الأسود قديساً عظيماً ، وكاهناً وأباً للرهبان . وكذلك جعل مريم القبطية سائحة طلب بركتها القس سوزيما . وجعل يوستينوس الساحر أسقفاً عظيماً . وجعل أريانوس مضطهد المسيحية شهيداً ...

ألا نحبه إذن ، ونحب أسلوبه فى المغفرة ؟

إذ يقول عن الخطايا التى غفرها : أمحوها ، لا أعود أذكرها ، لا تحسب عليهم ...

انظر ما أسرع مغفرته للص اليمين التائب ... وكيف قال له «اليوم تكون معى فى الفردوس» (لوقا ٢٣ : ٤٣) . ومغفرته لشاول الطرسوسى ، ودعوته له أن يكون إناء مختاراً ورسولاً للأمم (أع ٩) ...

وكذلك قوله في مغفرة الخطايا ، أصفح عن إثمهم ، ولا أعود أذكر خطيتهم بعد» (أر ٣١ : ٣٤) . ويقول عن الإنسان اللاطئء التائب «كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه» (حز ١٨ : ٢٢) . ويتغنى المرنم بهذا في المزمور ويقول «طوبى للذين غفرت آثامهم وسُتِرت خطاياهم . طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢ : ١ ، ٢) (رو ٤ : ٧ ، ٨) .

هنا نرى الرب يستر على الخطية ، ويغفرها ، ولا يحسبها على الإنسان ، ولا يعود يذكرها بعد ...

أى حنان هذا الذى يذيب قلب الإنسان التائب . وكلما يغفر له الرب أكثر يحب الرب أكثر (لو ٧ : ٤٧) . فهل هناك أكثر من هذا فى معاملة الرب للخطييء وعدم حسبانته أو تذكره لخطاياهم ؟ نعم هناك ما يقوله الكتاب «توبوا وارجعوا فتمحى خطاياكم» (أع ٣ : ١٩) . وهذا ما يقوله المرتل فى مزمور التوبة «ومثل كثرة رأفاتك تمحو إثمى» (مز ٥١ : ١) .

نعم من محبة الله العظيمة أنه يمحو خطية التائب .

يمحوها ، كأن لم تكن ، كأن لم تحدث . وهكذا يحيا فى بهجة الخلاص ، الخلاص من الخطية ومن عقوبتها . ويشعر التائب بهذا فيفرح بالرب جداً ، لأنه محابته هذا العار ، بل أكثر من هذا أيضاً منحه أن يقول «تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج» (مز ٥١) ... حقاً ما أعجب هذا الأمر الذى يجعل التائب يذوب حباً لله الذى عامله هذه المعاملة ...

حقاً ، إنه يستحق كل الحب ، هذا الإله الحنون الغفور .

الذى نسيء إليه ، فيمحو إساءاتنا ، ولا يعود يذكرها . بل يغسلها فنييض أكثر من الثلج . هذا الذى فى رأفاته «كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣ : ١٢) . بل حلها بدلاً عنا ، ودفع ثمنها (أش ٥٣ : ٦) ... إنه إله طيب يستحق كل حب «لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا» (مز ١٠٣ : ١٠) . إنه لا يحسب علينا الماضى الأثيم كله ، من أجل حاضر مستقيم ...

دفاع الرب عن أولاده

وعجيب في هذا الأمر أيضاً دفاع الرب عن أولاده .

★ لقد أخطأ أبونا إبراهيم . ومن خوفه قال عن سارة إنها اخته ، واخفى أنها زوجته ، فأخذها أبيمالك ملك جرار . وإذا بالرب يتدخل ليدافع عن إبراهيم وسارة ، ويقول لأبيمالك في حلم « ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، لأنها متزوجة بيعل ... والآن ، ردة امرأة الرجل . فإنه نبي ، فيصلي لأجلك فتحيا » (تك ٢٠ : ٢-٧) .

يخطئ إبراهيم ، الرب يدافع عنه ، ويطلب من الملك أن يرد المرأة ، ويصلي إبراهيم عنه لكي يحيا ... !
ولملك تسأل الرب في هذا ، فيقول : إبراهيم هذا حبيبي . لقد أخطأ عن ضعف وليس عن إنحراف . أنا واثق من نقاوة قلبه . لذلك أدافع عنه .

★ ويخطئ داود ، ويعاقبه الرب . ولكن بنفس الحب تظل ثقته فيه في حياته . وحتى بعد موته ، نراه يقول لسليمان عندما عاقبه وقرر تمزيق مملكته : « إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك ، من أجل داود أبيك ... على أني لا أمزق منك المملكة كلها ، بل أعطى سبطاً واحداً لابنك ، لأجل داود عبدي » (مل ١ : ١١ ، ١٢ ، ١٣) . وهكذا حفظ كرامة لداود بعد موته .

★ وبنفس الأسلوب دافع عن أيوب ... على الرغم من كلام أيوب السابق الذي وبخه عليه اليهو ، والذي وبخه فيه الرب قائلاً له « من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة ؟ ! » (أي ٣٨ : ١ ، ٢) . إلا أنه حينما اتضع أيوب في التراب والرماد (أي ٤٢ : ٦) ، نرى الله يدافع عنه ، وينذر أصحاب أيوب الثلاثة الذين جرحوا مشاعره ، ويقول لهم « لم تقولوا في الصواب كعبد أيوب ... اذهبوا إلى عبد أيوب ، ولصعدوا محرقة لأجل أنفسكم . وعبد أيوب يصلي عنكم ، لأنني أرفع وجهه . لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم » (أي ٤٢ : ٧ ، ٨) .

* كما دافع الرب عن إبراهيم وداود وأيوب ، دافع أيضاً عن موسى لما تزوج بامرأة كوشية .

لقد تقول عليه هرون ومريم . فإذ بالرب ينتهرهما ويظهر لهما كرامة موسى عنده ، فيقول لهما « إن كان فيكم نبي ، فبالرؤيا استعلن له ، في الحلم أكلمه . أما موسى فليس هكذا . بل هو أمين في كل بيتي . فمأ إلى قم وعياناً أتكلم معه ... فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى » (عد ١٢ : ١-٨) . وضرب الرب مريم بالبرص عقاباً لها . فأخرجوها خارج المحلة ...

* * *

* ولم يدافع الرب فقط عن هؤلاء الأنبياء ، بل أيضاً عن المرأة التي سكبت الطيب على رأسه .

فلما اغتاظ التلاميذ قائلين « لماذا هذا الاتلاف ؟! » ، قال لهم الرب « لماذا تزعجون المرأة ، فإنها قد عملت بى عملاً حسناً ... لأجل تكفينى . الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في العالم كله ، يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكراً لها » (مت ٢٦ : ٧-١٣) .

* * *

كان الرب يدافع عن الذين ليس لهم أحد يدافع عنهم .

لقد دافع عن زكا العشار (لو ١٩) وعن كثير من العشارين والخطاة . ودافع عن السامريين ، وذكر مثل السامري الصالح (لو ١٠) . وأظهر في مثل آخر أن العشار أفضل من الفريسي (لو ١٨ : ١٤) . ودافع الرب عن الأطفال في يوم أحد الشعانين . وقال « لو سكت هؤلاء ، فالحجارة تنطق » ... ولا ننسى أيضاً أنه دافع عن صالبيه (لو ٢٣ : ٣٤) ... وبعد ، أترانى استطيع في مقال كهذا ، أن أذكر صفات الله الجميلة والتأمل فيها ؟!

إنما ذكرنا ما ذكرناه كمجرد مثال ...

وأنت أيها القارئ العزيز تناول هذا المنهج . وتأمل على التتابع صفات الله الجميلة ، وخذها غذاء لروحك ، وسبباً يوصلك إلى محبة الله ... وليرشد الله تأملاتك فيه ...

نَحْبُ اِلَهَةٍ بِتَأْمَلِ سِيرَ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ وَالْأُحْبُوهُ

سير القديسين

إذا تأملت حياة القديسين الذين أحبوا الله، لا بد ستحبه مثلهم. وبخاصة إذا تأملت الدالة العجيبة التي كانت بينهم وبين الله، وكيف منحهم الرب مكانة سامية، واعتبرهم كأصدقاء الله، ويأتمنهم حتى على أسرارهم.

سير القديسين ترفع القارئ إلى مستوى روحى عالٍ .

مستوى أعلى من المادة ومن العالم، وأسمى من الجسد ومن الخطيئة. فتطرح العالم خارج القلب، لكى يسكن الله فيه. وهى غذاء روحى للنفس، كما قال ماراسحق « شهية هى أخبار القديسين، مثل المياه للغروس الجدد » .

تؤثر سير القديسين فى النفس، وتدعو إلى التمثل بهم .

إن سيرة القديس الأنبا أنطونيوس التى كتبها القديس أنثاسيوس لأهل رومه، تركت تأثيراً عميقاً جداً، لدرجة أن كثيرين زهدوا العالم، وأحبوا أن يعيشوا فى حياة الوحدة مع الله. بل أن هذه السيرة كان لها تأثير عجيب جداً فى حياة أوغسطينوس، إذ قادت إلى التوبة والزهد، وحوّلت إلى قديس عظيم، أحب الله جداً، وظهرت هذه المحبة فى تأملاته التى تناقلها جيل بعد جيل .

كذلك فإن سير قديسى البرية التى كتبها السائحون الذين زاروا رهبان مصر فى القرن الرابع وبداية الخامس، ما أعظم الذى تركته فى النفوس، حتى قادت عشرات

الآلاف إلى حياة الرهينة ، متفرغين لمناجاة الله في صلواتهم ، حيث عاشوا في البرية ،
بلا أنيس ، بلا معز ، تكفيهم متعتهم الروحية بعشرة الله ومحبه .

تأملوا أيضاً ما قيل عن القديسين :

« العالم لم يكن مستحقاً لهم » (عب ١١ : ٣٨) .

قيل إن الأرض لم تكن مستحقة أن يدوسوها بأقدامهم ومن أجل صلواتهم كان
الله يُنزل المطر على الأرض ...

كانوا صورة لله على الأرض ، أو أنهم عادوا إلى الصورة الإلهية التي خلق بها
الإنسان الأول . فكان كل من يراهم ، يجب أن يبقى معهم ، لكي يتمتع بنفوسهم
الشفافة التي تظهر حياة الله داخلهم (غل ١٢ : ٢٠) .

فلنتأمل سير أولئك القديسين ، ونرى كيف أحبوه ...

من أجله فضّل دانيال أن يلتقى في جب الأسود ، عن أن ينكره . وبهذا دخل في
اختبار عجيب قال فيه « إلهي أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود » (دا ٦ : ٢٢) .

والثلاثة فتية ، من أجله فضلوا أن يلقوا في أتون النار الملتهبة ، عن أن ينكروه ،
فتمتعوا بأمرين عجيبين جداً : ابن الله يسير معهم وسط النار ، والنار لم تؤذهم بشيء ،
وشعرة من رؤوسهم لم تحترق » (دا ٣ : ٢٤ - ٢٨) .

وأبونا ابراهيم ، من أجل إيمانه بالرب وطاعته له ، رفع يده بالسكين ليقدم ابنه
وحيدة محرقة للرب ، لأن محبته للرب كانت أعمق بما لا يقاس من محبة الابن الوحيد ،
لذلك تمتع ببركة الرب ، وبأن نسله كنجوم السماء ورمال البحر في الكثرة ، ويتبارك
في نسله جميع أمم الأرض (تك ٢٢ : ١٦ - ١٨) .

ويعوزنا الوقت أن نتحدثنا عن قصص الشهداء والمعترفين والكارزين وكل محبي
الرب ، وبركة الرب لهم ، وما وهبهم من معجزات وظهورات وشفاعات سواء في
حياتهم أو بعد وفاتهم .

عيونهم المفتوحة

هؤلاء القديسين وهبهم الله عيوناً مفتوحة، ترى ما لا يُرى .

كما طوّب السيد المسيح تلاميذه قائلاً « طوبى لعيونكم لأنها تبصر » (مت ١٣ : ١٦) . وهكذا كان اليشع النبي يرى ما لا يستطيع تلميذه أن يراه . وهكذا صلى لكى يفتح الرب عيني ذلك الغلام لكى يرى (٢مل ٦ : ١٧) ... فرأى قوات الرب محيطة بالمدينة لتنقذها ...

حقاً ما أعجب عيني يوحنا الحبيب اللتين رأتا كل ما سجله فى سفر الرؤيا .
ما أجل قوله « نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء » (رؤ ٤ : ١) . ثم يقول « ولوقت صرت فى الروح . وإذا عرش موضوع فى السماء ، وعلى العرش جالس » ... ثم شرح ما رآه من القوات السمائية ، وعلاقتها بالله ، وتسييحها ، ومنظرها ، وكرامتها ...

وماذا نقول أيضاً عن بولس الرسول ، وصعوده إلى السماء الثالثة ، حيث سمع أموراً لا يُنطق بها (٢كو ١٢ : ٢ ، ٤) .

* * *

وماذا عن الرؤى التى رآها قديسو الله عبر العصور ، سواء ما سجلها الكتاب مثل رؤى دانيال وحزقيال ، أو ما وردت فى تاريخ الكنيسة وهى لا تدخل تحت حصر ، يعلن بها الرب إرادته لمحبيه ، ويكشف لهم عن أمور مستقبلية ، ويقويهم بها ويعزيهم ...
أسأل عن ذلك أيها القارئ العزيز : القديس الأنبا أنطونيوس ، والقديس الأنبا بيشوى ، والقديس الأنبا بولس البسيط ، وغيرهم كثير ...

حينما تقرأ عن كل هذا ، ألا تشاق أن يعلن لك الله مثلهم ؟ وكيف يعلن لك إن لم تحبه وتحيا فى نقاوة القلب . وحينئذ لا ترى فقط رؤى ، إنما كما يقول الرب فى التطويات :

* * *

« طوبى للأتقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) .

« يعاينون الله ... » ؟! هذا مجد عظيم يارب لا نستحقه ... ليتك إذن تمنحنا نقاوة القلب هذه ، مثلما منحتها لمحبيك ...

يوحنا الحبيب أبصر الرب في شيء من مجده ، والأنبا بيشوى رآه وغسل قدميه . وكثيرون رأوه في رؤى أو في أحلام ، وسمعوا صوته ... ولا أريد هنا أن أتحدث عن قديسي العهد القديم الذين رأوه ، وسلمهم رسائل ورسالات ليبلغوها للناس ...

دالتهم عند الله

هؤلاء القديسون كانت لهم دالة عند الله ...

اعتبرهم الله أصدقاء له . يكشف لهم خططه ومشيئته ، ويأخذ رأيهم ، ويسمح لهم أن يناقشوه فيما يقول ...

كما حدث مع أبينا ابراهيم قبل حرق سادوم ، إذ قال الله « هل أخفى عن ابراهيم ، ما أنا فاعله ؟! » (تك ١٨ : ١٧) . وكشف له الرب الأمر . ودخل ابراهيم في حوار معه . بل إن ابراهيم في دالته مع الرب قال له « أفتهلك البار مع الأثيم ؟! .. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر ، أن تميت البار مع الأثيم ! حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً .. » . وظل في حوار مع الله ، حتى قال الله له إن وجد في المدينة عشرة من الأبرار « لا أهلك من أجل العشرة » (تك ١٨ : ٢٣ - ٣٢) .

* * *

وبالمثل حدث مع موسى النبي ، لما أراد الرب إهلاك الشعب بعد عبادتهم للعجل الذهبي ...

لم يشأ الرب أن يفعل ذلك دون أن يخبر عبده موسى أولاً . فقال الرب لموسى « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن أتركني ليحمي غضبي عليهم وأقنيهم » (خر ٣٢ : ٩) . ولكن موسى لم يتركه يفعل هكذا . بل قال له في دالة « لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك ... ارجع يارب عن هو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل الذين حلفت لهم ... » . ويسمع الرب لكلام موسى ، ويقول الكتاب « فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه »

إن قرأت كل هذا ، ألا يتأثر قلبك بهذه الدالة ، وتحب أن يكون لك شيء منها في محبة متبادلة بينك وبين الله ؟!

على أن هؤلاء القديسين كانت لهم دالة مع الله ومكانة عنده ، حتى بعد وفاتهم .

فنرى أن الله لم يعاقب سليمان في حياته وابقى العقوبة إلى أيام ابنه رجبام . وقال تعليلاً لذلك « من أجل داود عبدي » (مل ١١ : ١٣) . وظل الرب يحتفظ بهذه المكانة لعبده داود ، حتى أن المرتل يقول للرب في المزمور « من أجل داود عبدك ، لا ترد وجهك عن مسيحك » « اذكر يارب داود وكل دعتة » (مز ١٣١) .

بل أكثر من هذا ، تسمى الرب بأسماء أحبائه .

فقال لموسى لما ظهر له في العليقة « أنا ... إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب » (خر ٣ : ٦) . واستخدم الرب هذه الآية في الرد على الصدوقيين من جهة القيامة (مت ٢٢ : ٣٢) .

ومن جهة الشريعة - مع أنها شريعة الله - إلا أنه ينسبها لموسى . فيقول « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب » (ملا ٤ : ٤) . ويقال عن العذراء « ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى ... » (لو ٢ : ٢٢) . وتكرر عبارة شريعة موسى مراراً ، كما في (مل ١ : ٢ : ٣) (نح ٨ : ١) (دا ٩ : ١١) وكذلك أيضاً عبارة « ناموس موسى » (يو ٧ : ٢٣) (أع ١٣ : ٣٩) (أع ١٥ : ٥) (عب ١٠ : ٢٨) . وبالمثل أسفار الكتاب ، تسمت أيضاً بأسماء محبيه . كما نقرأ سفر صموئيل ، وسفر نحميا ، وسفر استير...

كل هذه الكرامة التي يمنحها الرب لأولاده ، ألا تؤثر فيك لكي تحيا معه ، وتنال بركته ؟

أولاده أيضاً منحهم مفاتيح السموات والأرض (مت ٢٦ : ١٩).

« ما يربطونه على الأرض ، يكون مربوطاً في السماء . وما يحلون على الأرض يكون محلولاً في السماء » (مت ١٨ : ١٨) . ويقول لهم « من غفرتم خطاياهم غفرت له . ومن أمسكتموها عليه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) . أى سلطان هذا ؟! ... وهكذا أيضاً في العطايا ، وفي صنع المعجزات . بل قال لهم عبارة عجيبة مذهلة وهى : « من يؤمن بى ، فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٢) ... إلى هذه الدرجة يارب ؟! من ذا الذى لا يحبك ؟!

لقد أستأنم الرب أولاده على مخازنه .

يعطون منها كما يشاءون . وتوافق مشيئتهم مشيئته ..

ما أجل قول الرب عن موسى النبي « وأما عبدى موسى ... فهو أمين على كل بيتى . فمأ إلى قم وعياناً أتكلم معه ... وشبه الرب يعاين » (عد ١٢ : ٧ ، ٨) ... بل ما أعجب قوله لذلك الابن « يا ابنى ، أنت معى فى كل حين . وكل مالى فهو لك » (لو ١٥ : ٣١) !! بل يقول الرب عن تلاميذه لله الآب « وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى .. » (يو ١٧ : ٢٢) .

إننى أقف فى حيرة ، مبهوراً أمام هذه العبارات الثلاث ، أغوص فى أعماقها ، لعلنى أفهمها كما ينبغى ...

« أمين على كل بيتى » ... « كل مالى فهو لك » ... « أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى » .

حقاً ما أعمق محبة الله الفائقة الوصف ! وما أعجب كرمه وجوده حينما يعطى ! ليس فقط لبنيه ولتلاميذه ، بل حتى لذلك الابن الذى كان فى موقف جحود (لو ١٥) .

ألا نحب من أعماقنا ، وهوبهذا الحب والجود ؟!

كيف انتقلوا

وجيل أن نتذكر هنا كيف انتقل كثير من هؤلاء القديسين من عالمنا الفانى، وما كان بعد ذلك...

لنترك إلى حين قصة صعود إيليا إلى السماء (٢ مل ٢ : ١١)، وقصة أخنوخ وكيف أخذه الرب إليه (تك ٥ : ٢٤)، وقصة نياحة السيدة العذراء مريم وصعود جسدها. فهذه كلها حالات نادرة جداً لمستويات عالية... ولنستمع إلى قول الكتاب «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» (عد ٢٣ : ١٠)... ولننظر:

روح الأنبا آمون، وكيف رآها القديس الأنبا أنطونيوس، والملائكة تحملها في تهليل... ولنقرأ عن القديس الأنبا كاراس السائح وكيف حضر قديسون لاستقبال روحه. وأنشد له داود مزموره «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن إلينى» (مز ١١٤)... كذلك القديس اسطفانوس أول الشمامسة كيف فى وقت استشهاده رأى السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله» (أع ٧ : ٥٥، ٥٦). وكان وجهه «كأنه وجه ملاك» (أع ٦ : ١٥).

وماذا عن الذين فارقوا العالم فى أيامنا . وكأن الحجرة وقت وفاتهم، وقد أضاء فيها نوره، واشتم الناس رائحة بخور- أو الذين كانوا يرون رؤى معزية وقت انتقالهم . ويرقدون والابتسامة على وجوههم والفرح فى قلوبهم...

كل أولئك أحبوا الله، فجعل ساعة وفاتهم ساعة فرح. وبعضهم أخبره الرب بوقت انتقاله... ومن أمثلة ذلك بعض الآباء السواح كما فى قصة آبا نفر، والقديس سيداروس المتوحد وآخرين. كذلك قصة القديسة مريم القبطية.

وما أكثر الذين ظهروا بعد وفاتهم لآخرين .

مثل القديس أغناطيوس الأنطاكى الشهيد، الذى بعد أن ألقوه للأسود الجائعة فافترسوه، ظهر لزملائه فى السجن المؤمنين وعزاهم وشجعهم .. وظهورات القديسين لا تدخل تحت حصر....

والبعض كانت تحدث معجزات أثناء تعذيبهم أو استشهادهم، مما يجعل غير المؤمنين يؤمنون، كما في قصة مارجرجس... أو تفشل الطرق التي أرادوا قتلهم بها، مثلما حدث مع القديس يوحنا الحبيب، والقديس بوليكاربوس، والسم الذي أعدوه لمارجرجس...

أيضاً تأملنا في صفات القديسين الجميلة، نجعلنا نحبههم، ونحب صفاتهم، ونحب الله الساكن فيهم.

أست ترى معنى أن الموضوع طويل إن استرسلنا في الحديث... لذلك اعتبر ما ذكرته مجرد مثال، وأترك الباقي لتأملك الخاص.



خَبَّ اللهَ بِالصَّلَاةِ صَلَاةَ الْحُبِّ

كيف تصلي

بالمداومة على الصلاة ، تصل إلى محبة الله .

إن أحببت الله ستصلي . وإن صليت كثيراً ، ستجد أن محبتك لله سوف تزداد وتعمق يوماً بعد يوم . وهذا طبيعي لأنك إن أحببت شخصاً ، فسوف تحب أن تتكلم معه . والكلام مع الله هو الصلاة .

وبالصلاة سوف تتعلم الصلاة ، أعني تتعلم كيف تتحدث إلى الله ، حديثاً يقودك إلى محبته ...

بالمداومة على الصلاة ، سوف تصل إلى عمق كل كلمة تقولها في صلاتك . وستجد أنك ترتبط بالله أكثر فأكثر ، وتجد دالة في الحديث معه ، وشهوة للحديث معه . وهكذا تعلمك الصلاة محبة الله .

* * *

كَلِّمَ الرب في صلاتك بهذا الأسلوب ، ومن هنا يتعود لسانك الحديث معه ...

كإنسان يريد أن يتعلم إحدى اللغات ، لابد أن يتكلم بها ، حتى لو كان لا يعرف ، أو يخطئ في الحديث . إلا أنه بكثرة الكلام يتعود لسانه ، ويسهل عليه الأمر ، إلى أن يجيد الحديث بها ...

هكذا أنت ، كلما تكلمت مع الله ، يتعود لسانك الحديث معه . وتتعود أن تحدثه بعاطفة وحب .

ولكنك في بداية تدريبك ، قد لا تبدأ الصلاة بمشاعر الحب .

لذلك أبدأ الصلاة ، ولو بالتغصب ، وحاول أن تتأمل أو على الأقل تفهم كل كلمة فيها ... والقديسون لم يصلوا إلى صلاة الحب من بادىء الأمر . إنما تدرجوا في عمق الصلاة وعاطفية الصلاة ، إلى أن وصلوا فيها إلى درجات من الكمال ، حسبما منحتهم النعمة ، وحسبما كانت لهم من مشاعر ، ومن استعداد ...

لذلك حاول أن تصلى بعاطفة وبفهم ...

لأنك لو صليت بطريقة روتينية ، فلن توصلك إلى محبة الله . والقديس بولس الرسول إنه يفضل أن يقول خمس كلمات بفهم أفضل من عشرة آلاف بغير فهم (١كو١٤: ١٩) . ولذلك فإن كل كلمة تقوفاً في صلاتك ، قلها بفهم وبعاطفة ، من أعماق قلبك ، كحبيب يكلم حبيبه ، وكصديق يكلم صديقه . وإن لم يكن في قلبك هذا الحب وهذه المشاعر :

قل له : اعطني يارب أن أحبك ...

فهذه هي الصلاة التي كان ينصح بها الشيخ الروحاني .

قل له : علمني يارب كيف أحبك . درّبنى على محبتك ، ودرّجنى في محبتك . اسكب محبتك في قلبي بالروح القدس .

قل له : انزع يارب من قلبي كل محبة أخرى تتعارض مع محبتك ، حتى يصير القلب كله لك وحدك . لا تسمح أن أحب أى شيء أو أى أحد أكثر منك ، ولا أن أحب أى أحد أو أى شيء ، أو شهوة أو أى رغبة ، لا تتفق مع محبتك أنت . لا تسمح يارب أن يوجد في قلبي من ينافسك ، أو ما ينافسك ... أو يسىء إلى محبتك .

اجعل محبتك هي التي تشغلني وتملك قلبي .

وهي التي تقود كل تصرفاتي ، وتمتزج تماماً بكل تصرفاتي وبكل أقوالى وبكل

أعطني يارب أن اشتهى الجلوس معك والحديث إليك ، وأن أجد لذة في الصلاة والمداومة عليها .

وإن فترت محبتك ، اطلب منه أن يعيدها بحرارتها .

قل له : أنت يارب تقول «عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى» (رؤ ٢ : ٤) . فكيف أعود يا رب إلى محبتى الأولى إلا بك ! أنت الذى تعيدنى إلى محبتك . أنت يارب الذى تتوبنى فأتوب (أر ٣١ : ١٨) . أنت الذى تمنحنى حرارة الروح ، لأنك أنت يارب نار آكلة (عب ١٢ : ٢٩) . لذلك أرجعنى يارب إلى محبتى الأولى ، بل وإلى أكثر منها ...

* * *

ومن أجل الأمثلة لصلوات الحب : صلاة التسبيح .

التي تحدث فيها الله متأملاً في صفاته ، مثل صلاة « ياربى يسوع المسيح ، مخلصي الصالح » ، بكل ما تحويه من تفاصيل علاقة النفس بالله ... ومثل صلاة الثلاث تقديسات ، وكثير من صلوات القديس الغريغورى ...

قل له : أنت يارب حنون وطيب . أنت طويل الأناة . كم أطلت أناك على ، وأنا مبتعد عنك ...

وكم منحتنى فرصاً لكى أرجع إليك . وكم غفرت لى أيها الغفور المحب ، ولم تصنع معى حسب خطاياى ...

* * *

كَلِّم الرب بصراحة كاملة ، وافتح له قلبك .

قل له : أنا يارب أريد أن أحبك . ولكن الخطية الفلانية تعوق طريقى إليك . وتسيطر على قلبى ومحبتى . وأنا يارب حاولت أن أتركها ولم استطع . أعطنى القوة أن أتركها ، لأنه بدونك لا أستطيع ذلك (يو ١٥ : ٥) . نجنى يارب من هذه الخطية ، لا لكى أنجوا من العقوبة ، إنما لكى يزول العائق الذى يمنعنى من محبتك ...

* * *

نحدث مع الله بحبته ، كما كان يحدثه داود في مزاميره .

كأن تقول له : اشتاقت نفسي إليك . عطشت نفسي إليك . كما يشاق الأيل إلى جداول المياه ، كذلك اشتاقت نفسي إليك يا الله » « متى أقف وأترامى أمام الله » (مز ٤٢ : ١ ، ٢) « باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسي كما من لحم ودسم (مز ٦٣) » محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩) .

استخدم في صلواتك عبارات الحب ، ومشاعر الحب ، وتدريب على ذلك حتى يتعوده قلبك ، كما يتعوده لسانك . وتقول كما في التسبحة « قلبي ولساني يسبحان القدوس » ...

بالإضافة إلى صلوات المزامير والأجبية ، لتكون لك صلواتك الخاصة التى تقوها من كل قلبك .

التي تفتح فيها قلبك لله ، وتحديثه عن كل أمورك : عن كل مشاعرك وأفكارك ، وعن حروبك وضعفائك ، وعن مشاكلك وسقطاتك . وتسأله المشورة والمعونة .. وتطلب منه القوة والبركة ... كل ذلك دون أن تتصنع أفكاراً أو كلمات أو مشاعر ... إنما تتكلم مع الله كما أنت . مثلما جاءه الابن الضال بنفس ملابسه القدرة التى عمل بها فى رعى الخنازير ... واطلب منه أن يهبك محبته كعطية مجانية من عنده ... وقل له : لا تحرمنى يارب من محبتك ...

كيف صلى القديسون

وتأمل كيف كان القديسون يصلون ؟ وكيف كانت محبتهم لله تظهر فى صلواتهم .

أولئك الذين كانوا يكلمون الله بقلوبهم ، ولو صمتت ألسنتهم ... وكما قال الشيخ الروحاني : سكّت لسانك ، لكى يتكلم قلبك . وسكّت قلبك لكى يتكلم الله . ومن هنا يبدو أن صلواتهم كانت حديثاً متبادلاً مع الله : يحدثونه بقلوبهم ، ويتحدث هو فى قلوبهم . وفيما يتكلمون مع الله ، يستمعون إلى صوته فى قلوبهم .

وكل كلمة يقولونها في صلواتهم ، كانوا يتعمقون في معناها جداً ، و يلتذون بها ، حتى قيل عنهم :

« ومن حلاوة اللفظة في أفواههم ، ما كانوا يشاءون أن يتركوها ليقولوا لفظه أخرى » .

كانت كلمات الصلاة حلوة في أفواههم ، ولها عمق وتأثير على نفوسهم ، حتى كان يمزّ عليهم أن يتركوها إلى غيرها ... أين هذا ، من الذين يصلّون ، وهم لا يدركون معنى ما يقولون ! أو يصلّون بسرعة حتى ينتهوا من الصلاة و يعودوا إلى مشاغلهم !!
أما القديسون فمن حلاوة صلتهم بالله في صلواتهم ، ما كانوا يريدون أن يختموا الصلاة ، و يكتفوا بهذا الحديث الجميل بينهم وبين الله وأثره العميق في نفوسهم .

* * *

كانت الصلاة هم وقت متعة روحية ، تسبح فيها الروح خارج نطاق الجسد
والماديات ...

كانت لذتهم في الصلاة ، أو بمعنى أدق : لذتهم في العشرة الإلهية أثناء الصلاة .
ومن أجل هذه المتعة الروحية ، تركوا العالم وكل ما فيه ، لكي يتفرغوا لعمل الصلاة ، حيث يتمتعون باللقاء مع الله ، ويشعرون بوجودهم معه ، أو بوجوده معهم .

وكثيراً ما كانوا ينسون أنفسهم وكل ما يحيط بهم . مثلما حدث مع القديس يوحنا القصير الذي طرق الجمال بابه ليحمل عمل يديه من القفف لبييعها . فكان في كل مرة يدخل قلايته ليحضر القفف له ، يختطف عقله في الصلاة فينسى ...

* * *

وكثيراً ما كان الله ينعم على هؤلاء القديسين بحالة روحية أثناء الصلاة ، فلا يدرون هم في الجسد أم خارج الجسد .

كما حدث للقديس بولس الرسول (٢ كو ١٢ : ٢ ، ٣) .

أحياناً يتمتعون برؤى روحية ، أو يدخلون في حالات من الدهش . أو يجدون عقلمهم منشغلاً بكلام الصلاة . دون أية حركة إرادية منهم ، بحيث لا يستطيعون إيقافه عن الصلاة ، ولا يريدون . ولعل هذا بعض ما قصده الشيخ الروحاني بقوله « ليتكلم

ويتمتعون أثناء صلواتهم بسيل من المعاني الروحية يتوارد على أذهانهم ، وما كان يخطر على بالهم من قبل . وربما العبارة الواحدة تأخذ معنى جديداً في كل صلاة ، حتى ليقولوا مع داود النبي « اكشف يارب عن عيني ، لأرى عجائب من شريعتك » (مز ١١٩) .

تتحول صلاتهم إلى حب . ويتحول حبهم إلى مناجاة ، وتتحول مناجاتهم إلى متعة روحية --

وفي هذه المتعة ، يتمنون لو بقوا هكذا قائلين مع التلاميذ عند جبل التجلي « جيد يارب أن نكون ههنا » (مر ٩ : ٥) ... وهذا يحدث حينما يكون المصل في حالة روحية معينة ، فيها الحب والعاطفة والفهم والتركيز ، والانشغال الكلي بالله ، والموت الحسي والعقلي عن كل ما حوله . ويذكرنا هذا بالقديس يوحنا الأسبوطي حينما سأله « ما هي الصلاة الروحانية ؟ » فأجاب « هي الموت عن العالم » ...

ومن أجل اختطاف عقلهم أحياناً أثناء الصلاة ، كانوا يصلون وهم وحدهم في مكان خلوتهم .

فلا يرى أحد مشاعرهم أثناء الصلاة ، ولا ما يشغل عقلهم وقتذاك ، أو ما يحدث لهم من رؤى أو من دهش ... أو كيف يدغدغ حب الله حواسهم حتى ينطبق عليهم قول عذراء النشيد « فإني مريضة حباً » (نش ٢ : ٥) .

أما أنت يا أخي إن كنت لم تصل بعد إلى شيء من هذا :

فنصيحتي لك أن تلتصق بالرب على قدر ما تستطيع أثناء الصلاة ، وتبعد نفسك عن طياشة الفكر ، وتركز ذهنك في كلمات الصلاة ، وتصحبها بكل عواطفك ومشاعرك . وكلما حان انتهاء الصلاة ، حاول أن تستمر ، وأن تقول للرب « امكث معي يا سيدي » (مت ٢٤ : ٢٩) ...

وحاول في بعض الأوقات أن ترتفع عن مستوى الطلب .

وتدرب في صلاة الحب ، أن يكون طلبك الوحيد هو الله وليس غيره .
كما قال داود النبي « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب ألتمس . لا تحجب وجهك
عني » (مز ٢٧ : ٩) .. مثل هذه الصلاة تعبر عن الحب .
اتخذ الله صديقاً لك ، وحبیباً ، وراعياً وحافظاً ومرشداً . وافهم في قلبك تماماً أنك
لا تستطيع الاستغناء عن محبته لحظة واحدة ولا طرفة عين . حينئذ تجد المحبة التي في
قلبك قد ظهرت في صلاتك .



وسائل أضرى لمحبة الله

هناك وسائل أخرى كثيرة نصل بها إلى محبة الله . وستكلم عنها بشيء من

الإيجاز، ومنها :

مخافة الله .

محبة الخير .

محبة الناس ، وبالتالى الخدمة .

وسائط النعمة .

تذكّار الموت والدينونة .

مخافة الله

المخافة هى بداية الطريق إلى المحبة .

يقول الكتاب المقدس فى سفر الأمثال « بدء الحكمة مخافة الرب » (أم ٩ : ١٠) ،
ويقول المزمور فى المزمور « رأس الحكمة مخافة الرب » (مز ١١١ : ١٠) . فكيف ذلك ؟
وما العلاقة بين المخافة والمحبة ؟ بينما يقول القديس يوحنا الرسول : « لا خوف فى
المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » (١ يوح ٤ : ١٨) .

حينما تبدأ بالمخافة ، سوف تطيع الله وتنفذ وصاياه :

على الأقل ستخاف من عقوبته ، ومن يوم الدينونة الرهيب ، ومن العذاب
الأبدى . وبطاعة الوصايا سوف تجد فيها لذة ، وتجدها نافعة جداً لحياتك ، كما كان
داود النبى يتغنى بوصايا الله ، وبشريعته وناموسه ، فى مزاميره . ويقول « وصية الرب
مضيئة تنير العينين من بُعد » « وصايا الرب مستقيمة تفرّج القلب » « تصير الجاهل
حكيماً » « أشهى من الذهب والأبريز الكثير . وأحلّى من العسل وقطر الشهاد »
(مز ١٩) . ويقول أيضاً فى المزمور الكبير « اذكر لعبدك كلامك الذى جعلتنى عليه

أتكل، هذا الذى عزانى فى مذلتى» «بكل قلبى احفظ وصاياك» «بشريعتك أتلذذ» «لكل كمال وجدت منتهى. أما وصاياك فواسعة جداً» «كم أحببت شريعتك. اليوم كله هى لهجى» (مز ١١٩).

ومحبة وصايا الله ، نحب الخير .

ومحبة الخير ، نصل إلى محبة الله .

محبة الخير

ربما فى بادىء الأمر نغصب أنفسنا على محبة الخير ، ولكننا بتوالى ممارسته نعمله بكامل إرادتنا، بل وبرغبة قلوبنا. ولا نستطيع أن نخطئ (١ يو ٣ : ٩) .

وأنا أقول محبة الخير ، وليس مجرد عمل الخير ، فقد يفعل الإنسان الفضيلة خوفاً ، أو خجلاً من انتقاد الناس ، أو اتقاء للعقوبة ، أو حفظاً لسمعته ، أو مجاملة ، أو مجارة للمجتمع ، أو رياءً بينما يحب الخطية فى أعماقه. ليست هذه المظاهر هى التى توصل إلى محبة الله .

فالمقصود ليس هو عمل الخير بل محبة الخير .

إن الله لا يهيمه الخير الذى نعمله مضطرين ، أو مجبرين . كما لا قيمة للخير الذى نبغى من ورائه مديحاً أو مجداً من الناس أو إعجاباً ... لأننا فى هذه الحالة ، يكون حبنا هو للمديح والإعجاب وليس للخير ، كما إننا ننال أجر ما فعلناه هنا على الأرض (مت ٦ : ٢ ، ٥) . إنما الخير الحقيقى ، هو الذى نعمله حباً للخير ذاته ، وحباً لمن نصنع منهم الخير ، وحباً لله نفسه ...

وعندما نحب الفضيلة والخير ، سنحب الله تلقائياً . لأن الله هو الخير المطلق .

وهكذا يمكن للإنسان البار أن يحب الله بعكس الخاطئ الذى يحب الخطية ، ولا يستطيع أن يحب الله معها فى نفس الوقت ، لأنه لا شركة بين النور والظلمة ، ولا خلطة للبر والإثم (٢ كو ٦ : ١٤) ... وكالوجوديين الذين يظنون أن الله يعطل ممارستهم لشهواتهم ، فينكرون وجود الله الذى يدعو إلى الخير ، ويعاقب على تلك الشهوات .

أما أنت إذا أحببت البر والخير ، فستجد أن الله هو مثلك الأعلى فيما تحب ،
فتحبه ...

وإذا أحببت الخير ، ستجد أنك قد ارتفعت فوق مستوى الصراع مع الخطيئة . إن
عبارة الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح تشتهي ضد الجسد » (غل ٥ : ١٧) . وهى
عبارة خاصة بالمبتدئين ، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح . أما الجسد النقى
البار ، الذى يحب الخير ، فهو لا يشتهي ضد الروح . بل روح البار هى التى تقود
جسده . وروح الله يقود هذه الروح البشرية (رو ٨ : ١٤) .

* * *

إذا أحببت الخير ، وصار جسدك هكذا مقدساً ، سيكون فعلاً هيكلاً للروح ،
وروح الله يسكن فيه (١كو ٣ : ١٦) .

وتدخل فى شركة الروح القدس (٢كو ١٣ : ١٤) . وروح الله هو الذى
يسكب محبة الله فى قلبك .

لأنه هكذا قال الرسول « .. محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى
لنا » (رو ٥ : ٥) .

إذن احتفظ بسكنى الروح القدس فىك ، وبشركتك مع الروح القدس فى الفكر
والعمل ، لكى تحتفظ أيضاً بمحبة الله فى قلبك . ولا تحزن روح الله بأى عمل يضاد
مشيئة الرب . وهكذا تعيش باستمرار فى محبة الله ...

* * *

الذى يحب الخير ومحبة الله ، جهاده الروحى هو جهاد لذيذ وبلا تعب ،
جهاد للنمو فى الخير ومحبة الله ...

إنه لا يجاهد ضد نفسه ليفصها على حياة الفضيلة . فمادام يحب الفضيلة ، طبيعى
أنه لا يغضب نفسه عليها ، بل يمارسها بفرح وبشوق ، ويجد لذته فيها . وهكذا يحب
الصلاة ، ويحب الله الذى يكلمه فى صلاته . ويحب الكتاب المقدس ، ويحب الله الذى
أرسل إليه هذه الكلمات التى تشبع نفسه . ويحب الكنيسة وكل أسرارها المقدسة .
ويجد فيها نبعاً روحياً يرويه وينميه . ويفعل كل ذلك بلا تغضب . لماذا ؟

لأنه دخل إلى راحة الرب ، دخل سبته الذى لا ينتهى ، الذى يتدرج فيه

من خير إلى خير أكبر.

ويرتبط الخير عنده بمحبة الله ارتباطاً وثيقاً وعجيباً . فالخير يقوده إلى محبة الله . ومحبة الله تقوده إلى الخير . وتصبح كل منهما سبباً ونتيجة بالنسبة إلى الأخرى .

الذى يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة كما قال الرسول (١ يوه : ٣) ، ذلك لأنه يحبها .

بل إن الذى يحب الرب ويحب البر ، قد ارتفع فوق مطالب الناموس ، إذ قد دخل فى الحب .

إنه يفعل الخير بلا وصية . بل بطبيعته الخيرة . ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير .

فى محبته للخير ، عاد كما كان صورة الله . وأصبح الخير جزءاً من عناصر نفسه ، يفعله كشيء عادى طبيعى ، لا يبذل فيه جهداً . يصير الخير فى حياته ، كالنفس الذى يتنفسه ، دون أن يشعر فى داخله أنه يفعل شيئاً زائداً أو عجيباً ، ودون أن يحاول ذلك ولذلك فهو أيضاً لا يفتخر أبداً بهذا الخير ، باعتبار أنه شيء عادى ...

إنه يحب الله ، ويحب فيه الخير الذى يشتهي . ويصبح الله هو شهوته ولذته .

ويجد فى الله مثالياته التى يفقدها العالم . ولذلك يزهد العالم ، ويحب دائماً أن يلتصق بالرب ، كما قال داود النبى « أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب » (مز ٧٣ : ٢٨) . ويشعر بفرح لأنه قد وجد الله ، وعرفه واختبره ، وعاشه وعاش معه . واختبر معه لذة الحياة الروحية ، لذلك يقول مع عذراء النشيد « امسكته ولم أرخه » (نش ٣ : ٤) .

محبة الناس

الذى يحب الخير ، يحب الناس ، لذلك يصنع معهم خيراً . ومحبة الناس توصله إلى محبة الله . وكما قال الرسول : « إن قال أحد إننى أحب الله ، وهو يبغض أخاه ، فهو كاذب » .

لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ؟! (١ يوحنا : ٢٠) .

إن أردت أن تحب الله ، ابدأ أولاً بحبة الناس . اخدم الناس ، ساعدهم ، احترمهم ، ابذل نفسك عنهم . وعندئذ تجد أن محبة الله قد دخلت تلقائياً إلى قلبك .

اعط من قلبك حباً لكل المحتاجين إلى الحب . اعط حباً للأطفال ، للعجزة والمسنين ، للأيتام ، للمحتاجين والفقراء ، للمعوقين ، للذين ليس لهم أحد يذكرهم ... اخدمهم جميعاً ، وستجد أن محبة الله قد دخلت قلبك بقوة . وستجد أيضاً أنك ترفع قلبك إلى الله ليساعدك على خدمتهم . وأنت تشكره إذ قدم لك احتياجاتهم ...

تحبهم ، لأنهم أولاده وشعبه . وتحبه لأنه يحبهم ويساعدك على محبتهم .

وتجد أن محبة الله فى قلبك ترتبط أيضاً بحبة الناس . إن أحببتهم تحبهم . وإن أحببتهم تحبه ... لذلك فإن السيد المسيح حينما قال إن الوصية الأولى هى محبة الله ، قال « والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك » (مت ٢٢ : ٣٩) . تأمل فى كلمة (مثلها) وكلمة (كنفسك) ...

* * *

لذلك فإن الخدمة توصل إلى محبة الله .

الخدمة توصلك إلى محبة الله ، ومحبة الله ترسلك إلى الخدمة . بشرط أنها لا تكون خدمة روتينية ، ولا مجرد نشاط . إنما خدمة ممتزجة بالحب . الحب هو الذى يدفع إليها ، والحب يكون من نتائجها . فأنت تخدم الناس لأنك تحبهم ، ولأن الله يحبهم . وتخدمهم لأنك تحب ملكوت الله ، وتحبهم أن يدخلوا هذا الملكوت ، وأن يحبوا الله الذى تحبه والذى يحبك .

انظر ماذا قال السيد المسيح عن تلاميذه للآب « عرفهم اسمك ، وساعرفهم . ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » (يوحنا : ١٧ : ٢٦) .

وهناك وسائل أخرى توصلك إلى محبة الله :

وسائل النعمة

ما يربطك بحبة الله أيضاً : وسائل النعمة :

إن الله قد دبر لنا وسائل كثيرة تساعدنا على محبته ، منها الصلاة ، وقراءة الكتاب المقدس ، واجتماعات الكنيسة وألحانها وطقوسها وأسرارها المقدسة ، وبخاصة الاعتراف والتناول . وكذلك القراءة الروحية ، والتأمل ، وزيارة الأماكن المقدسة ، والإرشاد الروحي .

فلكى تصل إلى حبة الله ، عليك أن تهتم بكل هذه الوسائل ، لأن بعدك عنها يسبب لك الفتور ، ولا يعود الله يشغل فكرك . ولقد أصدرت لك كتاباً عن (الوسائل الروحية) أرجو أن يفيدك في هذا المجال .

ذكر الموت والدينونة

ما يقودك إلى حبة الله أيضاً : التفكير في الأبدية .

لأن الإنسان إذا شعر بفناء هذا العالم ، وبأنه سوف يبيد وشهوته معه (١ يوحنا : ٢) ، وأنه كله باطل وقبض الريح (جا ١) . ولا بد للإنسان أن يقف يوماً للدينونة أمام كرسي الله العادل ، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله (مت ١٦ : ٢٧) ، وحسب كل ما فعله بالجسد خيراً كان أم شراً (٢ كو ٥ : ١٠) ... فحينئذ يستيقظ ضمير الإنسان ، ويبدأ أن يستعد لملاقاة الله . ويحاول أن يكون علاقة مع الله ، ويعتذر عن خطاياها ، ويدخل في حبة الله مادام سبيلاً في الأبدية ، وبأى وجه سيلقاها ؟

لذلك فالكنيسة المقدسة ذكرتنا بالدينونة والمجيء الثاني في صلوات الغروب والنوم ونصف الليل .

لكي نستعد للقاء الله ، بالتوبة والندم على خطايانا ، وبخافة الله التي توصلنا إلى حبة الله ليتك تصلى هذه الصلوات ، وبخاصة التحاليل . وثق أنها ستعمل في قلبك عملاً . وما أكثر القديسين الذين كان تذكارات الموت والدينونة يقودهم إلى الإلتصاق بالله بالأكثر .

علامات محبة الله

تحدثنا كثيراً عن كيف تحب الله ، وبقي أن نذكر ما هى علامات هذه المحبة ، وما نتائجها فى حياتك ؟

العلامة الكبرى هى أن محبة الله فى قلبك ، تنسيك كل شىء ، فلا تشعر بلذة شىء سواه .

كل ملاذ العالم تبدو بلا طعم لمن ذاق محبة الله .

يبدو كل شىء تافهاً وضحلاً ، كما قال سليمان الحكيم « الكل باطل وقبض الريح » (جا : ١٤) . وهكذا كلما تنمو فى محبة الله ، على هذا القدر تزهد مغريات العالم كلها ، وتردد مع القديس بولس الرسول « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح ، وأوجد فيه » (فى ٣ : ٨ ، ٩) .

تصوروا إنساناً نال درجة الدكتوراه فى الرياضيات ، أترأه يجد لذة فى مراجعة مبادئ علم الحساب والجمع والطرح ؟! أم هذه الأمور تبدو تافهة جداً فى نظره ، لا يفكر فيها ! هكذا أمور العالم بالنسبة إلى من امتلأ بمحبة الله ...

بل الإنسان الذى انشغل بمحبة الله ، ينسى حتى نفسه فى هذه المحبة ... لا يشعر بوجودها ، بل بوجود الله فيه ...

وهكذا يقول مع القديس بولس الرسول « أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا فى » (غل : ٢ : ٢٠) . عجيبة حقاً هذه العبارة « لا أنا ... » . هنا إنكار الذات فى أعظم صورته ... هناك من ينكر ذاته فى تعامله مع الناس . ولكن الأعمق هو إنكار الذات فى محبة الله ...

وإن وجد ذاته ، يجدها فى الله ، مثل الغصن الذى فى الكرمة . إنه يحيا طالما هو

ثابت في الكرمة ، تسرى فيه عصارتها (يو ١٥).

وهنا بالمحبة يصل إلى الثبات في الله ...

كما قال الرب نفسه « أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذي يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي بشمر كثير » (يو ١٥ : ٥) . وكيف نثبت فيه ؟ لقد شرح ذلك بقوله « اثبتوا في محبتي » (يو ١٥ : ٩) . علامة ثباتنا في محبته ، أن نثبت في كلامه ، في وصاياه . وقد قال في ذلك « إن حفظتم وصاياي ، تثبتون في محبتي » (يو ١٥ : ١٠) .

* * *

على أن الثبات في الله ، له معنى آخر أعمق .

الفصل حينما يثبت في الكرمة ، يشعر أنه أحد أعضاء هذه الكرمة . هكذا أنت إن كنت ثابتاً في الرب ، تشعر أنك عضو في جسد المسيح ... حقاً إن هذا السر عظيم (أف ٥ : ٣٢) .

لماذا إذن تشعر بالغيرة عن الله ... وتقول مثل عذراء النشيد في وقت بعدها عنه « لماذا أكون كمقنعة عند قطعان اصحابك » (نش ١ : ٧) .

إنك يا أخى ، لست غريباً عن الله . وليس الله غريباً عنك .

أنت في قلبه ، وهو في قلبك ، أنت فيه ، وهو فيك ، أنت فيه ، كالفصل في الكرمة . وهو فيك لأنك هيكل لروحه القدوس ، وروحه القدوس يسكن فيك (١ كو ٣ : ١٦) . وقد قال أيضاً عن سكناه هو والآب فيك « إن أحبنى أحد ، يحفظ كلامي . ويحب أبي . وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٣) . إنه يعتبرنا إخوته ، ويعتبرنا كشخصه ولذلك حينما اضطهدت الكنيسة من شاول الطرسوسي ، قال له الرب « لماذا تضطهدني ؟ ! » (أع ٩ : ٤) ... معتبراً اضطهاد الكنيسة اضطهاداً له هو . وقال في مناسبة أخرى « مهما فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم » (مت ١٥ : ٤٠) .

* * *

من علامات محبتنا لله التصاق نفوسنا به .

وفي ذلك يقول داود النبي في المزمور « وأما أنا فخير لي الالتصاق بالرب ... »

(مز ٧٣ : ٢٨) . وقال أيضاً «التصقت نفسى بك . يمينك تعضدنى» (مز ٦٣ : ٨) .

إن التصقتنا بالله ، نبعد تلقائياً عن الخطية ، بل نكرهاها ، ولا تتفق مع طبيعتنا ، لأنه «لا شركة للنور مع الظلمة» (٢كو ٦ : ١٤) . والذى يلتصق بالله ، لا يمل من الحديث معه . بل يقول له مع داود «التحقت نفسى وراءك» «عطشت نفسى إليك» (مز ٦٣ : ١) . إنه يفرح بالوجود فى حضرة الله ، كما قالت عذراء النشيد «نبتهج ونفرح بك... بالحق يحبونك» «لأن حبك أطيب من الخمر» (نش ١ : ٤ ، ٢) .

ومن أجل الفرح بالوجود مع الله ، ترك آباؤنا الرهبان كل شيء ، لكى ينفردوا فى البرية مع الله الذى أحبوه....

أما أنت ، إن كنت تسأم من الصلاة بسرعة ، وتحب أن تختمها ، فاعلم أنك لم تصل إلى محبة الله بعد...

آباؤنا الشهداء القديسون ، فى وقت استشهادهم : كانت مشاعر حبهم لله هى التى تملك على قلوبهم ، أكثر بكثير من شعورهم بالألم . لذلك احتملوا العذابات ، بل أحبوها لأنها ستقربهم إلى الوجود الدائم مع الله .

محبة الله ، ليست مجرد مشاعر مبهمه ، بلا ثمر . إنما تظهر محبتنا لله بحفظنا لوصاياه .

وعن هذا الأمر يتحدث القديس يوحنا الحبيب بوضوح تام فيقول «بهذا نعرف أننا قد عرفناه ، إن حفظنا وصاياه ، من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه . وأما من حفظ كلمته ، فحقاً فى هذا قد تكملت محبة الله» (١يو ٢ : ٣-٥) . إلى أن يقول «فإن هذه هى محبة الله ، أن نحفظ وصاياه» (١يو ٥ : ٣) .

وهذا واضح جداً ، لأن الذى يخسر وصاياه ، لا يمكن أن يكون محباً له . إنما هو إنسان متمرّد عليه ، أو هو شخص يخون الله ، وينضم إلى مقاوميه . فحفظ الوصايا علامة أساسية لمن يحبون الله ، كما أن الابن الذى يحب أباه بالجسد ، يطيع وصاياه .

من علامات المحبة لله أيضاً ، أن الذى يحب الله يحب كل ما يتعلق بالله ...

يحب كنيسة ويقول «مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب» (مز ٨٤ : ١) «واحدة طلبت من الرب وإياها أتمس، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكى انظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله» (مز ١٢٧ : ٤). «طوبى لكل السكان في بيتك، يباركونك إلى الأبد» (مز ٨٤ : ٤).

يحب كلام الله ، شريعته ، ناموسه ، وصاياه . ويقول :

« وجدت كلامك كالشهد فأكلته » بل هو «أحلى من العسل والشهد فى فمى» (مز ١١٩) «ناموسك هو تلاوتى» «شريعتك هى لهجى، هى لذتى» «فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة» «سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى» (مز ١١٩).

الذى يحب الله ، يحب أيضاً ساءه وقديسه وملكوته .

الذى يحب الله ، تقوده العاطفة فى كل ممارساته الروحية .

هو من أجل الله يقرأ . ومن أجل المتعة به يصلى . من أجل الله يخدم . بل من أجل اللقاء به والتمتع بأسراره المحيية، يدخل إلى الكنيسة . ومن أجله يحضر الاجتماعات الروحية . ومن أجله يجلس مع الناس . من أجله يتكلم لكى يحدث الناس عنه . ومن أجله يصمت ليتأمل صفاته الجميلة . بل من أجله يحيا لكى يخدمه وينشر اسمه . ومن أجله يموت لكى يلتقى به فى الفردوس ثم فى الملكوت .. قائلاً فى كل ذلك مع بولس الرسول «إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت . إن عشنا أو متنا فللرب نحن» (رو ١٤ : ٨) .

الذى يحب الله ، قد ارتفع عن المصارعة ضد الخطية .

إن عبارة «الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل ٥ : ١٧) ، إنما هى عبارة للمبتدئين ، الذين لم يصلوا إلى حب الله بعد ، وما زالت أجسادهم تشتهى اشياء تبعدهم عن الله ...

أما الذى يحب الله ، فإنه يجد الله بجسده وبروحه (١ كو ٦ : ٢٠) . وهو «لا

يستطيع أن يخطيء» (١يو٣: ٩)، «والشرير لا يمس» (١يو٥: ١٨). لأن محبة الله ثابتة فيه. وكلما تقترب إليه خطية لتحاربه، يقول «كيف أصنع هذا الشر العظيم، وخطيء إلى الله؟!» (تك ٣٩: ٩).

الذى يحب الله ، ويتعلق به فكره ، يجعل كل شيء يذكره بالله الذى يحبه .
فهو إن رأى السموات ، لا يتأمل فقط نجومها وكواكبها، ونور الشمس والقمر، إنما يقول مع داود النبي في المزمور «السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه» (مز ١٩). ويقول أيضاً «السماء هى كرسي الله، والأرض موضع قدميه» (مت ٥: ٣٤، ٣٥). ويقول إن السماء هى مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١). ويتذكر أبانا الذى فى السموات. ويقول هذه السماء التى أراها ليست شيئاً، فهناك السماء الثالثة التى اختطف إليها القديس بولس الرسول (٢كو ١٢: ٢). وهناك سماء السموات التى قال عنها الرب «ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يو ٣: ١٣).

وإن رأى الطبيعة الجميلة ، لا ينشغل فقط بجماها، بل يمجّد الله الذى خلقها بهذا الجمال .

إذ لا يليق أن عطايا الله لنا، تشغلنا عن الله الذى أعطاها . بل كل هذه تعطينا فكرة عن حبه وكرمه وقدرته .

وهكذا إذا رأى زنابق الحقل ، التى «ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها» يقول فى نفسه : ما أعجب قدرة الله الذى «ألبسها هكذا» (مت ٦: ٢٨-٣٠). ونفس الوضع بالنسبة إلى الفراشات فى ألوانها، والطيور فى تغريدها، والنحلة فى صنعها للشهد، والنملة فى عملها ونشاطها... كيف أن الله وهب كل هذه المخلوقات ما لها من مواهب تثير العجب والإعجاب...

بل حتى إن رأى قطرة يطاردها كلب ، يعجز عن امساكها :

يقول فى نفسه : عجباً كيف أن الله فى حنوه، أعطى المخلوقات الضعيفة وسيلة

تهرب بها من التى هى أقوى منها . فالقطعة تستطيع فى هربها أن تتسلق شجرة بحيث لا يستطيع الكلب أن يدركها ...

والأسد وإن كان أقوى بمراحل من الغزال ، إلا أن الله قد وهب الغزال قوة على الجرى بحيث يكون أسرع من الأسد ، ويمكنه أن يهرب منه ...
وهكذا يجد الله فى محبته ، كلما رأى أسداً وغزالاً .
* * *

.. كذلك يتذكر محبة الله ، كلما رأى شجرة تنفض ورقها فى الشتاء ، وتكتسى بالورق فى الصيف .

مثل الكرمة على التكميبة : تنفض ورقها فى الشتاء ، فتعطيك فرصة أن تتمتع بدفء الشمس وأنت جالس تحتها . وتكتسى الورق صيفاً ، فتعطيك فرصة أن تستظل بورقها حين تشتد الحرارة .. ونفس الحال مع أنواع أشجار كثيرة .
* * *

ما أجل أن تحول الماديات إلى روحيات ، أو تأخذ دروساً روحية من أمور هادية ...

فتمجّب كيف أن الله يكسو الدب القطبى أو الثعلب القطبى بفراء جميل يمنحه الدفء فى تلك المناطق الجبلية ، بينما لا يثقل الجمل أو الحصان بفراء يتعبه فى سكنى المناطق الحارة .

هناك أمور عديدة تذكرنا بعمل الله . ولكننا لا نتذكر ، لأن محبتنا لله لم تصل إلى مستوى هذا التأمل !

أما القلوب المحبة له ، فكل شيء يذكرها به ... ولها « الحواس المدربة » على ذلك (عب ٥ : ١٤) .

أستأذنك أيها القارئ العزيز فى الاكتفاء بهذا القدر عن محبتنا لله ، وننتقل إن شاء الله إلى الحديث عن محبة الناس

مَحَبَّتُنَا لِلنَّاسِ

الفصل الأول : محبتنا للناس
الفصل الثاني : المحبة العملية
الفصل الثالث : المحبة الضمنية
الفصل الرابع : المحبة الخاطئة للنفس

محبتنا للناس

عندما تحدث الرب عن الوصية العظمى، أعنى المحبة، ذكر أنها تشمل فضيلتين هامتين: الأولى أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك... ثم قال «والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (مت ٢٢: ٣٦-٤٠). وأود هنا أن أترك عبارة (والثانية مثلها) مجالاً لتأملك الخاص. وأتحدث معك عن محبة القريب.

* * *

ومحبة القريب، هي محبة لكل الناس. لأن البشر كلهم أقرباؤك. كلهم أبناء آدم وحواء.

لقد خلق الله العالم كله من أب واحد وأم واحدة، ليكونوا جميعاً أسرة واحدة، تربطهم رابطة الدم، وبالتالي رابطة الحب. وحتى هذه الأم الواحدة، أخذها من أحد أضلاع الرجل الأول، لكيما يحبها، ويقول «هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي» (تك ٢: ٢٣).

* * *

لهذا كله كان عدم الحب بين البشر أمراً غير طبيعي.

وهو في نفس الوقت لا يتفق مع الصالح العام، كما لا يتفق مع مشيئة الله. والعجيب أن أول إيذاء حدثنا عنه الكتاب المقدس، كان من إنسان ضد إنسان، ولم يكن من وحش افترس إنساناً!! لقد قام قايين على هابيل أخيه وقتله. وبدأت البغضة والقسوة بين الناس. ولم تستطع البشرية أن تحتفظ بالحب بين أفراد الأسرة الواحدة...

فيوسف الصديق ، قام عليه أخوته وألقوه في البئر، ثم باعوه كعبد (تك ٣٧ : ٣٧). ودبت الغيرة ودب التنافس بين ليثة واختها راحيل حول إنجاب البنين (تك ٣٠ : ٨). وعيسو نافس أخاه يعقوب على نوال البركة وقال «أقتل يعقوب أخى» (تك ٢٧ : ٤١). وأبشالوم قام على أبيه داود وحاربه (٢ صم ١٥).

وتتابعت مأساة فقدان الحب في تاريخ البشرية :

وكثرت قصص العداوة والبغضاء ، وقصص الحسد وتصادم الأغراض ، والنزاعات والحروب ، والتنافس على الرزق وعلى السلطة والمناصب . واكتست الأرض بدماء بريئة ودماء غير بريئة . وأصبح الأخ يعتدى على أخيه ، والأخ يخاف أخاه . حتى قال أحد الشعراء :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسائك ، فكدت أظير

وكان لابد من وصايا إلهية لتعالج الحال ...

وكان لابد من إعادة المحبة بين الناس ، وتقديم القدوة في ذلك ، ومعالجة الأسباب التى أوصلت البشرية إلى التخاصم والعداوة والقسوة . مع العمل على ترميم بناء المحبة المنهدم . فتدخل الله لوضع أسس قوية للتعامل بين الناس .

واستلزم الإصلاح أساسين : أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى :

أما الأساسى الإيجابى ، فهو مشاعر الود والتعاطف والتعاون . وأما العنصر السلبى فهو الكف عن الكراهية والاعتداء . لأن الكراهية هى المشاعر الكامنة داخل القلب . والاعتداء هو التعبير الظاهر عن تلك المشاعر الداخلية . والمطلوب هو الارتقاء بكل مشاعر الإنسان ، للوصول بها إلى مستوى الحب .

والحب هو القمة التى تصل إليها المشاعر البشرية .

والله فى يوم الدينونة العظيم ، سيفحص كل أعمالنا وعواطفنا ، ويستخلص ما

فيها من حب ، ليكافئنا عليه . وكل خير نفعله ، ولا يكون فيه حب ، لا يعتبره الله خيراً على الإطلاق . على أن لهذا الحب قواعد ينبغى أن نعرفها ، لكيما يكون حبنا سليماً ومقبولاً .

فأولاً ينبغى أن تكون محبتنا للناس داخل محبتنا لله . لا تكون ضدها ، ولا تزيد عليها ...

فلا تحب أحداً عن طريق كسر وصية من وصايا الله . فالأم التي تحب ابنها بأن تدله تدليلاً يفسده ، أو أن تغطى على أخطائه بحيث لا يعرفها أبوه ، لا تكون محبتها حقيقية ولا نافعة . بل لا نسميها حباً وإنما تدليلاً ...

والصديق الذي يحب صديقه ، بحيث يجامله في كل خطأ ، ويخشى أن يقدم له نصيحة مخلصه لئلا يجرح شعوره ... هذا لا يحبه بالحقيقة ... لذلك أيضاً فالأب الذي يحب ابنه يؤدبه (عب ١٢ : ٦) .

وقد قال الرب : « من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى ... » (مت ١٠ : ٣٧) .

شرط آخر ، هو أن يكون الحب عملياً .

يقول القديس يوحنا الرسول في هذا « يا أولادى ، لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يوح ٣ : ١٨) . وهكذا قال عن محبتنا لله : « هذه هى محبة الله ، أن نحفظ وصاياه » (١ يوح ٥ : ٣) . كذلك محبتنا للناس تظهر عملياً في معاملتنا لهم . في إخلاصنا لهم ، ومشاركتنا الوجدانية ، ووقوفنا معهم في وقت الشدة ، وتخليصنا لهم من ضيقاتهم . ومحبتنا للفقراء تظهر في عطفنا عليهم ، واعطائهم ما يلزمهم ، وليست مجرد كلام العطف أو الدعاء ...

وهكذا ارتبط الحب عموماً بالعطاء وبالبدل .

وقيل عن محبة الله لنا « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا

يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .

بنفس الوضع ينبغي أن نحب بعضنا البعض ، حباً باذلاً . ويصل البذل إلى قمته ببذل الذات . وبالعطاء من الأعواز (مر ١٢ : ٤٤) . وبالاستعداد للتضحية والفداء . كما قال القديس بولس الرسول عن اكيلا وبريسكلا « اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتي » (رو ١٦ : ٤) .

ومن شروط المحبة أيضاً أن تكون طاهرة .

فليست محبة حقيقية . أن شاباً يحب فتاة لكي يفسد عفتها ، ويضيع أبديتها ، ويفقدها سمعتها في المجتمع الذي تعيش فيه .. ! مثل هذا الشاب إنما يهتم بنفسه واشباع شهواته ، ولا يهتم بالفتاة وصالحها وأبديتها . وقد قلت من قبل في الفارق بين المحبة والشهوة « إن المحبة تريد دائماً أن تعطى . بينما الشهوة تريد دائماً أن تأخذ .. »

ومن شروط المحبة الحقيقية أن تكون للجميع .. ولا صارت تحيزاً أو لوناً من القبلية ...

هي محبة للكل ، لا تفضل بسبب الجنس أو اللون أو الدين . محبة بلا تحيز ولا انحياز . إن يعقوب أبا الآباء لما ميز ابنه يوسف عن باقي أخوته ، وأعطاه قميصاً ملوناً ، تسبب ذلك في حسدهم له ، وجَرَ عليه الكثير من الضيقات . ولما أحب راحيل أكثر من ليثا ، تسبب ذلك في تنازع هاتين الشقيقتين وتنافسهما في صراع طويل ...

لهذا أيضاً ينبغي أن تكون المحبة عادلة ، وتكون المكافأة ملتزمة بالحق وبالموضوعية .

وينبغي أن تكون المحبة أيضاً صادقة وروحانية .

وكما قال الكتاب « المحبة فلتكن بلا رياء » (رو ١٢ : ٩) . فالرياء تدل على أنها ليست حقيقية ، وليست محبة صادقة . ويدخل في ذلك كل كلام الملق والمديح الكاذب ، مثلما قال الشعب لهيرودس إن صوته صوت إله ، فضربه ملاك الرب ، فمات (أع ١٢ : ٢١ ، ٢٣) . ومثل ملق الشعب لرجعام ، بأن خنصره أغلظ من متنى أبيه !!

فاضاعوا منه الشعب وغالبية المملكة (١مل ١٢ : ٨ - ١٦) .

ومن جهة الروحانية ، لم تكن محبة إيزابيل لزوجها الملك آخاب محبة روحانية ، حينما ساعدته على تنفيذ رغبته الآثمة في امتلاك حقل نابوت اليزرعيلي باتهامه كذباً وقتله (١مل ٢١) مما أدى إلى هلاكها وهلاكه . كذلك لم تكن محبة اخيتوفل لأبشالوم محبة روحانية ، حينما أشار عليه مشورة لإهلاك أبيه داود (١صم ١٧) .
إن الذى يحب شخصاً محبة روحانية ، يحب أن يسعى باستمرار إلى أبديته وخلص نفسه ، ولا يشاركه في خطأ ، ولا يوافق عليه ، ولا ينصحه به ...

القلب المحب لا يعرف البغضة مطلقاً . والقلب الذى تسكنه البغضة ، لا يسكنه الله لأن الله محبة .

ولهذا يقول الكتاب « كل من يبغض أخاه ، فهو قاتل نفس . وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ، ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » (١يو ٣ : ١٥) ... ذلك لأنه قاتل لذلك الإنسان في قلبه . وينبغى معالجة قلبه أولاً . ويقول الكتاب في ذلك « لا تفرح بسقوط عدوك . ولا يبتهج قلبك إذا عثر » (أم ٢٤ : ١٧) .

والقلب المحب لا ينتقم لنفسه .

فالإنتقام لون من الكراهية والعداوة . ويدخل في (محبة) الذات لا في محبة الغير . والكتاب يقول « لا تجازوا أحداً عن شر بشر » « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء » بل « إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه » (رو ١٢ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠) .

ومحبة الناس لها مجالات عديدة .

منها محبة الأبوة والأمومة ، ومحبة البنوة والأخوة . ومحبة الأزواج ، ومحبة الأصدقاء ، ومحبة العشيرة ، ومحبة الوطن ، ومحبة الكنيسة ، ومحبة الخدام والمخدومين ، ومحبة المجتمع عموماً ... وتوجد المحبة العامة التى تشمل العالم أجمع . وما أكثر ما نقرأ عن الهيئات العالمية التى تعمل في نطاق الخير والإغاثة والانقاذ لأى شعب على وجه

* * *

وفي ذلك تظهر أيضاً محبة الغرباء .

وقد أوصى الله كثيراً بحبة الغرباء . فقال : « أحبوا الغريب ، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر . » (تث ١٠ : ١٩) . وقال أيضاً « عاكفين على إضافة الغرباء » (رو ١٢ : ١٣) . وأيضاً « لا تنسوا إضافة الغرباء ، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون » (عب ١٣ : ٢) .

* * *

ترتفع المحبة إلى أعلى قممها ، فتصل إلى محبة الأعداء .

وقال الرب في ذلك « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (مت ٥ : ٤٣ ، ٤٤) . وعلل ذلك بقوله « لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ ! أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ! » .

قد يقول البعض « من الصعب على أن أحب عدوى فماذا أفعل ؟ » أقول لك : على الأقل لا تبغضه ... على الأقل اغفر له في قلبك ، وانس إساءته إليك » تدرج في الفضيلة إلى أن تصل من أجله أن يصلحه الله ، ويقوده إلى التوبة ، ويغفر له ... وهكذا تصل إلى محبته .

المحبة العملية

لزوم المحبة العملية

كثيرون يدعون أنهم يحبون الناس . وتكون عبارة الحب مجرد لفظة من ألسنتهم ، وليست مشاعر في قلوبهم ، كما لا يظهر هذا الحب أيضاً في معاملاتهم !! وقد يقولون أيضاً إنهم يحبون الله ، بينما يكسرون وصاياه كل يوم !! لذلك كله قال القديس يوحنا الحبيب :

« يا أولادى ، لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يوحنا : ٣) .

هذه المحبة العملية هي التى يريدنا الله متا فى تعاملنا معه ومع الناس . وليس فى كلامنا ...

* * *

لقد اختبر بطرس الرسول فى هذا الأمر فى ليلة الخميس الكبير . قال للسيد الرب « وإن شكّ فىك الجميع ، فأنا لا أشك أبداً ... وإن اضطررت أن أموت معك ، لا أنكر » (مت ٢٦ : ٣٣ ، ٣٥) ، « إني مستعد أن أمضى معك ، حتى إلى السجن وإلى الموت » (لو ٢٢ : ٣٣) ... أما ما حدث عملياً ، فهو أن بطرس أنكر سيده ومعلمه ثلاث مرات ، وأمام جارية ... لذلك قال له الرب بعد القيامة « يا سمعان بن يونا ، أتحنى أكثر من هؤلاء ؟ » (يوحنا ٢١ : ١٥ ، ١٦) ... وكان يقصد المحبة العملية ، وليست محبة الكلام واللسان ...

ولكن بطرس الذى أنكر ، أثبت محبته العملية فيما بعد ...

حينما احتمل السجن والجلد من أجل إيمانه وكرازته ، هو وباقي الرسل ، وكانوا « فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٤١) . وبرهن

بطرس أيضاً على محبته العملية للرب ، حينما رفض تهديد رئيس كهنة اليهود ، وقال في جراءة " ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ١٩) بل برهن على محبته العملية للرب ، حينما ختم كرازته بقبوله أن يموت من أجله مصلوباً و منكس الرأس..

* * *

و تظهر اخبة العملية في الحياة الاجتماعية •

مثال ذلك راعوث التي رفضت أن تذهب حماتها وحدها بعد موت ابنها ، بل قالت لها : " لا أتركك • حيثما ذهبت اذهب • و حيثما مت أموت • شعبك شعبي ، و إلهك إلهي • وإنما الموت هو الذي يفصل بيني و بينك " (را : ١٦ ، ١٧) • وهكذا فعلت ، و لم تترك حماتها وحدها • •

البذل والعطاء

وهنا أمتزج الحب بالطاعة ، وبالتضحية والبذل ...

المحبة العملية هي المحبة الباذلة ، التي فيها يعطى الإنسان: يبذل وقته وجهده وماله ، وكل شيء ويقدمه لأجل الذى يحبه ... وعندما تنمو المحبة وتصل إلى كمالها ، يبذل ذاته أيضاً ، كما قال السيد الرب : « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع نفسه لأجل أحبائه » (يو ١٥ : ١٣) . وبهذا كان حب الشهداء لله ، هو أعظم ألوان الحب ، لأن فيه بذل للذات ...

* * *

وفي مقدمة هذا الحب ، بذل السيد المسيح ذاته عنا ...

وهكذا بين محبته لنا « ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٨) ... مات البار لأجل الأثمة والفجار . وكان على الصليب ذبيحة حب . لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . ويقول الرب فى هذا أيضاً ، إن الراعى يبذل نفسه عن الخراف (يو ١٠ : ١١) .

* * *

هذا هو مقياس المحبة : البذل والعطاء .

يبذل الإنسان كل شيء . ويعتبر كل شيء رخيصاً فى سبيل من يحبه ... كشعور الأم من جهة رضيعها . هى تعطيه كل ما تستطيع ، وفوق ما تستطيع . وتجد لذة فى إعطائه ، فى بذل راحتها لأجل راحته ، وصحتها لأجل صحته . إنها مثال للحب الذى يعطى . لذلك ضرب الله هذا المثل فى محبته لنا : حتى وإن نسيت الأم رضيعها ، هو لا ينسانا » (أش ٤٩ : ١٥) .

ويعطينا القديس بطرس الرسول مثلاً آخر فى محبة الرب ، إذ قال له :

« تركنا كل شيء وتبعناك » (مت ١٩ : ٢٧) .

من أجل محبتهم له ، تركوا البيت والأهل والعمل . وساروا وراءه ، وهم لا

يعلّمون إلى أين يذهبون...

متى الرسول ، لما دعاه الرب وهو في مكان الجبائية ، عبّر عن محبته بأن ترك مكان الجبائية وتبعه (مت ٩ : ٩) ، تاركاً الوظيفة والمال والمسئولية... وكذلك المرأة السامرية ، تركت جرتها وذهبت إلى المدينة لتبشر به (يو ٤ : ٢٨) . وكذلك تلاميذه الصيادون : يعقوب ويوحنا ، وبطرس واندراوس : تركوا الشباك ، وتركوا السفينة وتبعوه (مت ٤ : ١٨-٢٢) . والقديس بولس الرسول يقول في ذلك :

« خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية ، لكي أربح المسيح ، وأوجد فيه »
(في ٣ : ٨ ، ٩) .

خسر كل شيء ، ولم يندم عليه ، بل حسبه نفاية ... ويقول أكثر من هذا : « ما كان لي ربحاً ، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل إنني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي » (في ٣ : ٧) .

* * *

نفس الوضع بالنسبة إلى موسى النبي .

كان أميراً في القصر « ابن ابنة فرعون » محاطاً بكل مظاهر الرفاهية والعظمة . ولكنه من أجل محبة الشعب ، ومن أجل خدمة الله ، ترك كل شيء . وهكذا « لما كبر ، أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ... حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر .. » (عب ١١ : ٢٤-٢٦) .

* * *

كذلك أيضاً كان آباء البرية الرهبان والنساك .

تركوا كل شيء . وسكنوا في الجبال والقفار ، في المغائر وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح . فقد كل شيء قيمته في نظرهم ، العالم وكل ما فيه ...

عندما تدخل محبة الله في قلب إنسان ، يحدث أن يكون في القلب شيء أو أشياء من أدران هذا العالم . ولكن كلما تزداد محبة الله في القلب ، تتناقص بنفس القياس هذه الأدران ، وتطرد محبة الله كل ما في القلب من أمور العالم ، حتى تنتهي جميعاً ، ويبقى الله وحده . وتنطبق وصية « تحب الرب من كل قلبك » (مت ٢٢ : ٣٧) .

إذن من علامات المحبة العملية ، زوال محبة العالم من القلب .

وفى ذلك قال معلمنا يوحنا الرسول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم .
إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » (١ يوحنا : ٢ : ١٥) .

هل تظنها محبة حقيقية ، أن يدعى أحد بأنه يحب الله ، بينما يقبض يده عن دفع
العشور والبكور ؟ .. أو يقف قلبه متردداً بين محبة الله ومحبة المال !! إن المحبة العملية
نحو الله والناس هى أن يشرك المحتاجين فى ماله ، حتى لو تعب بعض الشيء فى تدبير
أموره المادية ...

وتظهر المحبة العملية فى قصة أرونة اليبوسى :

حدث لما أراد داود النبى أن يشتري بيدر أرونة اليبوسى ، لكى يقيم فيه مذبحاً
للرب ، « قال أرونة لداود : فليأخذه سيدى الملك ... انظر البقرة للمحرقة . والنوارج
وأدوات البقر حطباً . الكل دفعه أرونة المالك للملك » (٢ صم ٢٤ : ٢١ - ٢٣) . أراد
أن يتبرع بالكل من أجل حبه لله وللمذبح وللملك داود . ولكن داود النبى قال لأرونة
فى حكمة « لا ، بل أشتري منك بضمن ولا أصعد للرب إلهى محرقات مجانية ... »
(٢ صم ٢٤ : ٢٤) .

احتمال التعب

إن المحبة العملية تحتل التعب لأجل من تحبه ...

وهكذا نرى السيد المسيح يقول لملاك كنيسة أفسس : « أنا عارف أعمالك وتعبك
وصبرك ... وقد احتملت ، ولك صبر ، وتعبت من أجل اسمى ، ولم تكل » (رؤ ٢ :
٣ ، ٢) .

حقاً ، إن كل الذين أحبوا الله ، تعبوا من أجله ، ووجدوا لذة فى هذا التعب .
ويقول القديس بولس الرسول « كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعب » (١ كو ٣ :
٨) . ويقول أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين « إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم
وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه ، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم » (عب ٦ :

لذلك فإن الرسول يشجع على بذل المزيد من التعب في العمل، لأجل الرب قائلاً
«إذن يا اخوتي الأحباء، كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب في
كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب» (١كو١٥: ٥٨).

وأيضاً تظهر محبتنا للناس، بتعبنا لأجلهم.

يعقوب أبو الآباء، تعب كثيراً من أجل محبته لراحييل. خدم لأجلها سنوات
طويلة، قال عنها «كنت في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد، وطار النوم من
عينى» (تك ٣١: ٤٠). ويقول الكتاب عن تلك السنوات «فخدم يعقوب براحييل
سبع سنين. وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها» (تك ٢٩: ٢٠).

فنى مجال الخدمة

كذلك المحبة الروحية تظهر عملياً في مجالات الخدمة :

تظهر في تعب الرعاية والافتقاد والتعليم، في الأسفار والسهر، وحل مشاكل
الناس، والتعب في الإقناع، وفي الصبر، أما الذى لا يهتم كل هذا، فلا تكون محبته
عملية.

انظر إلى بولس الرسول ومحبته للمكوث الله، كيف يقول: «بل في كل شيء ننظر
أنفسنا كخدام لله، في صبر كثير، في شدائد في ضرورات في ضيقات، في ضربات في
سجون في اضطرابات، في أتعاب في أسهار في أصوام... في محبة بلا رياء... بمجد
وهوان، بصيت ردى وصيت حسن...» (٢كو٦: ٤-٨) ... وهكذا كانت محبته لله
وملكوته محبة عملية... ولم يكتفِ بأن يصلى ويقول «ليأت ملكوتك»...

إننا - كتعليم الكتاب - ننادى بالإيمان والأعمال معاً.

فالإيمان بدون أعمال ميت (يع ٢: ١٧، ٢٠). أما الإيمان المقبول عند الله، فهو
الإيمان العامل بالمحبة (غل ٥: ٦).

والمحبة شجرة ضخمة، لها ثمارها الشهية، ومن ثمارها تعرفونها (مت ٧: ٢٠).

فما هو ثمر المحبة الذى يظهر فى حياتنا العملية ، من نحو علاقتنا بالله والناس ؟

ما هى محبتنا العملية نحو الخطاة ، ونحو المحتاجين ؟

هل نحتقر هؤلاء الخطاة ونبعد عنهم ، أم نوبخهم وننتهرهم ؟ أم نقودهم بوداعة إلى التوبة ، حسبما قال الرسول « إن انسيق إنسان فأخذ فى زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً . احلوا بعضكم أثقال بعض » (غل ٦ : ١ ، ٢) . وهكذا فى محبة شفيع إبراهيم فى سادوم (تك ١٨) وشفيع موسى فى الشعب (خر ٣٢) .

لا بد من جهاد لأجل الساقطين ، لكى يعودوا إلى الله . كما قال داود النبى فى المزمور « لا أدخل إلى مسكن بيتى ، ولا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينى نوماً ، ولا لأجفانى نعاساً ، ولا راحة لصدغى ، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب » (مز ١٣٢) .

لنكن محبتنا أيضاً للفقراء محبة عملية .

فلا نكتفى بمجرد مشاعر الإشفاق ، أو بإلقاء العظات وكتابة المقالات عن ذلك ، وإنما نعطي حتى من أعواننا (لو ٢١ : ٤) . ولعل من أبرز الأمثلة القديس سراييون الذى باع إنجيله وأعطى ثمنه لفقير . ورأى فقيراً آخر عرياناً فأعطاه ثوبه . وعاد إلى قلايته بلا إنجيل ولا ثوب . فلما سأله تلميذه أين إنجيله ؟ أجابه القديس قائلاً : لقد كان الإنجيل يقول لى « بع كل مالك واعطه للفقراء » (مت ١٩ : ٢١) . ولما لم يكن عندى شيء أملكه سوى الإنجيل ، فقد بعته واعطيت ثمنه للفقير...



المحبة الضارة

محبة تسبب ضرراً

لا شك أن المحبة هي الفضيلة الأولى في المسيحية . وقد جعلها السيد المسيح علامة للمسيحيين فقال « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض » (يوحنا : ١٣ : ٣٥) . والقديس بولس فضل المحبة على الإيمان والرجاء ، فقال « هذه الثلاثة ، ولكن أعظمهن المحبة » وقال « إن المحبة لا تسقط أبداً » (١ كورنثوس : ١٣ : ٨) .

ومع ذلك فقد توجد محبة ضارة . وذكرونا هذا بقصة استشهاد القديس أغناطيوس الأنطاكي ، حين أحضروه إلى رومية ، لكي يلقي إلى الأسود الجائعة فتأكله . فلما عرف ذلك المسيحيون في رومية ، أرادوا أن يخطفوه لينقذوه من الموت ، فأرسل لهم القديس أغناطيوس رسالة روحية مؤثرة ، منعهم من ذلك قائلاً :

« أخشى أن محبتكم تسبب لي ضرراً » .

لقد وصل إلى نهاية المطاف في غربته في هذا العالم ، وعما قليل سينال اكليل الشهادة ويضل إلى الفردوس . ولكنهم بخطفهم له - ولو بعامل المحبة - سيعطلون مسيرته عن الوصول إلى تلك المتعة الروحية ، التي تنتظره بعد الاستشهاد ... فتكون محبتهم له ضارة روحياً .

ولعل من أسباب المحبة الضارة ، أن تكون بغير حكمة ، أو بعيدة عن الروحيات ، أو تتصف بالذاتية ، أو متعارضة مع محبة الله .

الأسلوب الخاطيء

لا يستطيع أحد منا أن ينكر محبة الأم، حتى أنه يضرب بها المثل في الحنان وفي العمق. ومع ذلك يمكن أن أما تحب ابنها بطريقة ضارة!

لقد أحبت رفقة ابنها يعقوب بطريقة ضارة.

كانت تريده أن ينال بركة أبيه اسحق قبل أن يموت. والمفروض أن عيسو كان البكر الذى ينال البركة. فدبرت رفقة حيلة يخدع بها يعقوب أباه اسحق (الضرب وقتذاك) مدعياً أنه عيسو! ولما أدرك يعقوب خطورة هذا الخداع، وخاف أن يكشف الأمر، فقال لأمه فى خوف «.. فأجلب على نفسى لعنة لا بركة». أجابت أمه «لعتك على يا ابنى. اسمع لقولى» (تك ٢٧: ٦-١٣).. وسمع لقولها، وخدع أباه، فماذا كانت النتيجة؟!

لقد أضرت أمه بمحبتها. وكما خدع أباه، دخلت الخديعة إلى حياته!!

فخدعه خاله لابان، وزوجته ليثة بدلاً من راحيل (تك ٢٩: ٢٥). واضطر أن يتزوج الأثنتين، وقاسى من تنافسهما وغيرتهما الواحدة من الأخرى. وخدعه خاله أيضاً فغير أجرته عشر مرات (تك ٣١: ٤١). وخدعه أولاده. وقالوا له إن وحشاً إقتبس ابنه يوسف، وأروه قميص يوسف بعد أن غمسوه فى الدم. فناح عليه وبكى «ورفض أن يتعزى» (تك ٣٧: ٣١-٣٥). وأخيراً لخص يعقوب حياته بقوله لفرعون «أيام سنى غربتى... قليلة وردية» (تك ٤٧: ٩).

ونال يعقوب جزاء طاعته لمحبة أمه الضارة.

* * *

* لعل من أساليب المحبة الضارة بأسلوب الطريق الخاطيء: الأخطاء الخاصة بالتزويج: إما الإسراع بالتزويج قبل النضوج، أو قبل التوافق... أو اختيار زوج تظن فيه الأم بكل الحب أنه صالح لإيبتها، فتدفعها إلى الزواج به دفعا. ويكون فى ذلك ضرر لها كل الحياة...

* * *

المديح النصار

لقد أعجب الشعب بالفتى داود فى أنتصاره على جليات الجبار. وهتف النسوة قائلات فى إعجاب «ضرب شاول أوفه، وداود ربواته». وكان هذا المديح سبب غير شاول الملك وحسده وحقدته على داود. وفى ذلك يقول الكتاب «فاحتفى شاول جداً، وساء هذا الكلام فى عينيه. وقال: أعطين داود ربوات، وأما أنا فأعطينى الأولوف. وبعد فقط تبقى له المملكة» (١ صم ١٨: ٧، ٨).

وكان مديح النساء لداود سبب تعب لداود، إذ عمل شاول الملك على قتله ...

طارده من برية إلى برية. وعاش داود مشرداً مستهدفاً طول فترة حياة شاول كلها. لأن المديح الذى مدحته به النساء لم يكن بحكمة، وصادف مشاعر رديئة عند الملك.

مثال آخر: مديح الشعب لهيرودس.

لبس هيرودس الحلة الملوكية، وجلس على عرشه يخاطب الشعب. فصرخ الشعب هذا صوت إله لا صوت إنسان» (أع ١٢: ٢٢). وصادف هذا الهتاف كبرياء دفينه فى قلب الملك، فلم يعتف منه. لذلك ضربه ملاك الرب فى الحال، لأنه لم يعط مجداً لله، فأكله الدود ومات ...

ومثال المديح الخاطيء فى ضرره، الدفاع عن الأخطاء.

إنسان تدافع عن أخطائه. بدافع من الحب الخاطيء له. يجعله ذلك يشبث فى أخطائه. وقد يؤدى ذلك إلى هلاكه ..!

وقد يحدث هذا فى جو الأسرة والأصدقاء، أو فى تعلق الملوك والزعماء. كما حدث أيضاً فى المجال الدينى من أتباع الهرطقة والمبتدعين.

لولا دفاع محبى الهرطقة عنهم، والتفافهم حولهم، ما غا خطرهم وهلكوا ...

ويحدث هذا مع اتباع أى شخص ، حينما يؤلفونه أو يعصمونه من الخطأ ، ويدافعون عنه بكل قوة . فيستمر فى الخطأ و يهلك .

إنها حجة خاطئة ، بل حجة ضارة . سواء كانت عن ثقة واقتناع ، أو عن تملق رخيص .

* * *

إن الأنبياء الكذبة لما تملقوا آخاب ملك اسرائيل ، تسبوا فى موته .

كان خارجاً للحرب ضد الأراميين . وكان يسأل الأنبياء : هل سيكون الله معه وينتصر أم لا ؟ وميخا النبى تنبأ له بالصدق إنه إن حارب سينهزم . بينما الأنبياء الكذبة مدحوا الملك وبشروه بالانتصار « وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرنى حديد . وقال : هكذا قال الرب : بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا » (١ مل ٢٢ : ١١ ، ١٢) . وأطاع ملك اسرائيل كلام أولئك المادحين ، وخرج للحرب . وانهزم ومات (١ مل ٢٢ : ٣٧ - ٣٩) .

تسهيل الشر

فى يوم من الأيام رجع الملك آخاب حزينا إلى بيته ، إذ كان له شهوة فى الاستيلاء على حقل نابوت اليزريلى .

فساعدته زوجته الملكة إيزابل على تحقيق رغبته الخاطئة .

شرحت له كيف يدبر مؤامرة يتهم فيها نابوت ظلماً بأنه جدف على الله ، ويحكم عليه بالرجم ، ثم يرث حقله . وتمت المؤامرة بشهود زور . وورث آخاب الحقل ... وحققت إيزابل وعدها لآخاب : « أنا أعطيك كرم نابوت اليزريلى » (١ مل ٢١ : ٧) ...

وكانت حجة ضارة تسببت فى هلاك آخاب .

وأرسل الله إليه إيليا النبى قائلاً « هل قتلت وورثت أيضاً ؟ ... فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت ، تلحس الكلاب دمك أيضاً » (١ مل ٢١ : ١٩) .

* * *

ومثل هذه المحبة الضارة تسهيل كل اجراء غير شرعى :

مثل تسهيل زواج غير شرعى ، أو طلاق خاطيء ، أو تزويج مطلفين ضد تعليم الكتاب ...

ومثله أيضاً طالب يغشش زميله فى الامتحان بدافع من الشفقة والمحبة !! أو يكتب شهادة مرضية وهمية ... أو صديق يشهد شهادة زور تأييداً لصديقه ... أو محاسب يساعد ممولاً على اختلاس حقوق الدولة فى الضرائب ... أو استاذ باسم الرحمة أو المحبة يخفض المقرر لتلاميذه ، ويقدم لهم فى الامتحان اسئلة تافهة ، لكى ينجحوا ولم ينالوا من العلم شيئاً . ويكون قد أضر بهم علمياً ، وأعطاهم ما لا يستحقون ...

النصح الخاطيء

باسم المحبة ما أكثر ما تقدم نصيحة لشخص ، غرضها الظاهرى مساعدته أو رفع شأنه ، بينما هى تضره كل الضرر .

مثال ذلك نصيحة الشباب لرحبعام .

أتى رجال اسرائيل إلى رحبعام بعد موت أبيه الملك سليمان ، وقالوا له : « إن أباك قسى نيرنا ، وأما أنت فخفف من عبودية أبيك القاسية » . فاستشار الشيخ فقالوا « إن صرت اليوم عبداً لهذا الشعب ، وخدمتهم وأحببتهم وكلمتهم كلاماً حسناً يكونون لك عبيداً كل الأيام » (١ مل ١٢ : ٧) .

أما الشباب فمحببتهم لسليمان ، أرادوا رفع قدره ، وتثبيت هيئته وقوته أمام الشعب فنصحوه بأن يتشدد ويقول لهم « إن خنصرى أغلظ من متنى أبى ... أبى أدبكم بالسياط ، وأنا أؤدبكم بالعقارب » (١ مل ١٢ : ١٠ ، ١١) . ونفذ هذه الوصية ، فضاع ...

وكانت محبة ضارة ، قسمت المملكة ، وضيعته .

فانشق عليه عشرة أسباط ، وكونوا مملكة مستقلة عنه . وأضرته محبة الشباب له ، إذ كانت محبة خالية من الحكمة ، وفيها عدم انضاع ، وعدم محبة للشعب ...

وبالمثل كانت نصيحة اخيتوفل لأبشالوم .

قال لأبشالوم « ادخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت . فيسمع كل اسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك ، فتتشدد أيدي جميع الذين معك » (٢صم ١٦ : ٢١) . ففعل هكذا . وكانت نصيحة ضارة به روحياً ، وضارة بعلاقته بأبيه ...

ثم قدم له نصيحة أخرى ، تقضى على أبيه حربياً ... ولكن كانت هناك صلوات داود مرفوعة إلى الله « بحق يارب مشورة اخيتوفل » (٢صم ١٥ : ٣١) . فلم يأخذ أبشالوم بتلك المشورة ...

* * *

كم من أصدقاء لهم نصائح ضارة ، يقدمونها باسم المحبة !!

لست أقصد فقط أصدقاء السوء ، إنما حتى أصدقاء قديسون يقدمون نصائح ضارة . ولعل من بينهم القديس بطرس أحد الاثنى عشر ، الذى لما سمع السيد المسيح يتكلم عن صلبه وقيامته « أخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلاً : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا » ... كأنما بهذا يمنع عن الصليب والفداء . فأجابه الرب قائلاً « اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى » (مت ١٦ : ٢١ - ٢٣) .

* * *

ومن المحبة الخاطئة أيضاً قطع بطرس الرسول لأذن العبد .

فعل ذلك باسم المحبة ، دفاعاً عن السيد المسيح وقت القبض عليه . استل سيفه ، وضرب عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه اليمنى (لو ٢٢ : ٤٧ - ٥٠) . فانتهره الرب ، ولمس اذن العبد فأبرأها . وقال لبطرس « رد سيفك إلى غمده ، لأن كل الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف يهلكون » (مت ٢٦ : ٥٢) .

المحبة غير العادلة

مثالها مشكلة قميص يوسف الملون .

لقد أحب أبونا يعقوب ابنه يوسف « أكثر من سائر بنيه ، لأنه ابن شيخوخته .

فصنع له قميصاً ملوناً» (تك ٣٧ : ٣) . فماذا كانت نتيجة هذه المحبة غير العادلة ؟ يقول الكتاب « فلما رأى أخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته ، أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام » (تك ٣٧ : ٤) .

ومعروف ما أصاب يوسف من ضرر على أيدي أخوته ...

كذلك من أمثلة المحبة الضارة ، محبة يعقوب لراحيل أكثر من ليئة .

وهكذا دخلت هاتان الاختتان في صراع حول محبة الزوج وإنجاب البنين ، حتى قالت ليئة في بعض الأوقات « مصارعات الله قد صارعت أختي » (تك ٣٠ : ٨) . بل إنها في إنجاب بنيتها ، قالت عبارات تدل على حالتها النفسية مثل « إن الرب قد نظر إلى مذلتى إنه الآن يحبنى رجلى » « إن الرب قد سمع إنى مكروهة ، فأعطانى هذا أيضاً » « الآن هذه المرة يقترب بى رجلى » (تك ٢٩ : ٣١ - ٣٤) .

محبة ضارة أخرى ، وهى محبة الاستحواز .

الاستحواز

وهى المحبة التى تحبس محبوبها فى حيزها الخاص .

كالأم التى تمنع إبنتها من سفر بعيد يفيدہ جداً ، لأنها تريدہ إلى جوارها وبهذا تضربه وتضيع مستقبله بسبب محبتها الضارة . هذا من الناحية العلمانية ، ومن الناحية الروحية قد تقف بشدة فى طريق تكريسہ .

* * *

وكذلك قد تفعل الزوجة أيضاً ، لأنها تريدہ لها وحدها .

وما أكثر ما تحدث أمثال هذه المشاكل فى محيط الحياة الزوجية ، أو الحياة العائلية بصفة عامة ... وهنا تتصف (المحبة) الضارة بالأنانية الواضحة ...

مثل الزوج الذى تدعوه أنانيته فى محبته إلى التضييق على زوجته ، فى الدخول والخروج ، وفى الكلام وفى الابتسام ، فى الزيارات وفى اللقاءات .

كمن يحبس عصفوراً فى قفص ، ويمنعه من الطيران ، ليصير له وحده ...

يتأمله وحده ، ويغنى العصفور له وحده ! و لا تلمه حرية العصفور في شئ و يحدث أن
مثل هذه الحبة الضارة تتصف بالعصبية و ربما بالعنف كذلك • و يجمع الرجل بين
نقيصين : الحب و القسوة !!

* * *

ومحبة الاستحواذ قد توجد عند المرأة ، و تصيها بالخوف و الشك و القلق..
و في نفس الوقت تضر الرجل بمحبته ، فتضيق عليه الخناق أيضاً ، و تكثر من أسئلتها
و تحقيقاتها حول مواعيده و مقابلاته و علاقاته ، بطريقة تصيها بالضجر و الضيق
النفسى •• و كل ذلك باسم الحب •
وكما يضغط الرجل على المرأة بالعنف في محبته الضارة ، قد تضغط المرأة على الرجل (
زوجا كان أو ابنا) بالدموع و المرض و الحزن المتواتر ••

* * *

و محبة الاستحواذ قد توجد أيضاً في محيط الأصدقاء •
فيضيع الشخص وقت من يحبه • و بسبب الحبة يشغل وقته • و كثيرا ما يؤثر ذلك
على دراسته او عمله ، فيضره بمحبته •• أو باسم الحبة يريد أن يتحيز له ، فيصادق
من يصادقه ، و يعادى من يعاديه • و هكذا يضره من جهة علاقاته و مخن جهة
روحياته كذلك ••

الشهوة

قد تتركز الحبة في الجسد ، و تتحول إلى شهوة • أو يسميها البعض حبا ، و
هو شهوة.

وفي كلا الحالتين تضر نفسها ، و تضر من تحب أيضاً • سواء الضرر الروحي ، و أما
يصاحبه من أضرار أخرى • مثال ذلك محبة شمشون الجبار لدليله (قض ١٦ : ٤) ،
و ما جرته عليه من ضياع •• إذ كسر نذره ، و قبض عليه الفلسطينيون و أذلوه و
قلعوا عينيه •• و أكثر من هذا كله إن الرب فارقه (قض ١٦ : ١٩ - ٢١)

ومثل شمشون ودليلة ، كذلك داود وبشبع .

هذه الشهوة أو المحبة الجسدية ، قادت داود إلى الزنى والقتل ، وجرت عليه عقوبة شديدة من الله (٢ صم ١٢ : ٧ - ١٢) .

هناك محبة أخرى تتعلق بالجسد ، ولكن ليست من نوع الشهوة وهى :

الحنان الجسدى

ونقصد بها الشفقة على الجسد التى تضر الروح .

كأم تشفق على ابنها فتمنعه من الصوم ، حرصاً على صحة جسده . وقد تصل إلى أب اعترافه ، وتطلب إليه أن يمنع ابنها عن الصوم ... وبنفس الأسلوب تمنعه عن كل نوع من النسك . وتقدم له من الأطعمة الدسمة ، ما قد يضره صحياً أيضاً ، ويجر عليه السمنة وكل مضاعفاتها ...

* * *

ولأسف قد تقع الكنيسة فى نفس الخطأ .

وبنفس (الحنان) تقصر الأصوام والقداصات .

حتى أن الأصوام انتهت تقريباً عند بعض الكنائس ! وأصبح الصوم الاستعدادى للتناول شيئاً تافهاً . وقصرت القداصات ... وفى بعض الكنائس يصلون وهم جلوس ، ففقدوا الخشوع اللائق بالصلاة ...

كل ذلك بسبب حنان خاطيء وضار ، يخشون فيه على الجسد من التعب ... بينما لا يهتمون أثناء ذلك بالروح وما يقويها ...

نوع آخر من المحبة الضارة وهو :

الاستدليل

وكثيراً ما يحدث فى محيط الأسرة ، وله أضراره العديدة .

ومنه الشفقة الزائدة ، والإنفاق الزائد على الحاجة ، وتقديم أنواع المتع العديدة ،

وعدم فرض عقوبة مهما كان الذنب . أو تكون العقوبة نوعاً من التوبيخ الهادى . جداً
الذى لا يمكن أن يردع أحداً ، فيستمر الخطأ . كما حدث مع عالي الكاهن وأولاده ،
حتى فسدوا ، وعاقبه الله عقوبة شديدة ... (١ صم ٢ : ٢٢ - ٢٤) (١ صم ٣ : ١٢ -
١٤) .

وقد يصل تدليل الأم لابنها ، أنها تغطى على أخطائه .

لا تجرؤ أن توبخه ، حتى لا تجرح شعوره . وفي نفس الوقت تغطى على أخطائه
أمام أبيه ، حتى لا يعاقبه ... بل قد تدافع عنه بالباطل . وهكذا يفسد الابن ، ولا يجد
من يؤدبه ويربيه ...

إن الأم هنا تحاول أن تكسب صداقة ومحبة ابنها بطريقة خاطئة .

بلون من المحبة الضارة به ، والتي قد تضر الأم نفسها بعد حين ، وتقاسى في
المستقبل من سوء سلوك ابنها . كما أنه غالباً ما يفشل مثل هذا الابن المدلل في حياته
العملية وفي حياته الزوجية . ويتعود التدليل ويطلبه في كل مجال يعيش فيه ... !

ومن مظاهر التدليل أيضاً الحرية الضارة .

إذ يمنح المدلل - باسم المحبة - حرية بغير حدود ، وبغير حرص ، وبغير قيادة ، يمكن
أن توقعه في أخطاء عديدة تصعب معالجتها ...
وقد يكون التدليل في غير محيط الأسرة ...

مثل موظف مدلل من رؤسائه ...

يُعطى مسئوليات أو سلطات أعلى من مستواه ، أو يأخذ امتيازات ومنحاً فوق ما
يستحق ... ويصدق رؤسائه كل ما يرفعه من تقارير ، ربما ضد زملائه ، ويوافقونه على
كل رأى واقتراح . فيفسد العمل ، ويفسد الموظف ، ويتعب الزملاء ... !

أنواع أخرى

* منها مريض يحب أسباب مرضه ، فيضر نفسه .

كمريض بالسكر يحب الحلويات ، أو مريض بالكولسترول يحب الدهون ، أو مريض بالضغط يحب المكيفات ... أو إنسان يحب المخدرات ولا يقدر على الامتناع عنها . وكل هؤلاء يضرّون صحتهم أشد الضرر .

وبالمثل كل من يقع في محبة تضره .

فهو الذى يضر نفسه دون أن يضر غيره ...

نعم ، إن كثيرين لا يحبون لأنفسهم الخير . وقد يحبون أنفسهم بطريقة تجلب لهم الضرر . كأنسان من محبته الخاطئة لنفسه يكثر من الافتخار ومديح نفسه بطريقة تنفر الناس منه ... أو إنسان من محبته للمال ، يكثره وينمى رصيده بأسلوب يبخل به على نفسه وعلى المحيطين به ، فيضر نفسه ويضرهم ...

* * *

* وربما إنسان يحب شخصاً ، فيضيع سمعته .

إما بالالتصاق به فى كل مكان ، مما يسبب له حرجاً ، ويتقول الناس عن هذه العلاقة ... أو يشيع أن له تأثيراً عليه ، أو بحبته له يجعله يوافق على أى شيء !!

* * *

وهناك محبة أخرى للمرضى تضرهم ...

إما ببقاء مدة طويلة إلى جوارهم فى التحدث معهم ، وهم صحياً فى حاجة إلى راحة ... أو عدم إعطائهم فرصة للاتصال بالله أثناء مرضهم ... أو بخداعهم فى نوع مرضهم ، فلا يهتمون بأبديتهم وبما يلزمهم من توبة ... أو بتقديم متع لهم أثناء مرضهم يمكن أن تضرهم ...

* * *

الحبة الخاطئة للنفس

كل إنسان يحب نفسه ، ولا يوجد أحد لا يحب نفسه .

ومحبة النفس ليست خطية ، إن كانت محبة روحانية .

والسيد الرب لما قال إن الوصية الأولى والعظمى هي « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك » (قال بعد ذلك « والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك » (مت ٢٢ : ٣٧ - ٣٩) . أى أن أعظم مستوى تحب به القريب ، هو أن تحبه كما تحب نفسك ...

* * *

غير أن هناك محبة خاطئة للنفس ، وقال عنها الرب :

« من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يمجدها » (مت ١٠ :

٣٩) .

فكيف نفرّق بين الوصيتين ؟ وما معنى « من وجد حياته يضيعها » ؟

الحل هو أن هناك شيء يسمى حروب الذات ، أو عبادة الذات ، التي يتركز فيها الإنسان حول نفسه . ويقول أريد أن أبني نفسي ، أن أحقق ذاتي ، أن أرفع ذاتي ...

وهناك طرق خاطئة يلجأ إليها الإنسان في بناء ذاته فتضييعه .

فما هي هذه الطرق ، التي بها يحب الإنسان نفسه محبة خاطئة .

* * *

المحبة الجسدانية

هذه التى قال عنها الرسول «شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة» (١يو٢: ١٦). وقال إنها جزء من محبة العالم الذى يبيد وشهوته معه ...

إنها المحبة الخاصة باللذة والمتعة والرفاهية.

لذة الجواس ، التى تقود إلى الشهوة وإلى الخطية . والتى جزّ بها سليمان الحكيم ، وقال فيها «ومهما إشتهته عيناى لم أمسكه عنهما» (جا ٢: ١٠). وقال فى تفصيل ذلك «عظمت عملى . بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراDIS ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً ، وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم» (جا ٢: ٤ - ٩).

فهل هذه المتعة نفعت سليمان أم أضاعته ؟

إنه لم ينتفع بها ، بل وجد أن كل ما عمله «الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس» (جا ٢: ١١). بل هذه الرفاهية وهذه المتعة الجسدانية أضاعت سليمان . ويقول الكتاب فى ذلك «وكان فى زمان شيخوخة سليمان ، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه» (١مل ١١: ٤). وتعرض لعقوبة شديدة من الرب عليه ... وتمزقت دولته .

ومثال سليمان أيضاً الغنى الغبى :

أراد أن يبنى ذاته بمحبة مادية ، عن طريق الإلتساع فى الغنى والمتعة الأرضية ، فقال «أهدم مخازنى ، وأبنى أعظم منها ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفسى لك خيرات كثيرة لستين عديدة . استريحى وكلى واشربى وافرحى» . فهل تمكن بهذا من تحقيق ذاته وبناء نفسه ؟! كلا ، بل قال له الله «يا غبى ، فى هذه الليلة تُطلب نفسك منك . فهذه التى أعددتها ، لمن تكون ؟!» (لو ١٢: ١٦-٢٠).

إنها ليست محبة حقيقية للنفس ، التى تأتى عن طريق اللذة والمتعة .

ولهذا قال الرب إن من يحب نفسه يهلكها ، أى الذى يحبها محبة خاطئة تقودها إلى المتعة الجسدية أو إلى شهوات العالم ، فإنه يهلكها فيما يظن أنه قد وجد حياته .

هناك نوع آخر خاطيء ، فى إشباع النفس ، وهو :

محبة خيالية

شخص لا يستطيع أن يتمتع نفسه مادياً ، فيسبح فى تصورات إسعادها بالفكر ، يلذذ نفسه بالفكر والخيال .

ويسعد نفسه بما يسمونه : أحلام اليقظة .

فكل ما يريد أن يتمتع نفسه من أمور العالم ، يغمض عينيه ويتخيله ... ويؤلف حكايات وقصصاً ، عن متعة لا وجود لها فى عالم الحقيقة ... ويقول لنفسه سأصير وأصير ، وأعمل وأتمتع ... وقد يستمر فى هذا الفكر بالساعات ، وربما بالأيام ، ويستيقظ لنفسه ، فإذا به فى فراغ . وقد أضاع وقته ... !

إن المحرومين عملياً ، يعرضون أنفسهم بالفكر .

دون أن يتخذوا أى إجراء عملى بناء ، يبنون به أنفسهم . وكما يقول المثل العامى « المرأة الجوعانة تحلم بسوق العيش » .

مثال ذلك تلميذ ، لم يستذكر دروسه ، ولم يستعد عملياً للامتحان . وإنما يجلس إلى جوار كتبه ، ويسرح فى الخيال : يتخيل أنه نجح بتفوق كبير ، وانفتحت أمامه جميع الكليات ، وصار وارتفع وارتقى وتخرج ... ثم يصحو إلى نفسه ، فيجد أنه أضاع وقته ، وأضاع نفسه . ويقف أمامه قول الرب « من وجد نفسه يضيعها » .

إن المتعة بالخيال ، قد تكون أقوى من المتعة الحسية .

لأن الخيال مجاله واسع ، لا يقف عند حد . ويتصور تصورات لا يمكن أن تتحقق فى الواقع . ويكون سعيداً بذلك سعادة وهمية .

وكثير من المجانين يقعون في مثل هذا الخيال الذى يشبعون به أنفسهم ، ويجدون به أنفسهم فى مناصب ودرجات وألقاب . والفرق بينهم وبين العاقلين ، أنهم يصدقون أنفسهم فيما يتخيلونه . ويصيبهم نوع من المرض يسمى البارانويا ، وحكاياته كثيرة ... إنه خيال يظن به هذا النوع من الناس أنهم يجدون أنفسهم ، بالإشباع الفكرى والمتعة الخيالية ، والأحلام والأوهام ...

هناك نوع ثالث يظن أنه يبنى ذاته بالعظمة .

العظمة

هذا النوع يجد نفسه ، حينما يصير عظيماً ، بالمقاييس المادية :

وأول من وقع فى هذه المحبة الخاطئة للنفس : الشيطان .

وهكذا قال فى قلبه «أصعد إلى السموات . أرفع كرسىّ فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى» (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وانطبق عليه قول الرب «من وجد نفسه يضيعها» وإذا به قد انحدر إلى الهاوية ، إلى أسفل الجب ... ومصيره أسوأ بكثير من سقطته (رؤ ٢٠ : ١٠) . لقد ظن أنه يجد نفسه بشهوة العظمة ، وبهذه الشهوة فقد كل شيء ...

وبهذه الشهوة أيضاً أضاع أبونا الأولين ، حينما قال لهما وهما فى الجنة «تنفتح أعينكما ، وتصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر» (تك ٣ : ٥) .

ووقع فى هذه المحبة الخاطئة أيضاً ، الذين أرادوا بناء برج بابل .

أولئك الذين قالوا «هلم نبين لأنفسنا مدينة ، وبرجاً رأسه فى السماء . ونصنع لأنفسنا إسماً ، لئلا نتبدد على وجه كل الأرض» (تك ١١ : ٤) . فكانت النتيجة أنهم أضاعوا أنفسهم ، وببيل الله ألسنتهم ، وبددهم على وجه كل الأرض . فلا بنوا مدينة ولا برجاً ...

فى شهوة العظمة العالمية ، محبة خاطئة للنفس . أما العظمة الحقيقية فيصل إليها

الإنسان بالإلتضاع ، حسب قول الرب «من يرفع نفسه يتضع . ومن يضع نفسه يرتفع»
(مت ٢٣ : ١٢) .

أما الذى يحاول أن يجد نفسه بالرفعة العالمية ، ما أسهل أن يدخل فى حروب
ومتافسات ، قد تضيعه على الأرض . وإن حصل على ما يريد على الأرض ، فهذه
العظمة الأرضية تضيعه فى الأبدية .

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال : أبشالوم بن داود .

ذلك الذى أحب نفسه محبة خاطئة عن طريق العظمة . فانشق على أبيه داود ،
وأساء إليه إساءات بشعة ، وحاربه بجيش لكى يجلس على كرسيه فى حياته ، وبحقق
لنفسه العظمة بأن يصير ملكاً !! فماذا كانت النتيجة ؟ لقد فقد كل شئ ، ومات فى
الحرب وهو خاطيء متمرد ، ففقد الأرض والسماء معاً .

هناك أشخاص لا يجدون أنفسهم بعظمة عالمية ، فيحاولون أن يجدوا العظمة
بالكلام .

بالمجد الباطل ، بالفرح بمديح الناس لهم . وإن لم يجدوا ذلك يمدحون أنفسهم ،
ويتحدثون عن فضائلهم وأعمالهم المجيدة لكى ينالوا مجداً من الناس .

وعكس هؤلاء كان القديس يوحنا المعمدان ، الذى كان يخفى نفسه ليظهر
المسيح ، ويقلل من شأن نفسه ممجداً سيده المسيح ، قائلاً « ينبغى أن ذاك يزيد ، وإنى
أنا أنقص » (يوحنا ٣ : ٣٠) ... وبهذا الإلتضاع ارتفع يوحنا المعمدان . وقال عنه السيد
الرب إنه أعظم من ولدته النساء (مت ١١ : ١١) .

حقاً ما أجل ما نقوله عن الرب فى القداس الإلهى :

« الساكن فى الأعلى ، والناظر إلى المتواضعات » .

إن حروب العظمة قد ضيعت كثيرين ، والأمثلة كثيرة .

هناك نوع آخر من المحبة الخاطئة للنفس ، يظن بها البعض أنهم يبنون أنفسهم ،

فيضيعونها ، ذلك هو اسلوب المعارضة والصراع .

المعارضة والصراع

تجد أشخاصاً وكأنهم شعلة من النار، في التفكير والحركة والعراك .

لا يقدرّون على العمل البناء . فيظنون أنهم يجدّون أنفسهم بهدم البناءين .

إنهم يعملون على هدم وتحطيم غيرهم . لا يسرّهم شيء مما يعمله العاملون ، فينتقدون كل شيء ، ويبحثون عن أخطاء لتكون مجالاً لعملهم من النقد والتقصّ والتشهير . كأنهم يعرفون ما لا يعرفه غيرهم ... وفي نفس الوقت الذي يحطمون فيه بناء غيرهم ، لا يبنون شيئاً .

* * *

حياتهم كلها صراع . ويظنون الصراع بطولية .

يرون أنهم أبطال ويفرحون بذلك . ويفتخرون بأنهم هاجموا فلاناً وفلاناً من الأسماء المعروفة . ويقول الواحد منهم إن عنده الشجاعة التي بها «يقول للأعور أنه أعور في عينه» . وقد تكون شهوة قلوبهم أن يفقأوا عيون المبصرين ، ثم يعيروهم بما فعلوه بهم !!

لهم الطبع الناري . وشهوتهم أن يرتفعوا على جاحم الآخرين ! فهم قادرون - في نظرهم - على تحطيم العاملين . ويفرحون بهذا . ولكن الله لا يقبلهم لأن قلوبهم خالية من المحبة . وفي صراعاتهم يفقدون أنفسهم . وفيما يتخيلون أنهم قد وجدوا أنفسهم ، يرون أنهم قد ضيعوها ... كالطفل المشاكس في الفصل ، الذي يشعر أنه قد وجد ذاته في معاكسة المدرسين ! ويظن ذلك جرأة وشجاعة وقوة وبطولة يبني بها نفسه التي يحبها . ولكنها عبة خاطئة للنفس .

مجال آخر يظن البعض أنه يبني نفسه فيه وهو الأنشطة :

الأنشطة

قد تجد إنساناً كثير الحركة يعمل في أنشطة متعددة، وربما بلا عمق، ويظن أنه يبني بها نفسه !

يرى أننا نعيش في عصر التكنولوجيا، فينبغي أن يكون هو أيضاً إنساناً تكنولوجياً، يسير مثل الآلة، حركة دائمة بلا توقف، بعضوية في كثير من الهيئات، وفي نشاط دائم لا يعطى له فرصة للصلاة ولا القراءة ولا التأمل، ولا الاهتمام بنفسه وروحياته، بلا عمق، مجرد نشاط في كل مكان، له مظهر العامل المجد، ناسياً قول الكتاب :

« كل مجد إبنه الملك من داخل » (مز ٤٤) .

وكان الأجدر أن يعطى وقتاً وأهمية لروحياته، لأنه يضر نفسه بهذه المشغوليات المستمرة، التي قد تتحول عنده إلى هدف، ينسى فيه الهدف الأصلي وهو خلاص نفسه .

نوع آخر يحب نفسه محبة خاطئة، ويمجد نفسه عن طريق :

المركز والشهرة

فيركز كل اهتمامه في هذه الأمور التي يدخلها الرسول تحت عنوان تعظم المعيشة . وهكذا يفرح بالألقاب والمناصب والغنى . وكلما أضاف إلى نفسه لقباً جديداً، ظن به أنه أوصله إلى قمة المجد . بينما الفرح الحقيقي هو ببناء النفس من داخل مهما كانت « مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ومزينة بأنواع كثيرة » .

ليس المجد في أن تكون عظيماً أمام الناس، إنما في أن تكون « عظيماً أمام الرب » كما قيل عن يوحنا المعمدان (لوقا : ١٥) . وهنا نتحدث عن الوضع السليم لبناء النفس .

★ ★ ★

كيف تبني نفسك

إن كنت تحب نفسك حقاً، حاول أن تبنيها من الداخل، من حيث علاقتها بالله، والمحبة التي تربطها بالكل. بأن تنكر ذاتك ليظهر الله في كل أعمالك. وتنكر ذاتك لكي يظهر غيرك. وتصلب ذاتك لكي يحيا الله فيك. وتقول «مع المسيح صلبت، لكي أحيأ لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ». (غل ٢: ٢٠). وهكذا تصلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤).

تقهر ذاتك، وتغلب ذاتك... وبهذا الانتصار على النفس، تحيا نفسك مع الله. الذي يقودك في موكب نصرته* (٢كو ٢: ١٤). وهنا تكون المحبة الحقيقية للنفس أما المظاهر العالمية من عظمة وشهرة. لذة ومتعة وحرية خاطئة، فلن توصلك إلى البناء الحقيقي للنفس.

المهم أن تجد نفسك في الله، وليس في العالم.

تجدها لا في هذا العالم الحاضر، إنما في الأبدية.

تبني نفسك بشار الروح (غل ٥: ٢٢، ٢٣). التي تظهر في حياتك. وذلك بأن تكون غصناً ثابتاً في الكرمة الحقيقية يعطي ثمراً، والرب ينقيه ليعطي ثمراً أكثر (يو ١٥: ١، ٢)... أى ينقيه من الشهوات والرغبات المهلكة للنفس، التي يجب أن تبغضها لتحيا مع الله، واضعاً أمامك قول الرب:

«ومن يبغض نفسه في هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية» (يو ١٢: ٢٥).

وهنا كلمة «يبغض نفسه» تعني يقف ضد رغباتها، ولا يطاوعها في كل ما تطلب، ولا يجعلها تسير حسب هواها، بل يقمعها ويستعبد لها (١كو ٩: ٢٧)... حتى بهذا تتطهر من كل دنس. وتكون هذه هي المحبة الحقيقية للنفس.

والعجيب أن هذا النوع يفتخر بنفسه ويقول في تحطيمه للغير: أنا إنسان مقاتل

I am a fighter علماً بأن الهدم أسهل من البناء . وكما يقول المثل « البشر الذى يحفره العاقل فى سنة، يمكن أن يردمه الجاهل فى يوم » .
هناك أشخاص يظنون أنهم يحققون ذواتهم بالحرية .

الحرية

كالشباب فى بلاد الغرب : إذا كبر، فلا سيطرة لأحد عليه ، لا أبوه ولا أمه فى البيت ، ولا مدرسه فى معاهد التعليم . بل يظن أنه يفعل ما يشاء بلا قيد . حتى المبادئ والقيم والتقاليد، يجب أن يتخلص منها . ويعتبر أنه بهذا يصير حراً ويجد نفسه . والوجوديون يريدون- فى تمتعهم بالحرية- أن ينحلوا حتى من (قيود!) الله ووصاياه . ولسان حال كل منهم يقول « من الخير أن الله لا يوجد، لكى أوجد أنا » !!
كل هؤلاء يقصدون بالحرية، الحرية الخارجية .
وليست حرية القلب من الرغبات الخاطئة .

ولا يقصد التحرر من الخطايا والأخطاء ، والتحرر من العادات الفاسدة . كل ذلك الذى قال عنه السيد الرب « إن حرركم الإبن، فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) .

الإبن الضال ظن أنه يجد نفسه بالحرية، بتركه لبيت أبيه . ولكنه بذلك أضاع نفسه (لو ١٥) . وكذلك الذين يظنون أنهم يجدون أنفسهم بالحرية فى الإدمان والفساد والتسبب واللامبالاة! أو بالحرية فى الخروج من الحصون التى تحميهم، إلى الفضاء الواسع الذى يهلكهم!

العجيب أنه فى الحياة الروحية ، يظن أنه يجد الحرية فى التخلص من (قيود) الإرشاد الروحى!

فلا يستشير الأب الروحى، إلا فى الأمور التى يعرف أنه سيوافق عليها . وأما ما يشعر أنه سينهاه عنه، فذاك يخفيه! وهكذا يسير حسب هواه، فيضل الطريق ... أو

يقول « ابحث عن أب اعتراف آخر... حقاً إن الاستخدام الخاطئ للحرية يضر. وقد أوصل البعض إلى الإلحاد.

والأخطر من هؤلاء: الذين يعطون أنفسهم الحرية في تفسير الكتاب، وينشرون آراءهم الخاصة كعقيدة!!

يفسرون الكتاب حسب هواهم. يخضعونه لأفكارهم، بدلاً من أن يخضعوا أنفسهم لنصوصه. من أجل هذه وجدت طوائف وكنائس متعددة تتعارض في عقائدها، ووجدت بدع وهرطقات. لأن كل واحد يفسر الكتاب حسبما يريد، ويترجم الآيات أيضاً حسبما يشاء (كما فعل شهود يهوه وأمثالهم). والعجيب أن كل هؤلاء يظنون أنفسهم أكثر معرفة من غيرهم. وهنا تدخل النفس في حرب المعرفة.

المعرفة

يظن البعض أنه يجد نفسه عن طريق المعرفة.

أو عن طريق حرية المعرفة، أو المعرفة التي يقول عنها الكتاب إنها تنفخ (١كو٨: ١). ويجب الواحد منهم أن يكون مرجعاً في المعرفة، يقود غيره في المعرفة. ويحاول أن يأتي بفكر جديد، ينسب إليه، ويتميز به، وينفرد به، حتى يقولون «فلان قال...» ومن هنا ظهرت البدع، لأنها بها ابتدع أناس أفكاراً جديدة ضد التسليم العام...

يظن بها الشخص أنه يجد نفسه، كصاحب رأى وفكر وعقيدة، ولا يتضع بالخضوع لتعليم الكنيسة، بل يريد أن يخضع الكنيسة لتعليمه... وهكذا يضع نفسه. إنسان آخر يظن أنه يبني نفسه بالإعجاب بالنفس.

الإعجاب بالنفس

فيكون باراً في عينى نفسه و«حكيماً في عينى نفسه».

ويدخل في عبادة النفس. ولا مانع أن يكون الكل مخطئين، وهو وحده الذى على

صواب! ... وهذا النوع يبرر ذاته في كل عمل وفي كل خطأ. وإن قال له أحد إنه مخطيء، لا يقبل ذلك. ويرفض كل توجيه. وإن عوقب على خطأ، يملأ الدنيا صراخاً: إنه مظلوم. ولا ينتظر إلى الذنب الذي ارتكبه، وإنما يدعى قسوة من عاقبه!
وترتبك مقاييسه الروحية والأدبية والعقلية، ويضيع نفسه.

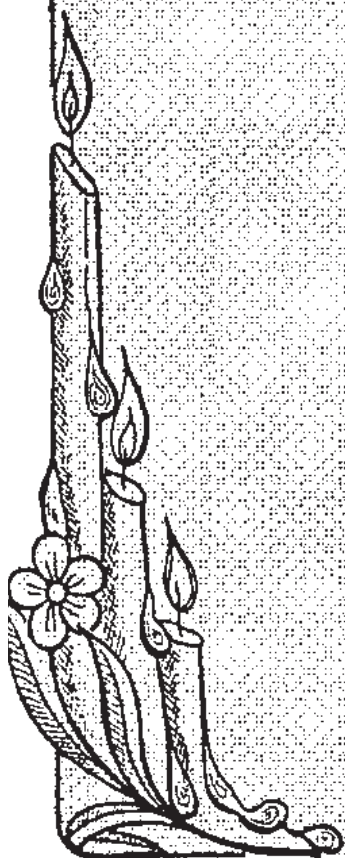
ويمدح نفسه، ويجب أن يمدحه الآخرون. وإن مدحوا غيره يستاء! كما استاء قايين، لما قبل الله قربان هابيل أخيه...

والكثير من هؤلاء الذين يقعون في الإعجاب بالنفس، يكون الله قد منحهم مواهب، ولكنهم استخدموا المواهب في الإضرار بأنفسهم.



الباب الخامس

صفات وعناصر المحبة



عناصر هذا الباب

نبحث فيه عن المحبة كما وردت في (أكو ١٣: ٤-٨)

وشمل النقاط الآتية :

- ١- المحبة تتألى .
- ٢- المحبة تتفوق .
- ٣- المحبة لا تحسد .
- ٤- المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تفبّح .
- ٥- المحبة لا تطلب ما لنفسها .
- ٦- المحبة لا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق .
- ٧- المحبة تحمّل كل شيء .
- ٨- المحبة لا تسقط أبداً .

الحجة ثنائى

(أكو ١٣ : ٤)

أهمية طول الأناة

هكذا نصحنا القديس بولس في صفات المحبة . والكنيسة المقدسة تضع لنا في مقدمة صلاة باكر بضع آيات من الرسالة إلى أفسس يقول فيها الرسول « اطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم إليها ، بكل تواضع ووداعة وطول أناة ، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط السلام » (أف ٤ : ١ - ٣) .

إذن بطول الأناة يحفظ الإنسان الوداعة والسلام .

لأن الذى يطيل أناة على غيره ، لا يسرع إلى الغضب ، بل يحتمل في صبر ، إلى أن يهدى غضب غيره ، ويكون كما قال الرسول « مسرعاً إلى الاستماع ، مبطلاً في التكلم ، مبطلاً في الغضب . لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله » (يع ١ : ١٩ ، ٢٠) . وفي هذا قال أيضاً سليمان الحكيم في سفر الجامعة :

« طول الروح خير من تكبر الروح . لا تسرع بروحك إلى الغضب . لأن الغضب يستقر في حضن الجاهل » (جا ٧ : ٨ ، ٩) .

*** .

حقاً إن الغضب ، يمكن معالجته بطول الأناة ، بالثأنى .

فلا يسرع الإنسان إلى الغضب ، بل يتأنى ، ويهدى نفسه من الداخل ، لأن الذى يحب شخصاً ، يتأنى عليه ولا يغضب منه بسرعة . بل إن محبته تجعله يطيل أناة ويصبر .

وأيضاً بالمحبة يطيل الإنسان أناته على الضعفاء : وصغار النفس ، حسب توجيه الرسول بقوله :

« شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع » (١ تس ٥ : ١٤) .

إن الضعفاء يحتاجون إلى من يهتمهم . واحتمالهم يحتاج إلى طول أناة . وطول الأناة تشجع عليه المحبة ...

وقد اعتبر الرسول طول الأناة من ثمر الروح . فقال : « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ، طول أناة لطف ... » (غل ٥ : ٢٢) . وهكذا نجد طول الأناة محصوراً بين السلام واللطف . فالذى يطيل أناته يعيش في سلام مع الكل ، ويكون لطيفاً في معاملة الجميع . وكل هذا من نتائج المحبة .

طول أناة الله

وطول الأناة صفة من صفات الله . وقد أطل الله أناته على اليهود وعلى الأمم كليهما :

أطل الله أناته على اليهود ، الذين كانوا شعباً صلب الرقبة ، متمرداً للغاية ، وكثيراً ما أتعبوا موسى النبي الذى « كان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) . وكم قتلوا الأنبياء ، ورجوا المرسلين إليهم » (مت ٢٣ : ٣٧) . وهنا فلنستمع إلى قول نحميا النبي « آباؤنا صلبوا رقابهم ، ولم يسمعوا وصاياك ... وأنت ، إله غفور وحنان ورحيم طويل الروح ... فلم تتركهم ... » (نح ٩ : ١٦ ، ١٧) .

ونرى هنا طول الأناة يرتبط بالحنان والرحمة والمغفرة .

حنان الله ورحمته نابعان من محبته للبشرية ، ومن نتائجها المغفرة وطول الأناة ... هذا الأمر عرفه البشر منذ البدء . ويذكره موسى النبي في سفر العدد « الرب طويل الروح كثير الإحسان ، يغفر الذنب والسيئة » (عد ١٤ : ١٨) . وكثر نفس الكلام

ويشرحه المرتل بتفصيل في مزمور ١٠٣ فيقول :

« الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة ، لا يحاكم إلى الأبد ، ولا يحد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا . لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا . كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه . لأنه يعرف جبلتنا ، يذكر أننا تراب نحن (مز ١٠٣ : ٨ - ١٤) .

* * *

وطول أناة الله ، كانت لتقتاد الناس إلى التوبة .

كما قال القديس بطرس الرسول « لكنه يتأني علينا ، وهو لا يشاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة » (٢ بط ٣ : ٩) . وقال أيضاً في نفس الرسالة « وأحسبوا أناة ربنا خلاصاً ، كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس » (٢ بط ٣ : ١٥) . فما الذي كتبه القديس بولس ؟ لقد قال :

« أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة » (رو ٢ : ٤) .

طول الأناة هو فرصة من الله المحب ، تقود إلى التوبة وليس إلى الاستهانة والاستهتار . ولذلك يقول الرسول بعد عبارته السابقة « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٥ ، ٦) .

هكذا فعل الله مع فرعون ...

أطال الله أناته عليه مرات عديدة . وكلما كان يعترف بالخطأ ، ويطلب الرحمة ورفع الضربة عنه ، كان الرب يرفع الضربة ، ويعطيه فرصة للتوبة . فلما استهان بطول أناة الله ، ضربه بالفرق مع جنوده في البحر الأحمر .

وأطال الرب أناته على اليهود مراراً ، وغفر لهم عبادتهم للأصنام ولآلهة الأمم . فلما استهانوا بطول أناته ، دفعهم إلى سبي بابل وأشور ، وقال لهم « حين تبسطون أيديكم ،

استر عيني عنكم . وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً » (أش ١ : ١٥) .

الله في محبته ، أطال أناته على الأمم .

الأمم الذين عبدوا الأصنام ، واتخذوا لهم آلهة أخرى غير الرب . وقال الجاهل منهم في قلبه ليس إله (مز ١٤ : ١) ...

وأخيراً جاء ملء الزمان الذي دخل فيه الأمم إلى الإيمان ، وطعمت الزيتون البرية في الزيتون الأصلية (رو ١١ : ٤) . وقال الرب لتلاميذه « اذهبوا إلى العالم أجمع . واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) .

ظهرت طول أناة الله على نينوى وعلى يُونان .

على نينوى المدينة الأممية الخاطئة التي كان « يوجد فيها أكثر من أثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم » (يون ٤ : ١١) . وبطول أناة الله ، وبكرازة نبيه يُونان ، تاب أهل نينوى ، وصاموا ، وجلسوا في المسوح والرماد . وغفر لهم الله وقبل توبتهم ، كما قبل توبة أهل السفينة أيضاً .

وبنفس طول الأناة تعامل الرب مع يُونان ، الذي هرب أولاً من وجه الرب وأخذ سفينة إلى ترشيش (يون ١ : ٣) .

لم يأخذه الرب في وقت خطيئته وهربه .

بل أطال أناته عليه على الرغم من عصيانه . وأعد له حوتاً عظيماً ابتلعه ولقنه درساً ، فأطاع أخيراً . وذهب ونادى لنينوى حتى تاب شعبها وخلص (يون ٣ : ٣) . كل ذلك لأن الله في محبته ، لا يشاء أن يموت الخاطيء ، بل أن يعطى فرصة لكي يتوب ويرجع فيحيا (حز ١٨ : ٢٣) .

وهكذا في محبة الله ، أطال أناته على الخطاة .

أطال أناته على زكا العشار الذي تعجب الناس من أن يدخل الرب إلى بيته وهو رجل خاطيء . ولكن الرب أعلن قائلاً « اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً

ابن لآبراهيم» (لوقا : ١٩ : ٩) . وحدث المثل مع متى العشار ، الذى لم يترك فقط مكان الجباية ، بل صار واحداً من الإثنى عشر .

وبالمثل أطال أناته على المرأة السامرية التى كان لها خمسة أزواج ، وتابت وكرزت به (يوحنا : ٤) . وأطال أناته على المجذلية التى اخرج منها سبعة شياطين (مرقا : ١٦ : ٩) ... فتبعته وهى التى بشرت التلاميذ بالقيامة .

وأطال أناته على الابن الضال ، الذى كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد (لوقا : ١٥ : ٢٤ ، ٣٢) .

بل بالأكثر أطال أناته على شاول الطرسوسى الذى اضطهد الكنيسة بعنف ، وحوله إلى رسول عظيم وكارز...

وهذا الذى قال عن نفسه « أنا الذى كنت من قبل مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ... » (١تى : ١ : ١٣) . وقال «..الخطاة الذين أولهم أنا . ولكنى رحمت ليظهر يسوع المسيح فى أنا أولاً كل أناة ، مثلاً للعتيدين أن يؤمنوا» (١تى : ١ : ١٥ ، ١٦) ...

وبالمثل أطال الله أناته على أريانس والى أنصنا فى عهد ديوقليانوس ، الذى كان أكثر الولاة تعذيباً للمسيحيين ... وبطول أناة الله عليه ، آمن وصار شهيداً...

وأطال الله أناته حتى تاب خطاة وصاروا قديسين .

نذكر من بينهم أوغسطينوس الذى تاب وترهب وصار اسقفاً ، وكتب تأملات عميقة انتفعت بها الأجيال من بعده ، وموسى الأسود الذى تاب وصار أباً للرهبان ، وقدوة فى المحبة والوداعة . كذلك مريم القبطية التى تابت من زناها ، وصارت من السواح ، وباركت زوسىما القس . ويعوزنى الوقت إن تكلمت عن جمهرة من الخطاة أطال الله أناته عليهم ، وقادهم إلى التوبة وإلى القداسة ولعلنى أذكر تلك الشجرة التى ما كانت تعطى ثمرأ ، وكانت على وشك أن تقطع . ولكن قيل عنها :

« اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً . فإن وضعت ثمرأ ، وإلا ففيما بعد نقطعها » (لوقا : ١٣ : ٨ ، ٩) .

هذه أمثلة من طول أناة الله ، نضع إلى جوارها أناة علي تلاميذه الاثني عشر، سواء في قلة فهمهم ، أو في ضعفهم فما قدرُوا أن يسهرُوا معه ساعة واحدة في بستان جسيماني {مت ٢٦} أو في سؤلهم أكثر من مرة من يكون الأول فيهم والرئيس {مت ٢٠: ٢٦} {لو ٢٠: ٢٤}. أو في شكوكهم مثل ما فعل توما {يو ٢٠} أو في هربهم أثناء القبض عليه وخوفهم واختبائهم أو شكهم في قيامه {مر ١٦}... ولكنه تأني عليهم وصبر ، وعالج ضعفهم ، وجعلهم قادة للمؤمنين ...

كل هذه دروس لنا نتعلم منها طول الأناة .
ولكن لا نطيل أناتنا في ضجر ، بل في حب .

نطيل أناتنا

* نطيل أناتنا بالنسبة إلى الله ، في انتظار مواعيده ، وفي انتظار تدخله لحل مشاكلنا واستجابة صلواتنا . وكما يقول المرتل في المزمور { انتظر الرب . تقو وليتشد قلبك ، وانتظر الرب } {مز ٢٧: ١٤}. وكما قال السيد المسيح له المجد {بصبركم تقتنون أنفسكم} {لو ٢١: ١٩}.

* كذلك صبرنا وطول أناتنا في محيط الخدمة .

فلا نبأس بسرعة ولا نضجر ، إذا تأخر الثمر في مجال خدمتنا : فالخطاة يحتاجون إلى طول أناة ، حتي يتوبوا ويتركوا ما سبق تقييدهم به من طباع وعادات وشهوات . والجهال يحتاجون إلى طول أناة ، حتي يفهموا الفكر الروحي ، وحتى ينضجوا أيضاً . ويجب علينا أن نتأني عليهم بكل حب ، ولا نتضايق من بطؤ توبتهم أو من رجوعهم أحياناً إلى الوراء ، ذاكرين قول الرسول { تأنوا علي الجميع } {١ تس ٥: ١٤}.

طول الأناة صفة ينبغي أن يتحلى به المربي والمرشد والمعلم .
يتحلى بها الأبوان في صبرهما إلى طفلتهما حتي ينضج ، محتملين في محبة وطول أناة كل

كل أخطائه وضعفاته .

وأيضاً طول الأناة اللازمة للمدرس حتى يفهم تلميذه ، وتتسع مداركه . كذلك المرشدون وآباء الاعتراف ، وكل القادة يحتاجون إلى السلوك بمحبة وطول أناة .

ولنعرف جميعاً أن نعود الفضيلة ليس سهلاً على أولادنا وتلاميذنا .

يضاف إلى ذلك حروب الشياطين القاسية ضدهم ، والعثرات التي تتعبدون من الخارج . وأمام كل هذا نذكر قول الرسول « المحبة تتأني وتترفق » ... تماماً كما يتأني الطبيب على مريضة في الاستجابة للعلاج .



المحبة تترفق

(١كو١٣: ٤)

الرفق والرافة

من صفات المحبة : الرفق واللين والرافة والعطف والحنو وأول نوع من هذه المحبة، هو المحبة الطبيعية :

ومنها محبة الأب ، ومحبة الأم ، ومحبة الأخوة. كل منها محبة طبيعية، تربطها جميعاً رابطة الدم. وكل منها تترفق. ولذلك حينما حدث أن أخوة يوسف أرادوا أن يقتلوه (تك ٣٧ : ١٩ ، ٢٠) ، كانت هذه القسوة منهم ضد الطبيعة. وحينما أراد أخوه رأوبين أن ينقذه من أيديهم كان هذا الأمر منه محبة طبيعية تترفق (تك ٣٧ : ٢١ ، ٢٢) (تك ٤٢ : ٢٢) . وحينما شقوا ثيابهم ووقعوا على الأرض أمامه ، متوسلين لأجل بنيامين ، خوفاً على أبيهم يعقوب أن يحزن ويموت بسبب فقد بنيامين ، كانت هذه محبة طبيعية تترفق . وهكذا طلب يهوذا أن يؤخذ هو عبداً بدلاً من أخيه قائلاً «لأنى كيف أصعد إلى أبى والغلام ليس معى ، لئلا أبصر الشر الذى يصيب أبى» (تك ٤٤ : ٣٤) .

وهكذا كان وضع داود من جهة أبشالوم .

بينما أبشالوم سلك بأسلوب ضد الطبيعة ، إذ حارب أباه ، واستولى على ملكه ، وصنع به شروراً كثيرة ، نجد أن داود قال لجنده وهم خارجون للحرب «ترفقوا بالفتى أبشالوم» (٢صم ١٨ : ٥) ، كانت تلك منه محبة طبيعية تترفق .

كذلك لما سمع داود بمقتل أبشالوم فى الحرب ، وانزعج وبكى وقال «يا ابنى أبشالوم يا ابنى ، يا ابنى أبشالوم ، يا ليتنى مت عوضاً عنك ، يا أبشالوم ابنى ، يا

ابنى» (٢صم ١٨ : ٢٣) ، كانت هذه منه محبة طبيعية تترفق ...

* * *

وقد شبه الرب محبته للبشر بهذه المحبة الطبيعية :

ودعا نفسه أباً لنا ، ودعانا أبناء . وعلمنا أن نصلي قائلين «أبانا الذى فى السموات» (لوقا : ١١ : ٢) . وداود فى الزمور شبه محبة الله التى تترفق ، بمحبة الأب نحو بنيه . فقال « كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه » (مز ١٠٣ : ١٣) .

ومن جهة محبة الأم ، قال الرب لأورشليم «هل تنسى المرأة رضيعها ، فلا ترحم ابن بطنها؟! حتى هؤلاء ينسين ، وأنا لا أنساك . هوذا على كفى نقشتك ...» (أش ٤٩ : ١٥ ، ١٦) . فقال إن محبته أعظم من محبة الأمومة فى ترفقها ...

أمثلة وعناصر

ومن أمثلة المحبة فى ترفقها ، محبة الراعى لغنمه .

وفى ذلك يقول السيد الرب «أنا أرعى غنمى وأربضها ... وأطلب الضال ، واسترد المظروء ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح» (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) «هكذا افتقد غنمى ، وأخلصها من جميع الأماكن التى تشتت إليها ..» (خر ٣٤ : ١٢) . وقال أيضاً «أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠ : ١١) «ولا يخطفها أحد من يدى» (يو ١٠ : ٢٨) .

وفى ذلك قال داود الراعى الصغير لشاول الملك «كان عبدك يرعى لأبيه غنماً ، فجاء أسد مع دب ، وأخذ شاه من القطيع . فخرجت وراءه وقتلته ، وأنقذتها من فيه . ولما قام على ، أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته . قتل عبدك الأسد والدب جميعاً» (١صم ١٧ : ٣٤ - ٣٦) .

ومن أمثلة محبة الراعى فى تحننها ، قول الكتاب عن السيد المسيح «ولما رأى الجموع تحزن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها» (مت ٩ : ٣٦) (مر ٦ : ٣٤) .

كذلك حنوه علي الخروف الضال ، إذ خرج يبحث عنه حتي وجده ، وحمله علي منكبیه فرحاً {لو ١٥ : ٤، ٥} . إنها الحبة التي تتعب ، وتفرح بالتعب ، رفقا بالضالين .

ومن أمثله الحبة التي تتراءف ، الحبة الموجهة إلي التعالي ، والحزاني، وصغيري النفوس .

ومن أمثلتها حبة السامري الصالح الذي رأي في الطريق إنساناً وقع بين أيدي اللصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت { فلما رآه تحنن } وتقدم فضمد جراحه { وأركبه علي دابته ، وأتي به إلي فندق ، وأعتني به } { لو ١٠ : ٣٤ ، ٣٥ } . المهم أن كل عمل الخير هذا ، سيقته عبارة { تحنن } . إنها الحبة التي تشفق وتترفق بالتعالي.

ولعل أبرز مثل لهذا الحب ، هو قول السيد :

{ تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ؟ ، وأنا أريحكم } { مت ١١ : ٢٧ } . ومن جهة الحزاني ، نراه غي محبته وحنوه ، يمسخ كب دمعته من عيونهم { رو ٧ : ١٧ } { رؤ ٢١ : ٤ } .

ومن تحننه ، إنه لما رأي أرملة ناين تبكي لموت وحيدها ، قيل { فلما رآها الرب تحنن عليها ، وقال لها : لا تبكي ، ثم تقدم إلي النعش وأقام ابنها الميت ، ودفعه إلي أمه } { لو ٧ : ١٢ - ١٥ } . كذلك تحنن علي أسرة لعازر التي كانت تبكي بسبب موته ، ولم يقل الإنجيل فقط أنه أقام لعازر من الموت ، بل قيل أكثر من هذا تعبيراً عن حبه { بكى يسوع } { يو ١١ : ٣٥ } .

ومن أجل هذه الحبة المترفقة ، قبل عنة أنه :

عزاء من ليس له عزاء ، ومعين من ليس له معين .

ولهذا يقول الوحي لأورشليم { لا تبكي بكاء . يترأف عليك ، عند صوت صراخه . حينما يسمع يستجيب لك } .

{ أش ٣٠ : ١٩ } . وقول عنه الكتاب أنه :

«أبو الرأفة ورب كل عزاء» (٢كو١: ٣).

ومن محبته وترفقه ، اهتمامه بصغيري النفوس :

نقول عنه في صلواتنا إنه «عزاء صغيري النفوس ، ميناء الذين في العاصف» . لقد عزى بطرس الرسول الذى بكى بكاءً مرّاً بعد أن أنكره ثلاث مرات (مت ٢٦: ٧٥) . لذلك قابله بعد القيامة ، وقال له «ارح غنمى ، ارح خرافى» (يو ٢١: ١٥ ، ١٧) . وذلك لثلا يظن بعد نكرانه أنه قد فقد رسوليته ، أو أنه انطبق عليه قول الرب «من ينكرنى قدام الناس ، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات» (مت ١٠: ٣٣) - فعزاه .

وكان أيضاً مترفقاً بتوما فى شكوكه . وسمح له أن يلمس جراحه ويؤمن (يو ٢٠: ٢٦-٢٨) . وترفق أيضاً بالمجدلية ، وأزال شكوكها وثبثها فى الايمان (يو ٢٠) ... لهذا كله يقول الرسول «شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع» (١ تس ٥: ١٤) .

ولعل من أبرز الأمثلة للمحبة المترفقة : الرفق بالخطاة .

وفىها يقول الرسول «اذكروا المقيدى ، كأنكم مقيدون معهم ، والمذلى كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد» (عب ١٣: ٣) . ما أعظم محبة الرب فى ترفقه على المرأة السامرية ، وعدم احتجائها (يو ٤) . وكذلك ترفقه على المرأة الخاطئة التى ضببطت فى ذات الفعل ، وكيف أنقذها من الذين أدانوها وطلبوا الحكم برجمها . ثم قال لها فى رفق «ولا أنا أدىنك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً» (يو ٨: ١١) . وبنفس الرفق عامل المرأة الخاطئة التى سكبت الطيب على قدميه فى بيت سمعان الفريسي (يو ٧: ٣٦-٥٠) . وأظهر للفريسي إنها أفضل منه ...

كذلك ترفقه بالإبن الضال حينما رجع ، ولم يبكته على ذهابه إلى كورة بعيدة (لو ١٥) . ونفس الموقف مع زكا العشار (لو ١٩) . وباقى العشارين والخطاة .

وبنفس الرفق عامل أورشليم الخاطئة (حز ١٦) .

قال لها « بسطت ذيلي عليك وسترت عورتك ... ودخلت معك في عهد ... يقول السيد الرب - فصرت لى . فحممتك بالماء (أى المعمودية) ... ومسحتك بالزيت (فى سر الميرون) ... وكسوتك بزاً (من جهة البر) وحليتك بالخلى ... ووضعت تاج جمال على رأسك ... فصلحت لملكه . وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك ، لأنه كان كاملاً بيهائى الذى جعلته عليك » (حز ١٦ : ٨ - ١٤) .

ومن المحبة المترفة بالخطاة ، أنذارهم قبل العقاب ...

انذار قدمه الرب قبل الطوفان (تك ٦) . وانذار قدمه لأهل سادوم على يد لوط (تك ١٩) . وانذارات يقدمها فى سفر الرؤيا قبل المجيء الثانى (رؤ ٨) . وانذار أمر به فى سفر حزقيال النبى . فقال له « اسمع الكلمة من فمى ، وانذرهم من قبل » (حز ٣ : ١٧) « وتحذرهم من قبل » (حز ٣٣ : ٧) ... وما أكثر انذارات الرب وتحذيراته . لأنه فى محبته ، لا يريد أن يضرب الضربة على حين غفلة ...

وهوذا بولس الرسول يقول لشيوخ أفسس « اسهروا متذكرين اننى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفر عن أن أنذر بدموع كل واحد » (أع ٢٠ : ٣١) .

ومن المحبة المترفة ، فتح باب التوبة للخطاة .

حتى للص على الصليب فى آخر ساعات حياته ، إذ قال له « اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٤٣) .

وأيضاً « اعطى الله الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) . وهكذا فتح باب الرجاء أمام كل أحد ، لأنه « لا يسر بموت الخاطيء ، بل أن يرجع ويحيا » (حز ١٨ : ٢٣) .

وأعطانا خدمة المصالحة (٢ كوه : ١٨) . لكى فى محبة وترفق بالخطاة ، ندعوهم أن يصطلحوا مع الله .

ومن فيض المحبة المترفة : الترفق أيضاً بالفقراء ، والجياع والمرضى .

وهنا يقول الكتاب « وأما الصديق فيتراءف ويعطى » (مز ٣٧ : ٢١) . ويقول

أيضاً « طوبى للرجل الذى يتراءف ويقرض » (مز ١١٢ : ٢١) . ويهمننا هنا كلمة « يتراءف » . فلا يكفى أن يعطى الإنسان غيره ، وإنما بمشاعر الحب « يتراءف » . ومن الرأفة أن الرب منع أخذ الربا من أولئك المحتاجين . واعتبر أن من يعطى المحتاجين ، كأنه يعطى الرب نفسه ، فقال :

« بما أنكم فعلتموه بأحد إخوانى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم »
(مت ٢٥ : ٤٠) .

إذن ينبغى أن يكون العطاء بحب ، وفيه تفرق بمشاعر المحتاجين . وهنا ألوم الجمعيات التى تؤسس الملاجىء ، وتخرج شعور اللاجئ بما تنشره عنهم من صور وإعلانات ، لكى تجمع بذلك مالاً !

اهتمام الرب بالجياع والعطاش والمحتاجين ، واضح جداً فى وصيته للتلاميذ « أعطوهم أنتم ليأكلوا » (مت ١٤ : ١٦) .

نلاحظ أيضاً أن معجزات الشفاء التى قام بها الرب ، لم تكن مجرد شفاء ، وإنما امتزجت أيضاً بالحنان والرأفة .

ففى منح البصر للأعميين ، يقول الكتاب « فتحنن يسوع ولمس أعينهما . فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه » (مت ٢٠ : ٣٤) . وفى شفاء الأبرص وتطهيره ، قيل « فتحنن يسوع ومد يده ولمسه ، وقال له اريد فاطهر » (مر ١ : ٤١) . ويقول الكتاب أيضاً « فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً ، فتحنن عليهم وشفى مرضاهم » (مت ١٤ : ١٤) . إذن الحنان هو الدافع ، والشفاء هو النتيجة .

ما أكثر تحننه أيضاً على العواقر .

وما أجل تلك التسبحة التى سجلها سفر اشعيا : « ترفى أيتها العاقر التى لم تلد . اشيدى بالترنم ... لحيفة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك » (أش ٥٤ : ١ ، ٧) ...

وهنا نذكر تحننه على حنة ، ومنحها صموئيل الذى صار نبياً مسح الملوك (١ صم ١٠ : ١٦) . وتحننه على اليبابات فى شيخوختها ، فمنحها يوحنا الذى صار

أعظم من ولدته النساء (مت ١١: ١١)، وتحننه على ليثة المكروهة، فجاء من نسلها المسيح .

ومن ابرز أمثلة الترفق، أمر الرب ببناء (مدن الملجأ) التى يلجأ إليها القاتل الذى قتل نفساً سهواً (عد ٣٥: ١١)، فيحتوى فيها لثلا يقتله ولى الدم، وقبل أن يفصل القضاء فى أمره .

وهكذا يقول المزمور « الرب يحكم للمظلومين » .

إن الله ضد قساوة القلب . فالقاتل الذى يقتل عن غضب وحقد وقسوة، لا تنطبق عليه قاعدة مدن الملجأ... لقد قال يعقوب أبو الآباء فى نصائحه لأولاده قبل موته «شمعون ولاوى أخوان، آلات ظلم سيوفهما . فى مجلسهما لا تدخل نفسى . وجمععهما لا تتحد كرامتى . لأنهما فى غضبهما قتلأ إنساناً، وفى رضاها عرقبا ثوراً» (تك ٤٩: ٥، ٦) .

من أجل صور الحب والرفق، الترفق بالأعداء .

أو بالذين سلوكوا سلوك الأعداء، حتى لو كانوا أخوة . مثلما فعل يوسف بأخوته . إذ بكى لما عرفهم بنفسه (تك ٤٥: ١، ٢) . وغفر لهم، وأكرمهم وأسكنهم فى أرض جاسان التى كانت صالحة لمراعيهم .

كذلك بكاء داود على ابشالوم، عن حب، على الرغم من كل تعدياته .

وكذلك الرفق بالأحباء الذين سلوكوا مسلكتاً ضعيفاً .

مثل نوم التلاميذ فى بستان جثسيمانى، بينما قال لهم السيد «أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟!» ومع ذلك أوجد لهم عذراً وقال لهم «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف» (مت ٢٦: ٤١) . ولم يوبخهم لما هربوا وقت القبض عليه، ولما خافوا واختبأوا فى العلية...

المحبة لله تحسد

(١ كو ١٣ : ٤)

ما هو الحسد ؟

الحسد بمعناه اللغوي هو تمنى زوال النعمة أو الخير عن المحسود ، وتحول هذه النعمة والخير إلى الحاسد .

وبهذا المعنى يكون الحسد خطية مزدوجة :

فتمنى زوال النعمة عن المحسود خطية ، لأنه ضد المحبة . فالمحبة لا تفرح بالإثم ، بل تفرح بالحق (١ كو ١٣ : ٦) . والكتاب يقول « لا تفرح بسقطه عدوك . ولا يبتهج قلبك إذا عثر » (أم ٢٤ : ١٧) ... فكم بالأكثر إن كان هذا الذى تتمنى له السقوط ليس عدواً ، ولم يفعل بك شراً !!

كذلك تمنى تحول خيره إلى الحاسد يحمل خطية أخرى . فهو شهوة خاطئة . وهو ضد الوصية العاشرة : « لا تشته شيئاً مما لقريبك » (خر ٢٠ : ١٣) .

والقديس يعقوب الرسول يسمي الحسد « الغيرة المرة » (يع ٣ : ١٤) . ويعتبره القديس بولس الرسول من « أعمال الجسد » (غل ٥ : ١٩) . والذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » (غل ٥ : ٢١) .

وهناك نوع آخر من الحسد ، يحذر منه الكتاب بقوله :

« لا تحسد أهل الشر ، ولا تشته أن تكون معهم » (أم ٢٤ : ١) .

وهنا يرتبط الحسد بشهوة الخطية . فيحسد الذين يرتكبونها حين لا يكون بإمكانه

ذلك . وهذا يدل على عدم وجود نفاوة في القلب . وعلى أن القلب لا توجد فيه محبة الله . لأن هذه المحبة تقى المؤمن من حسد الأشرار على شرهم ...

المحبة لا تحسد

الذى يجب إنساناً لا يمكن أن يحسده ...

لأنك إن أحببت إنساناً ، تمنى أن تزيد نعمة الله عليه ، لا أن تزول النعمة منه .

وإن أحببت إنساناً ، فإنك تفضله على نفسك ، بل تبذل نفسك عنه . وهكذا لا يمكن أن تشتهى أن يتحول الخير منه إليك فالمحبة تبني ولا تهدم ...

وهكذا فإن الأم التي تحب ابنتها ، لا يمكن أن تحسدها على زواج موفق ، بل تسعد بسعادتها ، وتكون في خدمتها في يوم فرحها ، تبذل جهدها أن تكون ابنتها في أجمل صورة وأجل زينة . وكذلك الأب يفرح بنجاح ابنه ، ولا يمكن أن يحسده على نجاحه .

لقد فرح داود الملك أن يجلس ابنه على كرسيه في حياته .

بل هو الذى دبّر كل ذلك وأمر به . ولما جلس سليمان على كرسي المملكة ، قال داود « مبارك الرب إله إسرائيل الذى أعطانى اليوم من يجلس على كرسيّ ، وعيناي تبصران » (١ مل ١ : ٤٨) . وجاء عبيد الملك داود ليباركوا له قائلين « فليجعل إلهك إسم سليمان أحسن من اسمك ، وكرسيه أعظم من كرسيك » (١ مل ١ : ٤٧) . وفرح داود بهذا ، وسجد على سريره .

وفرّح يعقوب بابنه يوسف ، لما رآه رئيساً في مصر ... وباركه وبارك ابنه (تك ٤٨ : ٢٠ - ٢٢) .

ولعل من أروع الأمثلة في المحبة التي لا تحسد ، موقف القديس يوحنا المعمدان من المسيح .

كان المعمدان هو أعظم كارز في أيامه ، وقد { خرجت إليه أورشليم وكل اليهودية
وجمع الكورة المحيطة بالأردن ، واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم } كانوا مع
يوحنا . فهل دخل الحسد إلى قلب يوحنا ؟ كلا بل فرح .

فيوحنا كان يحب المسيح . واخبة لا تحسد .

لذلك قال عبارته الخالدة : من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذي
يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس ، إذن فرحي هذا قد كمل . ينبغي
أن ذاك يزيد وأنى وأنا أنقص . الذي يأتي من فوق ، هو من فوق الجميع { يو ٣ :
٢٩-٣١ } .

كان حباً ممزوجاً بالإيمان ، والاتضاع ... أما الحسد فنجدته خالياً من الحب في كل
أحداثه .

الغيرة

ليست كل غيرة لوناً من الحسد الخاطئ . وليست كل غيرة ضد المحبة . فإن الرسول
يقول :

{ حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين {غل ٤ : ١٨} .

إنها الغيرة التي لا تحسد وإنما تقلد ، وتتحمس للخير فنحن نسمع عن فضائل القديسين
، سواء الذين انتقلوا أو الذين ما زالوا أحياء . فنغار منهم غيرة تجعلنا نتمثل بأفعالهم ،
لا نحسدهم ، ونتمنى زوال النعمة منهم إلينا ! بل نفرح كلما نعرف جديداً من
فضائلهم .

إن الذي يحب الفضيلة ، لا يحسد الفضلاء ،

والذي يحب الفضلاء لا يحسدكم بل يقلدكم .

آباء البرية ما كانوا يحسدون بعضهم بعضاً في حياة الروح . بل كان ارتفاع الواحد
منهم في الطريق الروحي ، يشجع الآخرين ويقويهم . وكانوا يحمدون الله بسببه
وتملكهم الغيرة المقدسة فيفعلون مثلاً يفعل ، ويطلبون صلواته وبركته لهم .

وتملكهم الغيرة المقدسة فيفعلون مثلما يفعل، و يطلبون صلواته عنهم وبركته لهم .
وهكذا كان الحال في العصر الرسولى، وفي كل عصور الاستشهاد . كانت هناك
غيرة، ولم يكن هناك حسد . لأن الناس كانوا يحبون الملكوت، ويحبون كل العاملين
فيه . لا يحسدونهم ، بل يطوبونهم .

هل الحسد يضر ؟

أولاً : الحسد يضر الحاسد وليس المحسود .

الحاسد تتبعه الغيرة ، ويتعبه الشعور بالنقص . يتعبه منظر المحسود في مجد . تتعبه
مشاعره . وكما قال الشاعر :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله
وكذلك فإن الحاسد يتعبه تفكيره وسعيه في الإضرار بالمحسود .
وقد لا يفلح في ذلك ، ويزداد المحسود إرتفاعاً .

وكذلك فإن الحاسد يتعبه تفكيره وسعيه في الإضرار بالمحسود . وقد لا يفلح في
ذلك ، ويزداد المحسود إرتفاعاً ، فيزداد هو غيظاً ... إن القلب الخالى من المحبة ، لا بد
أن يتعب .

وقد يسعى الحاسد إلى التحرش بالمحسود وإهانته ، فيقابله المحسود برقة ولطف ،
فتتعبه رفته ولطفه ، ويتعبه فشله في إثارتة . فتزداد فيه النار اشتعالاً .. !

* * *

ثانياً : إن الحسد في حد ذاته لا يضر . ولكن المؤامرات التى يدبرها
الحاسدون قد تضر أحياناً .

أخوة يوسف الصديق حسدوه على محبة أبيه له ، وحسدوه على أحلامه ، فلم يضره
حسداهم بشئ . ولكن جاء دور المؤامرات التى تضر . وهنا يقول الكتاب إنهم
« إحتالوا ليميتوه » (تك ٣٧ : ١٨) . وهكذا خلعوا عنه قميصه الملون ، وألقوه في بئر .
وانتهى الأمر ببيعه عبداً للاسماعيليين ، ومرت عليه تجارب عديدة . وهنا أقول :

متاعب يوسف لم تأت عن ضربة عين من حسد اخوته .

كانوا معه في البيت كل يوم ، كأخوة في أسرة واحدة . وكانت عيونهم الحاسدة موجهة إليه ليل نهار ، ولم تضره ... أو على الأقل كانت عيونهم الحاسدة مركزة في قميصه الملون . ولم يتميز القميص من نظراتهم ، وبقي كما هو ، حتى حينما أخلعوه أيضاً . المشكلة إذن كانت في التآمر ، وليست في نظرات الحسد ، ولا في مشاعر الحسد الناتجة عن عدم المحبة .

قورح وذاتان وابيرام حسدوا موسى وهارون على كهنتهما . وما أصابت موسى ولا هرون عين واحد منهم .

كل ما في الأمر أنهم أقاموا ضجيجاً واحتجاجاً وقمراً . ولم يفدهم ذلك بشيء . بل انتهى الأمر إلى أن الله تبارك اسمه أمر الأرض فانشقت ، وفتحت فاهها وابتلعتهم مع كل ما كان لهم (عد ١٦ : ٣١-٣٣) .

كهنة اليهود ورؤسائهم حسدوا المسيح ، فتآمروا ضده .

اتهموه اتهامات كثيرة ، حاكموه في مجتمعهم ، أتوا بشهود زور لم تتفق أقوالهم . هيجوا عليه الشعب . قدموه إلى السلطة الرومانية كفاعل إثم ، فلم يجد فيه الوالي الروماني علّة للموت . أصروا على صلبه ، وصاحوا وضجوا ، وكان لهم ما أرادوا فصلبوه ... كل هذه هي مؤامرات الحاسدين . وكل شر الحسد في مؤامراته . وسبب الحسد هو الأنانية وعدم الحب .

الحسد هو مشاعر قلب ، وليس ضربة عين .

ونحن حينما نطلب من الله في صلاة الشكر وفي غيرها أن ينزع عنا الحسد ، لا نطلب مطلقاً أن يبعد عنا ضربة العين ، إنما مؤامرات الحاسدين . وأيضاً أن لا يكون فينا حسد نحو غيرنا .

حسد الشياطين

أول الحاسدين كان الشيطان . حسد الإنسان الأول على نقاوته ، بينما فقد هو تلك النقاوة . وحسده لعلاقته الطيبة مع الله ، بينما خسر هو تلك العلاقة . وحسده لأنه خُلق على صورة الله ومثاله . وحسده على تمتعه بالبركة والسلطة في جنة عدن . فأراد أن يفقده كل هذا ... ماذا فعل إذن ؟ خدعه وكذب عليه وأغراه ، وأسقطه في الخطية ، فنعرض لحكم الموت . وهكذا نقول في القداس الإلهي « والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس ، هدمته » .

كانت إذن مؤامرة من الشيطان ، وخدعة ، ولم تكن ضربة عين .

الشيطان لا يحب الناس ، ولا يحب الخير للناس ، لذلك يحسد . فليست في قلبه المحبة التي لا تحسد ، بل تتركز في قلبه العداوة والكراهية ، وبالتالي الحسد . وفي الحسد يجب أن يضر . يجب أن النعمة تزول من المحسود ، على الرغم من أن هذه النعمة سوف لا تتحول إليه . ولكنها مجرد الكراهية التي تجعله يفرح بسقوط البشر .

وقد حسد أيوب الصديق . ولم يستطع أن يضره إلا بعد أن أخذ سماحاً من الله (أى ١ ، ٢) .

وحتى ذلك بالسماح كان في حدود لا يتعداها ، في الحدود التي كان الله يعرف أن أيوب البار سوف يحتملها . وانتهى الأمر بأن رفع الرب وجه أيوب ، وعوضه الخير الذي فقد منه مضاعفاً . ولم تفلح مؤامرة الشيطان . وكان الله ضابط الكل ممسكاً العملية كلها في يمينه ، محولاً كل شيء إلى الخير ، كما فعل مع يوسف الذي حسده اخوته من قبل (تك ٤٥ : ٨) .

فإن كان الشيطان بكل جبروت حسده وقوته لا يستطيع أن يؤذى إلا بسماح ، فهل تظنون أن عيون الحاسدين من البشر الضعفاء تستطيع أن تؤذى ؟!

مهما أوتيت من قوة البصر !! أين إذن ضابط الكل وحايته ؟ ومن الذي أعطى أولئك الحاسدين تلك القوة الضارة الجبارة في عيونهم ؟ هل هو الله ؟ وهل الله يمنح

أمثال هؤلاء قوة للإضرار، ليست تحت ضبط، وتعمل بلا سبب داع لإهلاك الناس؟! . أمر لا يصدق منطق، ولا يسنده الكتاب ...

* * *

ولو كانت ضربة العين حقيقة، إذن لهلك كل أصحاب المواهب والمناصب والتفوق .

الحاصلون على جائزة نوبل كل عام، أليس لهم حاسدون؟ وهؤلاء الحاسدون أليست لهم عيون؟ هل تصيبهم ضربة عين، فيفقد العالم أعظم علمائه وأدبائه وأبطال السلام فيه!!

وأبطال الرياضة أصحاب الكؤوس الذهبية والميداليات، والمتفوقون في الفن والموسيقى، وملكات الجمال في العالم... أليس هؤلاء أيضاً حاسدون، ولهم أو لأصحابهم عيون .

والذين ينجحون في الانتخابات، ويتولون المناصب والرياسات، على كل المستويات، وفي كل البلاد، أليس لهم أيضاً حاسدون؟! !

وأوائل الطلبة في الكليات والجامعات، وأوائل الثانوية العامة، وقد يكون الأول متفوقاً بنصف درجة فقط . وكل الذين يعينون في مناصب مرموقة جداً، أليس لهم أيضاً حاسدون؟ هل تصيب كل هؤلاء ضربة عين فيسقطون؟! !

* * *

أم أننا لا نكون آمنين إلا من حسد العميان أو ضعاف البصر، الذين ليست لهم عيون تفلق الحجر؟! !

إنني لست أوافق مطلقاً على ضربة العين، ولا أرى الحسد إلا مشاعر خاطئة في القلب، قد تعبر عن ذاتها بمؤامرات تحوكمها حول المحسودين، ربما تضرهم أو لا تضرهم .

* * *

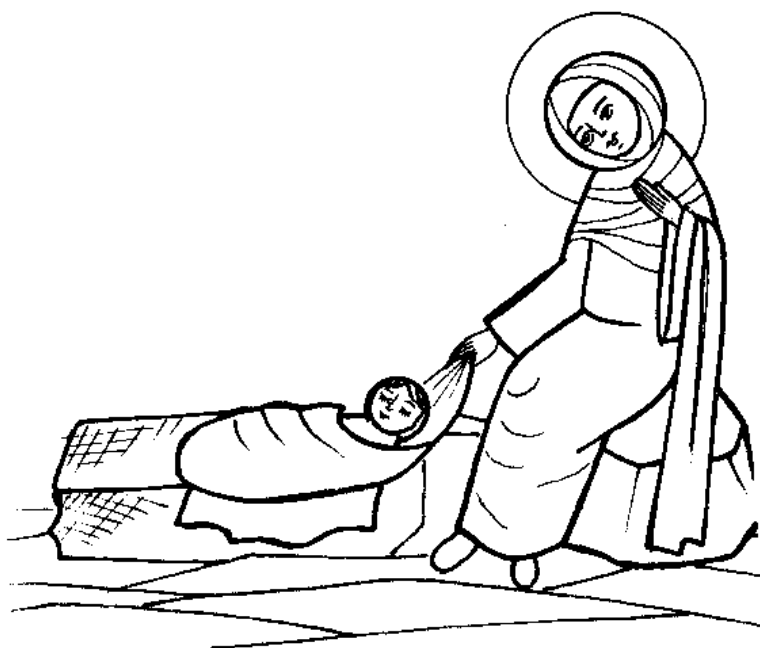
والسيد المسيح حينما أخفى لاهوته عن الشيطان، لم يكن ذلك خوفاً من حسد الشياطين، حاشا . بل لئلا يعطل الشيطان قضية الفداء، أو كما قيل «لأنهم لو عرفوا، لما صلبوا رب المجد» (١كو٢: ٨) .

كذلك القديسون لم يخفوا فضائلهم خوفاً من حسد الشياطين، وإنما تواضعوا. فالشيطان كان يعرف فضائلهم.

بلا شك كان الشيطان يعرف أن القديسة مارينا امرأة، لا يمكن أن تنجب من امرأة أخرى إبتناً!! إنما هذه القديسة صبرت على العار تواضعاً منها. وإن كان هناك مجال لحسد الشيطان، فهو أن يحسدها على تواضعها، الأمر الذي ما كان ممكناً أن تخفيه عنه.

وبالمثل القديس أبا مقار الكبير، كان الشيطان يعرف تماماً أنه لم يخطيء إلى تلك الفتاة. فالشيطان هو الذى أغراها على الزنى مع ذلك الشاب؛ وهو الذى أوعز إليها أن تلصق التهمة بالقديس مقاريوس الذى قبل ذلك تواضعاً منه. وليس لذلك دخل بحسد الشياطين.

القديسون كانوا يخفون فضائلهم من مديح الناس ...



المحبة لا تتفاخر ولا تستفخ

ولا تقبّح (الكو ١٣: ٤٥)

المحبة لا تتنّفخ

عبارة « لا تتفاخر » تعنى لا تفتخر على غيرها ، وعبارة « لا تتنّفخ » تعنى لا تعامل غيرها بانتفاخ ، أى لا تتعالى على الغير . فالذى يحب ، يعامل من يحبه بمودة ، وليس بعظمة . وقد قيل عن السيد الرب فى محبته لنا ، لما صار فى شبه الناس :

إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليعّخدم » (مت ٢٠ : ٢٨) .

وهكذا فى محبته لتلاميذه ، انحنى وغسل أرجلهم . وكان هذا أيضاً تعليماً صالحاً لهم ، إذ قال بعد ذلك : « فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى أعطيتكم مثلاً ، حتى كما صنعت أنا بكم ، تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٤ ، ١٥) .

ومحبة الله الآب ، نقول عنه فى القداس الإلهى :

« الساكن فى الأعالى ، والناظر إلى المتواضعات » .

إن سكناه فى الأعالى ، هذا الذى سماء السموات لا تسعه (١ مل ٨ : ٢٧) ، لم يمنعه هذا العلو من أن ينظر إلى البشر ، الذى هو « تراب ورماد » (تك ١٨ : ٢٧) . وهو « يعرف جبلتنا ، يذكر أننا ترب نحن » (مز ١٠٣ : ١٤) ... إنها المحبة التى لا تتعالى .

محبة الله التى لا تتعالى على أولاده فى الحوار .

الله الذى يأخذ رأى أبينا ابراهيم فى موضوع سادوم ، ويقول « هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ١٩ » (تك ١٨ : ١٧) . ويدخل معه فى حوار ، يسمح فيه لابراهيم أن يقول له « حاشا لك يارب أن تفعل مثل هذا الأمر ، أن تमित البار مع الأثيم .. حاشا لك . أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً » (تك ١٨ : ٥) . ولا يغضب الله ، ويستمر الحوار ...

نعم هو الله المحب الذى يشرك معه موسى من جهة مصير الشعب الذى عبد العجل الذهبى ، ويقول له « أتركنى ليحمى غضبى عليهم وافنيهم .. » ولكن موسى لا يتركه . بل يقول له « ارجع عن حو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك ... » (خر ٣٢ : ١٠ - ١٤) . ويستجيب الرب لموسى .

الله الذى فى محبته يتنازل ليظهر لعبيده ويكلمهم .

كما فعل مع سليمان ، تراءى له مرتين : أحدهما فى جبعون ، والأخرى فى اورشليم (١ مل ٣ ، ٩) ... على الرغم من أن الله كان يعرف بسابق علمه أن سليمان سوف يميل قلبه وراء آلهة أخرى بسبب نسائه (١ مل ١١ : ٤) ...

* * *

ولعل من أبرز الأمثلة على عدم التعالى ، أن السيد الرب فى تجسده ، دعا لتلاميذه اخوته .

وفى ذلك يقول بولس الرسول عنه إنه « لا يستحى أن يدعوهم أخوة ، قائلاً : اخبر باسمك اخوتى » (عب ٢ : ١١ ، ١٢) . وأنه « كان ينبغي أن يشبه اخوته فى كل شيء » (عب ٢ : ١٧) . بل أن الرب نفسه يقول للقديسة المجدلية وزميلاتها « اذهبا قولاً لأخوتى أن يمشوا إلى الجليل وهناك يرونى » (مت ٢٨ : ١٠) .

وهو نفسه يقول لتلاميذه ، وقد أحبههم حتى المنتهى (يو ١٣ : ١) ... « لا أعود أسميكم عبيداً ... لكنى قد سميتكم أحباء ... » (يو ١٥ : ١٥) ... ويعدهم قائلاً « حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يو ١٤ : ٣) . ويستمر هذا الوعد فى الأبدية ، فى اورشليم السماوية ، مسكن الله مع الناس ، حيث يكون الله فى وسط شعبه

* * *

بل من أعظم الأمثلة للمحبة التي لا تتفاخر ولا تنتفخ هي قول الرب لتلاميذه :
ومن يؤمن بى فالأعمال التي أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم
منها ... » (يوح ١٤ : ١٢) .

عبارة عجيبة في تواضعها ، يقف أمامها العقل البشرى مبهوراً ... كما يقف العقل
مبهوراً أيضاً أمام محبة الله للبشر ، التي بسببها يتقدم السيد المسيح إلى يوحنا المعمدان
ليعتمد منه ، معمودية التوبة ، نيابة عنا ... !! أين هنا التفاخر والانتفاخ ؟ ... بل المحبة
التي تصعد على الصليب ، لكى تحمل كل خطايا العالم ، ويحصى وسط أئمة
(أش ٥٣ : ٦ ، ١٢) ...

ليس فقط لا يوجد تفاخر ، بل بالأكثر انسحاق ...

* * *

وكما سلك السيد المسيح ، سلك أيضاً تلاميذه بأسلوب المحبة التي لا
تتفاخر ولا تنتفخ ...

مهما كان المنصب عالياً ، منصب الرسولية . فهذا القديس بولس الرسول ، يقول
في توبيخه لأولاده في كورنثوس « اطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه ، أنا نفسى
بولس ، الذى فى الحضرة ذليل بينكم . وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم . ولكن أطلب
أن لا أتجاسر وأنا حاضر ... » (٢ كو ١٠ : ١ ، ٢) . ويقول فى حديثه مع شيوخ كنيسة
أفسس « اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر عن أن أنذر بدموع
كل واحد » (أع ٢٠ : ٣١) .

عبارات عجيبة ، يقوها الرسول العظيم الذى اختطف إلى السماء الثالثة ، إلى
الفردوس ، وسمع كلمات لا يُنطق بها (٢ كو ١٢ : ٢ - ٤) ... ومع كل هذه العظمة لا
يتفاخر ولا ينتفخ ، بل يقول عن نفسه إنه ذليل ، ومتجاسر ، وينذر بدموع .

وفى مجال الافتخار ، يقول لا افتخر إلا بضعفائى .

ويشرح كيف أن ملاك الشيطان لطمه بشوكة فى الجسد ، وأنه تضرع إلى الله

ثلاث مرات بسببها ولم يستجب الله لصلاته في هذا الأمر، بل قال له تكفيك نعمتي
(٢كو١٢: ٩-٥).

* * *

لم يفتخر أحد من الرسل بمنصبه العظيم ولم ينتفخ.

بطرس الرسول يكتب إلى الشيوخ فيقول: «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا
الشيوخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح» (١بط ٥: ١).

ويوحنا الرسول يكتب في مقدمة سفر الرؤيا: «أنا يوحنا أخوكم، وشريككم في
الضيقة، وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره..» (رؤ ١: ٩). يكتب بهذا الأسلوب في
مقدمة الرؤيا التي رأى فيها السيد الرب، ورأى باباً مفتوحاً في السماء، وعرش الله،
وكثيراً من القوات السماوية التي لم يرها رسول غيره... ومع ذلك لا يتفاخر... بل
يقول: أخوكم وشريككم...

وبولس الرسول يبدأ الكثير من رسائله بعبارة «بولس عبد ليسوع المسيح» (رو ١:
١) (١ في ١: ١).

* * *

بل بالأكثر، سقى الرسل رسالتهم خدمة...

فقال القديس بولس الرسول «هكذا فليحبسنا الإنسان كخدام للمسيح»
(١كو ٤: ١). وقال إن الرب «أعطانا خدمة المصالحة» (٢كو ٥: ١٨) «في كل
شيء نظهر أنفسنا كخدام في صبر كثير في شدائد في ضرورات» (٢كو ٦: ٤). وقال
الرسول عن عملهم الكرازي إنه «خدمة الكلمة» (أع ٦: ٤). وقال القديس
بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف «إعمل عمل المبشر، قم خدمتك»
(٢تى ٤: ٥). وقال عن نفسه وعن زميله أبولوس «من هو بولس، ومن هو أبولوس؟
بل خادمان آمنتم بواسطتهما» (١كو ٣: ٥).

ولعل هذا كله تنفيذاً لوصية الرب لتلاميذه:

من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً.

أيضاً «ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً» (مت ٢٠: ٢٦،

(٢٧). وحسبما ورد في الإنجيل لما مرقس الرسول «إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فليكن آخر الكل وخادماً للكل» (مر ١٠: ٣٥) ... هذا هو عمل الرسولية، الذى لا يتفاخر ولا ينتفخ، بل فى محبته لله وللكوته، وفى محبته للمخدومين يكون آخر الكل وخادم الكل.

ويشبه هذا، صلاة القديس أوغسطينوس من أجل رعيته، التى قال فيها «اطلب إليك يارب، من أجل سادتى عبيدك ...».

وكما كان الآباء فى محبتهم لا يتفاخرون بالمناصب، كانوا أيضاً لا يتفاخرون بحياة القداسة.

ولا يتفاخرون ولا ينتفخون بالمواهب الإلهية ...

ولا يظهرون أمام الناس بمظهر من قد أعطاه الله ما لم يعطه لغيره. لأنه إلى جوار الكبرياء فى هذا التفاخر، فإنه يوقع الآخرين أيضاً فى صغر النفس وفى الغيرة المرة. وكل هذا ضد مشاعر المحبة الحقيقية التى تهتم بغيرها أكثر مما تهتم بنفسها ...

وهكذا نجد أن الرسل فى علو مستواهم الروحى يقولون عن أنفسهم أنهم خطاة. فالقديس بولس الرسول يقول إن «المسيح يسوع جاء إلى العالم، ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١تى ١: ١٥). ويقول «أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ولكننى رُحمت لأتبنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان» (١تى ١: ١٣).

والقديس يوحنا الحبيب يقول «إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو ١: ٨). والقديس يعقوب الرسول يقول «لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣: ١، ٢).

المحبة لا نفتخر بالمواهب، بل نستخدمها فى إتضاع لنفع وخدمة الآخرين.

هوذا القديس بطرس الرسول حينما أقام الرجل المقعد، الأعرج من بطن أمه، المستعطي عند باب الهيكل ... واندهل الناس من هذه المعجزة، قال لهم بطرس الرسول

« ما بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا، كأننا بقوتنا أو بتقوانا قد جعلنا هذا يمشى » (أع ٣ : ١٢) ... وأخذ يحول أنظارهم إلى السيد المسيح الذى أنكروه الذى بالإيمان باسمه تشدد هذا المقعد ومشى ...

الذين يتفاخرون ويتنفخون بالموهب ، لا يحبون غيرهم ، بل لا يحبون أنفسهم أيضاً ...

لأن التفاخر بالموهبة ، قد يبعدها عن صاحبها ، إن كانت موهبة حقيقية من الله . كما يدل ذلك أيضاً على أن الذى منحه الله الموهبة ، لم يستطع أن يحتملها ، فارتفع قلبه بسببها على غيره ، وبدأ يتفاخر على من لم يأخذوها . وليس فى هذا الأمر حب ، وليس فيه تواضع ، وليس فيه فهم للموهبة .

فالموهب يمنحها الله لخير الناس ، وليس للكبرياء ...

الله يمنحك الموهبة ، لكى فى محبتك للناس ، تستخدم الموهبة لخيرهم ... كمواهب الشفاء مثلاً ، أو إخراج الشياطين ... أو مواهب الذكاء والمعرفة ، التى تستخدمها فى محبة لتعليم الآخرين وهدايتهم ، وليس للتفاخر والإنتماء . وإلا فإنك تكون قد تركت الهدف من الموهبة ، وهو محبة الآخرين وخدمتهم ، وتحولت إلى التمرکز حول الذات بطريقة غير روحية ...

قلنا إن المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، بسبب علو المركز ، ولا بسبب المواهب ، ولا بسبب العقل ...

كذلك لا تتفاخر بسبب الغنى ولا التمايز المادى .

المفروض أن الغنى يستخدم غناه لخير المحتاجين ، وهكذا يكون قد أحبهم وكسب محبتهم له ... ولكن لا يتفاخر عليهم وينتفخ ، ويشعرهم بالضعة والمذلة . وإن أعطاهم ، لا يجوز أن يعطيهم بارتفاع قلب ، ولا بشعور أنه المعطى ، وأنهم منه يأخذون . فهو فيما يعطى ، إنما يتقاسم معهم مالاً ، قد أرسله الله ليتوزع فى حب ، عليه وعليهم ...

المحبة لا تمتدح

هنا ونقول : إن كان التفاخر ضد المحبة ، فكم بالأكثر التفاخر الذى يقبح غيره .

الذى يقيم مقارنة بينه وبين غيره ، فإذا به هو الأفضل ، وغيره الأدنى ، مع ذكر مساوئ هذا الغير التى هى كذا وكذا ...

إن تحقير الآخرين لا يتفق مع المحبة التى يفترض فيها أن تستر عيوب الآخرين ، لا أن تقبحهم ، أو تشهر بهم وتظهر مساوئهم ...

بل المحبة بالأكثر تدافع عن الغير ، لا أن تذمه .

عندما تزوج موسى بإمرأة كوشية ، تكلم ضده هرون ومريم أخواه ، ولم يكن فى كلامهما عليه حب له . أما الرب الذى يحب موسى ، فقد دافع عنه ، وذكر أنه أمين على كل بيته . وويخ هرون ومريم ، وعاقب مريم لأنها تكلمت على موسى بالسوء (عد ١٢ : ١ - ١٠) ... هذه هى المحبة التى لا تقبح .

مثال من سير القديسين : القديس أبنا مقار الكبير الذى ستر على الأخ الخاطيء ، وأخفى خطيته . وكذلك القديس موسى الأسود ، والقديس بيساريون ... والشرح فى هذا الموضوع يطول ...



المحبة لا تطلب ما لنفسها

(أكو ١٣: ٥)

المحبة لا تفكر في ذاتها ، ولكن فيمن تحب .

تفكر في الذي تحبه : كيف ترضيه ، وكيف تعطيه ، وكيف تريعه وتحلب السرور إلى قلبه ... وفي كل ذلك لا تطلب ما لنفسها . بل قد تبذل نفسها لأجل من تحبه ... ذلك لأنه إن كان من طبيعة الأنانية أنها تريد دائماً أن تأخذ، فإنه من صفات المحبة أنها تريد أن تعطى ...

عنصر المحبة الرئيسيان هما أن نحب الله ، وأن نحب الناس . وفي كليهما لا تطلب المحبة ما لنفسها ...

وهكذا كانت صلاة التسييح والتمجيد هي أقدس الصلوات . لأن الذات لا توجد فيها على الإطلاق، إنما الموجود فقط ، هو التأمل في صفات الله وحده . فتحن حينما نقول فيها مثلاً « قدوس قدوس رب الصباؤوت . السماء والأرض مملوءتان من مجدك » (أش ٦ : ٣) ... فإننا هنا لا نطلب شيئاً لأنفسنا . إنما من أجل محبتنا لله ، نتأمل صفاته ، وكفى ...

★ ★ ★

إذن ما هو مركز الطلب في حياة المحبة ؟ إنه :

الله أولاً ، والناس بعد ذلك . والذات آخر الكل ...

فتحن في الصلاة الربانية ، إنما نطلب ما يخص الله أولاً : « ليتقدس إسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكون مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض » ... وحينما نطلب بعد ذلك لأنفسنا ، إنما نطلب ما يخص علاقتنا بالله . فكان الله أولاً ، ثم الله ثانياً ...

وما أجل وصية السيد الرب لنا « اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره » (مت ٦ : ٣٣) ... وهل بعد ذلك نطلب ما يخصنا من أمور العالم ؟ هنا ويكمل الرب وصيته قائلاً « هذه كلها تزدادونها » أى يعطيكم الرب إياها حتى دون أن تطلبوا ...

إذن إن كنت تحب الله ، لا تجعل صلاتك كلها طلباً ...

أقصد : لا تجعلها كلها طلباً لنفسك . وكما قال القديس باسيليوس الكبير « لا تبدأ صلاتك بالطلب ، لئلا يُظن أنه لولا الطلب ما كنت تصلى » ... وإن طلبت (لأنه قال : اطلبوا تجدوا) (مت ٧ : ٧) فاطلب أولاً ملكوت الله وبره ... ثم اطلب أيضاً الخير للغير . ولتكن نفسك آخر الكل . فهذه هى المحبة ...

حقاً ، ما أجل قول المرتل فى المزمور :

« ليس لنا يارب ليس لنا . لكن لاسمك القدوس إعطِ مجداً » (مز ١١٥ : ١) .

إذن إن كنت تحب الله ، ففى كل خدمتك ، وفى كل ما تعمله ، لا تطلب الكرامة لنفسك . وإنما لتكن كل الكرامة لله . كما قال القديس يوحنا المعمدان « ينبغي أن ذلك يزيد ، وأنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٣٠) . وكل الخير الذى تفعله ، ليكن ذلك لمجد الله ، إن كنت تحب الله . كما قال الرب فى العظة على الجبل « لكى يروا أعمالكم الحسنة ، فيمجدوا أبائكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

من أجل محبة الله ، قام الآباء والرسل برسالتهم ، ولم يطلبوا ما لأنفسهم ، بل على العكس دفعت أنفسهم الثمن ...

من أجل محبة الله ، شهد المعمدان للحق ، وقال لهيرودس الملك « لا يحق لك أن تأخذ امرأة أخيك » (مت ٤ : ٣ ، ٤) . فهل فى ذلك كان يطلب ما لنفسه ؟ كلا ، بل إن نفسه قاست بسبب ذلك ، إذ القى فى السجن ، ثم قُطعت رأسه .

وكل الشهداء والمعترفين ، لم يطلبوا ما لأنفسهم ، بل فى محبتهم لله تعرضوا لكل ألوان التعذيب ، ثم الموت أيضاً ...

وهكذا كان الكارزون . ولناخذ القديس بولس الرسول كمثال :

وهو شاول الطرسوسى كانت له سلطة ونفوذ ، ويستطيع أن « يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ، ويسلمهم إلى السجن » (أع ٨ : ٣) . ولكنه لما دخل إلى الإيمان ، وخسر كل الأشياء وهو يحسبها نفاية لكي يربح المسيح ويوجد فيه (في ٣ : ٨ ، ٩) ، حينئذ - في محبة للرب - ما كان يطلب مطلقاً ما لنفسه . بل صار هو يحتمل السجن والهوان .. جلدوه خمس مرات ، وثلاث مرات ضُرب بالعصى . وهو يخدم الرب ويقول عن خدمته هو وكل معاونيه « في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام لله ، في صبر كثير... في شدائد في ضرورات ، في ضيقات في ضربات ، في سجون في اضطرابات في أتعاب ، في أسهار في أصوام... » (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) . « بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار في المدينة ، بأخطار في البرية ، بأخطار في البحر ، بأخطار من أخوة كذبة... في تعب وكد ، في جوع وعطش ، في برد وعرى » (٢كو ١٢ : ٢٤-٢٧) .. ولماذا كل هذا العناء ؟ إنه من أجل محبة الله ، ومحبة ملكوته وإنجيله . والمحبة لا تطلب ما لنفسها ...

إنه لم يطلب ما لنفسه ، لأن نفسه قد ماتت مع المسيح (٢كو ٤ : ١١) ، (١٢) . وهكذا يقول « مع المسيح صُلبت ، لأحيا لا أنا بل المسيح الذى يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) .

حقاً ، ما أعجب وما أعمق عبارة « أحيا ، لا أنا ... » .

إن المحب الذى لا يطلب ما لنفسه ، لا يجد تعبيراً أعمق من كلمة « لا أنا » . هذه هى خدمة الحب ، التى لا تطلب لنفسها راحة ولا مجداً . خدمة الذى لا يعطى لعينيه نوماً ، ولا لأجفانه نعاساً ، إلى أن يجد موضعاً للرب (مز ١٣٢ : ٤) .

إنها خدمة الذى يجد متعة في أتعاب الخدمة ، وليس في أيجاد الخدمة ! الذى لا يبحث في الخدمة عن ذاته ، في مجال الرئاسة أو السلطة أو الظهور... وهكذا فإن الخدام الذين فشلوا ، هم الذين اهتموا بذواتهم أكثر من اهتمامهم بالملكوت ...

وعبارة (لا أنا) ، يمكن أن تطلق في الروحيات الخاصة :

فالذى يحب الله ، يقول له « لتكون لا مشيتى بل مشيتك . أنا لست أطلب شيئاً

لذاتى ، بل أسلمها تسليماً كاملاً ليديك ، وأنساها هناك ، ولا أطلب إلاك أنت ، وليس سواك ... ولهذا قال السيد المسيح « إن أراد أحد أن يأتى وراثى ، فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤) . وإنكار الذات يعنى أنه لا يطلب ما لنفسه .

إن الذات هى أكثر ما يضر الإنسان .

لا يضره العالم ولا المادة ، ولا الجسد ، ولا الشيطان ، بقدر ما تضره ذاته ، إن كان يطلب فى كل حين ما يرضيها . إن كانت هذه الذات ، كلما تطلب ما لنفسها تبعده عن محبة الله . وهكذا لخص السيد الرب كل حياتنا على الأرض فى عبارة واحدة خالدة ، قال فيها :

« من وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجل يمجدها » (مت ١٠ : ٣٩) . إن كان الإنسان يطلب ما لنفسه ، فإنه يضيعها . لأنه يركز حول الذات ، وليس حول الله ومحبه .

ولننظر إلى آباءنا الرهبان والنسك .

الذين سكنوا الجبال والبرارى وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح ... إنهم لم يطلبوا أبداً ما لأنفسهم . بل تركوا المال والأهل والوظائف وكل المتع الأرضية . وعاشوا منسيين ، بلا طعام بلا راحة ، لا يطلبون سوى الله ، الذى صار لهم هو الكل فى الكل ...

هؤلاء الرهبان ، صلت عليهم الكنيسة صلاة أموات ، لأنهم ماتوا عن العالم وكل ما فيه . وما عادوا يطلبون منه شيئاً لأنفسهم . أتراهم ضيعوا أنفسهم ، أم وجدوها ... ! ولكن لماذا نتكلم عن الرهبان وحدهم ، فلنتكلم أيضاً عن الذين عاشوا فى رفاهية العالم ، ولكن لأجل محبة الله تركوا كل شيء .

موسى النبى لم يطلب ما لنفسه ، بل يبدو أنه أضاعها .

كان أميراً وقائداً « ابن ابنة فرعون » وكانت أمامه كل خزائن فرعون . ومع ذلك

« فضل أن يذل مع شعب الله ، عن أن يكون له تمتع وقتى بالخطية » (عب ١١) .
وماذا كانت تلك الخطية سوى تمتعه بحياة القصر ، وشعبه مرهق بالعبودية !
لذلك ترك كل شيء ، القصر ، والإمارة ، والعظمة ، والمال ، ولم يطلب لنفسه شيئاً . لذلك رفع الله موسى وجعله سيداً لفرعون .

مثال آخر هو إبراهيم أبو الآباء .

قال له الرب « أترك أهلك وعشيرتك وبيت أبيك ، واذهب إلى الجبل الذى أريك » (فلم يطلب لنفسه أهلاً ولا وطناً ، إنما طلب طاعة الرب وحده . ثم قال له الرب « خذ ابنك وحيدك ، الذى تحبه نفسك ، اسحق ، وقدمه لى محرقة على الجبل الذى أريك إياه » ! ومرة أخرى لم يطلب إبراهيم ما لنفسه ، ولو كان ابنه الوحيد ، وأخذ ابنه ليذبحه ... تكفيه محبة الله التى تسعد نفسه ...

فلنتناول أيضاً هذه الوصية « المحبة لا تطلب ما لنفسها » فى الحياة الاجتماعية ، وحياة الأسرة الواحدة .

تعيش الأسرة سعيدة ، إن كان الزوج لا يطلب ما لنفسه ، طاعة وسيطرة ، إنما يطلب سعادة زوجته وأولاده ، معتبراً أن هذه هى رسالته فى حياته الزوجية . وكذلك الزوجة إن اعتبرت رسالتها أن تسعد هذا الزوج ، دون أن تطلب ما لنفسها مالأً ورفاهية وحرية . كذلك إن جعلت رسالتها أن تتعب من أجل راحة أولادها . وكذلك أيضاً الأبناء إن كانوا فى محبتهم للأب والأم لا يرهقانهما بكثرة الطلبات ، ولا بالمخالفة . ولا يطلبون ما لأنفسهم إلا فى حدود قدرة الأسرة ...

وفى الحياة الاجتماعية : الذى لا يطلب ما لنفسه ، يقدم غيره فى الكرامة ، ويتخذ المتكأ الأخير .

كما قال القديس بولس الرسول « مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة » (رو ١٢ : ١٠) . ليس فقط تنفيذاً لوصية الإلتضاع ، بل بالأكثر عن حب . إذ يحب غيره ويفضله على نفسه ، فيقدمه فى الكرامة على نفسه ، ويسعد إذ يجده مكرماً ...

وإذ يأخذ المتكأ الأخير (لوقا : ١٤ : ١٠) ، إنما يسعد بأن يترك المتكآت الأولى لغيره ،
من أجل محبته لهم ...

وفي كل ذلك ، وبسبب محبته للآخرين ، فإنه لا ينافس أحداً ، ولا يخاصم أحداً
من أجل شيء عالمي ، ولا يزاحم الآخرين في طريق الحياة ، بل يترك الفرصة للغير أن
يأخذ وينال ما يريد ، دون أن يطلب ما لنفسه ...

وتظهر وصية « المحبة لا تطلب ما لنفسها » في مجال العطاء أيضاً .

فالذي يدفع العشور والبكور ، ليس فقط ينفذ وصية الله ، بل بالأكثر من أجل
محبته للفقراء يفضلهم على نفسه ، مهما كان محتاجاً للمال . بل أنه يدفع أكثر من هذا ،
بل يعطى من احتياجاته الخاصة . مثال ذلك تلك الأرملة التي أعطت من أعوازاها ،
ووضعت في الخزينة فلسين هما كل ما كانت تملك . ولهذا استحققت الطوبى من فم
الرب ، وتسجل عطاؤها في الإنجيل (مر ١٢ : ٤٢ - ٤٤) .

هكذا أرملة صرفة صيدا ، التي لم تطلب ما لنفسها في وقت المجاعة . وأعطت كل
ما عندها من زيت ودقيق لإيليا النبي (١ مل ١٧) فاستحققت بذلك أن يباركها الرب
ويبارك خيراتها طول زمن المجاعة .

في العطاء والبذل ، لا يطلب الإنسان ما لنفسه ، بل إنه يبذل كل شيء حتى
نفسه ، ويعطى غير ناظر مطلقاً إلى احتياجاته الخاصة . لأنه في محبته للغير ، يركز كل
اهتمامه على احتياج الغير ، وليس على ما يطلبه هو لنفسه . لذلك فهو يعطى ليس فقط
من ماله ، بل راحته أيضاً وصحته ...

انظروا إلى السيد المسيح ، وكيف أنه لم يطلب ما لنفسه .

بل من أجل محبته للبشر « أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد » (في ٢ : ٧) . وابتعد
عن كل مجد عالمي . ولم يكن له أين يسند رأسه (لوقا : ٩ : ٥٨) . وكذلك لم يطلب ما
لنفسه ، حينما انحنى وغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣) ، وحينما بذل ظهره للسياط ، ثم
صعد على الصليب ، ولم يدافع عن نفسه . وبذل حياته عنا ، البار لأجل الأثمة ...
« وبيّن محبته لنا . لأنه ونحن بعد خطاة مات لأجلنا » (رو ٥ : ٨) .

والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها ، تحتمل وتغفر .

ولكنى أود أن أؤجل هذه النقطة إلى موضع آخر . حيث أن الحديث عنها قد يطول ، وليس مجاله الآن . ويكفى أن الإنسان الذى يحب ، يمكنه فى محبته لغيره أن يتنازل عن حقوقه ، وأن يحتمل ويغفر...

الذى يحب ، لا يطلب ما لنفسه .

والذى لا يطلب ما لنفسه ، يستطيع أن يحب .

فإن كنت لا تطلب ما لنفسك ، يمكنك أن تتعب من أجل الله والناس ... تتعب فى الصلاة ، فى الصوم ، فى السهر ، فى الخدمة . لأنك لا تفكر فى راحتك وصحتك ، إنما تفكر فى الله وملكوته ، وتفكر فى خير الناس وخلاصهم ... وهكذا تحب الله والناس ، ويحبك الله والناس . لأنك لا تقول : ذاتى وصحتى وراحتى . إنما تقول ملكوتك يارب ، وكنيستك وشعبك . بل تقول محبتك يارب وعشرتك قبل كل شيء ...

بقى أن نقول نقطة ختامية وهى :

إن الذى يطلب ما لنفسه ، إنما يضيع نفسه .

كالرجل الغنى الغبى ، الذى قال « أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها ... وأقول لك يا نفسى خيرات كثيرة لسنوات عديدة » ... هذا الغبى ضيع نفسه . وقال له الصوت الإلهى : فى هذه الليلة تؤخذ روحك منك ، فالذى أعدده لمن يكون ؟! » (لوقا ١٢ : ١٨ - ٢٠) .

كذلك داود النبى ، لما طلب المتعة لنفسه ، أضاع نفسه ، لولا رحمة الله التى اقتادته إلى التوبة ، مع عقوبة شديدة فرضت عليه (٢ صم ١١ ، ١٢) .

المحبة لا تحتد ، ولا تقضى السوء ولا تفرح بالذم ، بل تفرح بالحق

المحبة لا تحتد

الذى يحب ، لا يحتد على من يجه . أى لا يغضب عليه ، ولا يثور ، ولا يعامله بحدة ، أى بشدة وعنف . بل على العكس يعامله بوداعة ، وبحب ، وطيبة قلب .
وحسناً قال القديس بولس الرسول عن المحبة إنها لا تحتد ، بل قوله إنها لا تطلب ما لنفسها .

فطبيعى أن الذى يطلب ما لنفسه ، لا يحتد . إنما يحتد الذى يطلب لنفسه كرامة ومعاملة خاصة ، ولا يجد ذلك . ويحتد الذى يطلب لنفسه طاعة وخضوعاً ، ولا يُعامل هكذا . أما إن كان لا يطلب لنفسه شيئاً من هذا كله وأمثاله ، فطبيعى أنه لا يحتد .

كذلك فإن الاحتداد لا يتفق مع الصفات الأخرى للمحبة :

فمادامت المحبة «تتأنى وتترفق» ، فإنها بالتالى لا تحتد . لأن الحدة ضد الرفق . والذى يتأنى ويطيل أناته ، فإنه لا يحتد . مادامت المحبة «لا تنتفخ ولا تتفاخر» فطبيعى أنها لا تحتد . كذلك مادامت المحبة «لا تقبح» فإنها لا تحتد . لأن الإنسان يحتد بسبب ما يراه قبيحاً أمامه . كذلك مادامت «تصدق كل شيء» ، وتصبر على كل شيء» فإنها لا تحتد . لأن الحدة لا تتفق مع الصبر . ومادامت تصدق من تحبه ، فلماذا إذن تحتد عليه ؟!

وهكذا نجد أن صفات المحبة تنفق مع بعضها البعض ...

والإنسان بطبيعته قد يحتد على عدو، أو على مخالف ومعارض، أو على مقاوم أو عنيد. ولكنه لا يحتد على حبيب. حتى إن أخطأ، يميل إلى مسامحته والتغاضي عن أخطائه. وكما يقول المثل العامي «حبيبك يبلع لك الظلط» أو كما يقول الشاعر عن نفس هذا المعنى:

عين الرضا عن كل عيب كليله
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وأعظم مثل للمحبة التي لا تحتد، الله تبارك وإسمه.

الله مثل للمحبة التي لا تحتد، الذي قيل عنه في المزمور إنه «لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا» بل أنه «كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٠، ١٢)...

الله الذي قال عنه يوثيل النبي إنه «رؤوف رحيم، بطيء الغضب وكثير الرأفة» (يوه ٢: ١٣). وقال عنه يونان النبي إنه «بطيء الغضب كثير الرحمة» (يون ٤: ٢) ... وهكذا قال أيضاً داود إنه (رؤوف وطويل الروح وكثير الرحمة) (مز ١٠٣: ٨).

إنه الله الذي لم يحتد على أحياء كلموه بأسلوب يبدو شديداً.

لم يحتد على حبيبه ابراهيم حينما قال له «حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر تبيت البار مع الأثيم... حاشا لك. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟!» (تك ١٨: ٢٥).

بل لم يحتد أيضاً على حبيبه أيوب حينما قال له «لا تستذنبني. فهمني لماذا تخاصمني؟ أحسن عندك أن تظلم؟! أن ترذل عمل يديك، وتشرق على مشورة الأشرار» (أى ١٠: ٢، ٣) «كف عني، فأبتلع قليلاً» (أى ١٠: ٢٠) «ماذا أفعل لك يا رقيب الناس. لماذا جعلتني عاثراً لنفسك» (أى ٧: ٢٠).

ولم يحتد الرب أيضاً على حبيبه موسى حينما قال له «ارجع يارب عن حو غضبك، اندم على الشر» (خر ٢٣: ١٢). إنما استجاب له ولم يفن الشعب في عبادته

ولم يحتد الرب على أحياء له وقعوا فى أخطاء شديدة :

لم يحتد على تلميذه بطرس الذى أنكره ثلاث مرات ، بل كلمه بلطف بعد القيامة ، ورفع روحه المعنوية بقوله له « ارفع غمى . ارفع خرافى » (يوحنا : ٢١ : ١٥ - ١٧) .

ولم يحتد على تلميذه توما الشكاك الذى قال له « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع أصبعى فى أثر المسامير ، واضع يدي فى جنبه لا أؤمن » (يوحنا : ٢٠ : ٢٥) . إنما ظهر له الرب ، وحقق له ما أراد دون أن يحتد عليه . وقال له فى رفق « لا تكن غير مؤمن ، بل مؤمناً ... »

ومن قبل الصلب ، لم يحتد على التلاميذ الذين لم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة فى أشد الأوقات . بل فى رقة أوجد لهم عذراً بقوله « أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف ... ناموا الآن واستريحوا » (متى : ٢٦ : ٤١ ، ٤٥) .

فعل الرب هذا لأنه يحبهم ، والمحبة لا تحتد .

توجد أمثلة أخرى لهذه القاعدة فى حياة القديسين .

منها موسى النبى ، الذى لم يحتد على هارون ومريم لما تكلموا عليه فى زواجه بالمرأة الكوشية ، إذ « كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عدد : ١٢ : ٣) ... بل أنه لما عاقب الرب مريم بسبب جرأتها على موسى ، تشفع فيها موسى وطلب من الرب مسامحتها (عدد : ١٢ : ١٣) . هذه هى المحبة التى ليس فقط لا تحتد بل تشفع .

مثال آخر هو داود النبى فى معاملته لأبشالوم .

أبشالوم الذى خان أباه داود ، وأساء إليه ، وقاد جيشاً ضده ليستولى على ملكه ... لم يحتد عليه داود ، بل قال لرجال جيشه « ترفقوا بالفتى أبشالوم » (٢ صم : ١٨ : ٥) .

ولما انتصر جييش داود، كان كل هم من بشروه بالانتصار «أسلام للفتى أبشالوم» (٢صم ١٨ : ٢٩ ، ٣٢) . ولما علم بموته ، بكى عليه وأبكى الشعب كله .
مثال آخر هو أبونا اسحق الذى لم يتحد على يعقوب لما خدعه .

خدع يعقوب أباه وقال له «أنا عيسو بكرك» (تك ٢٧ : ١٩) . ونال البركة بمكر . ولما عاد عيسو ، واكتشف اسحق الخدعة ، لم يتحد على يعقوب ، بل قال «نعم ، يكون مباركاً» (تك ٢٧ : ٣٣) ... إنها المحبة التى لا تتحد .

يذكرنا هذا كله وغيره بمحبة الأم لطفلها ورضيعها .

ما أكثر ألوان الإزعاج التى يسببها الرضيع لأمه بحيث لا تعرف معنى الراحة والنوم ، ولكنها لا تتحد عليه لأنها تحبه . وقد خلقها الله بهذه المحبة التى لا تتحد عليه لأنها تحبه . وقد خلقها الله بهذه المحبة التى لا تتحد (بالنسبة إلى رضيعها) لكى يمكنها أن تهتم به وتربيته ...

المحب لا يتحد على حبيبه ، لأنه يود الاحتفاظ بمحبته .

لا يريد أن يفقد محبته ، أو أن يعكر جوها بالحدة . وكذلك لأنه يحبه ، فلا يريد أن يחדش شعوره بأى لون من الاحتداد . وأيضاً لأنه يأخذ كل تصرفاته بحسن نية ، ولا يظن به سوء ، لأن المحبة لا تظن السوء .

لا تظن السوء

المحبة لا تظن السوء ، فلا تتحد .

حتى فى الأخطاء الواضحة ، لا ترى أن من ورائها قصداً سيئاً ، ربما تعزوها إلى جهل أو عدم الفهم ، أو لنية طيبة ... المحبة تعيش مع من تحبه فى جو من الثقة ، لا تشك فى تصرفاته ولا فى نواياه ، مهما بدا التصرف غريباً .

السيد المسيح لم يفقد الثقة فى محبة تلاميذه على الرغم من أخطائهم .

ناموا فى بستان جثسيمانى وقت جهاده . وهربوا وقت القبض عليه ، واختفوا فى

العلية خائفين من اليهود . وشكوا في قيامته . ولم يصدقوا المجدلية ولا تلميذى عمواس (مر ١٦ : ٩ - ١٢) . كذلك لما تحدث النسوة عن القيامة «تراءى كلامهن لهم كالهذيان، ولم يصدقوهن» (لوقا ٢٤ : ١١) . وعلى الرغم من كل ذلك بقيت محبة السيد الرب لهم كما هى . ولم يحط اخلاصهم بشيء من سوء الظن ، حسبما يحكم الآخرون... ! (طبعاً بالنسبة للسيد المسيح لا نستعمل عبارة الظن ، لأن كل معرفته يقينية . لكن نقول إن ثقته فيهم بقيت كما هى ، على الرغم من سوء موقفهم وكثرة أخطائهم) .

ونحن في علاقتنا مع الرب نفعل هكذا .

مهما أصابتنا التجارب والضيقات والأحزان من كل ناحية ، لا نشك في محبة الله لنا ، ولا نظن السوء كأن الله قد تخلى عنا ، بل نقول في ثقة « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) . جاعلين أماننا قول القديس يعقوب الرسول « احسبوه كل فرح يا اخوتى ، حينما تقعون في تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) .

وبالمثل في علاقتنا مع الآباء الروحيين والجدسين .

لا نظن السوء في أى أمر منهم أو أى تصرف ، مهما بدا لنا غريباً . إنما نقول لعل هناك حكمة وراء ذلك لا ندركها الآن . وهكذا نفعل مع اخوتنا ومع زملائنا في الخدمة ، لأن المحبة لا تظن السوء .

وبهذا المبدأ يسود السلام في الأسرة وفي المجتمع .

لأن ظن السوء ، بالإضافة إلى كونه ضد المحبة والثقة ، فإنه يشيع الشك والتخوف ، مما يسبب تفكك العلاقات ، وعدم القدرة على التعاون ، وكذلك عدم تصديق أية كلمة ، والشك في أى تصرف ، كما قد يحمل لوناً من الظلم للآخرين وقد يكونون أبرياء .

عدم السوء ، وهو من صفات المحبة ، يعطى شعوراً بالأمان والاطمئنان .

ننتقل إلى صفة أخرى من صفات المحبة وهى :

المحبة لا تفرح بالإثم ، بل تفرح بالحق .

لا تفرح بالإثم

إن العدو الذى يشمت فى عدوه، ويفرح بما يحل به من ظلم، أو ما يرتكبه من إثم يسئ إليه. ولكن المحب ليس هكذا. إنه يعامل حتى العدو بمحبة حسب وصية الرب «أحبوا أعداءكم» (مت ٥ : ٤٤). ويضع أمامه قول الكتاب :

« لا تفرح بسقوط عدوك ، ولا يبتهج قلبك إذا عثر » (أم ٢٤ : ١٧).

وإن يعقوب لم يفرح ، لما انتقم شمعون ولاوى من شكيم لما أذل اختهما دينة ، وقال لهما « كدرتما » (تك ٣٤ : ٣٠). وداود النبى لم يسرّ بمن بشره بموت أبشالوم ، بل بكى (٢ صم ١٨) ... عموماً الشماتة شيء ردىء .

على أن عبارة « المحبة لا تفرح بالإثم » ، توجد فى بعض الترجمات هكذا « المحبة لا تفرح بالظلم » .

فإن تعرض عدوك لظلم ، لا تفرح بهذا ، لأنه شماته .

لئلا يرى الرب ذلك فيستاء . بل إن استطعت أن تنقذ عدوك إذا سقط ، يكون هذا نبلاً منك ومحبة ... إن السامرى الصالح ، لما رأى يهودياً من أعداء جنسه ، وقد اعتدى عليه اللصوص وتركوه بين حيّ وميت ، لم يفرح بأذيته ولا بالظلم الذى وقع عليه ، بل فى محبة عاجله وأنقذه (لو ١٠ : ٢٣) .

المحبة تفرح بالحق ، لأنه يوافق مشيئة الله .

لذلك سرّها أن كل إنسان ينال حقه ، ولا يحقّ به ظلم ، حتى إن كان عدواً لذلك فالإنسان المحب يدافع عن المظلومين ، ولو كانوا من خصومه أو مقاوميه .

ويمكن أن نأخذ هذه الوصية من جهة محبتنا لله .

فإذا نحن أحببنا الله ، لا نفرح بالإثم ، بل نفرح بالحق . لأن الإثم عداوة لله الذى نحبه . والحق هو الله . وقد قال الرب « وتعرفون الحق والحق يحرككم » (يو ٨ : ٣٢) . ففى محبتنا لله ، لا بد أن نلتصق بالحق . ولذلك فإن الذى يدافع عن الباطل ، ولو باسم الشفقة ، هو بعيد عن الحق ، وبالتالي هو بعيد عن الله ...

المحبة تحتل كل شيء وتصير على كل شيء (كو ١٣: ٧)

المحبة تحتل وتصير

لست أريد في هذا المقال أن أحدثكم عن الاحتمال بصفة عامة . فلاحتمال موضوع طويل ، وله أسباب عديدة . فهناك من يحتمل بسبب الوداعة والهدوء . وهناك من يحتمل بسبب إتضاع قلبه ، أو بسبب الحكمة ويتجنب عواقب الأمور . أو لأسباب أخرى . ولكن موضوعنا الآن هو الاحتمال بسبب المحبة ... المحبة التي تحتل كل شيء ...

* * *

الذى يحب شخصاً ، يكون مستعداً أن يحتمل منه ، وأن يحتمل من أجله .

أبونا يعقوب أبو الآباء احتمل الكثير من أجل محبته لراحييل . أحتمل أباه ، الذى غير أجرته عشر مرات ، واحتمل سنوات طويلة يخدمه فيها ، قال عنها « كنت في النهار يأكلنى الحجر ، وفي الليل الجليد . وطار نومى من عينى » (تك ٣١ : ٤٠) . ويقول الكتاب « فخدم يعقوب براحييل سبع سنين . وكانت في عينيه كأيام قليلة ، بسبب محبته لها » (تك ٢٩ : ٢٠) .

أيضاً يونانان احتمل كثيراً من أجل محبته لداود .

احتمل غضب أبيه الملك شاول ، وتوبيخه له بكلام قاس بسبب دفاعه عن داود ، حتى أن شاول ألقى رجه نحو يونانان ليقتله (صم ٢٠ : ٣٠ ، ٣٣) .

* * *

ومن أمثلة المحبة التى تحتمل ، احتمال الشهداء والنساك من أجل محبتهم لله . وكذلك أيضاً الأنبياء والرسل .

الشهداء احتملوا السجن والعذابات التى لا تطاق ، ثابتين فى محبة الله ، رافضين أن ينكروه إلى أن قطعت رقابهم . ومن أجل محبة الله ، احتمل الثلاثة فتية القاءهم فى أتون النار ، واحتمل دانيال أن يُلقى فى جب الأسود (د ٣١ ، ٦) .

ومن أجل محبة الله ، احتمل الرهبان والسواح والنساك أن يعيشوا فى البرارى والقفار وشقوق الأرض ، بعيداً عن كل عزاء بشرى ، فى شطف الحياة زاهدين فى كل شئ .

ومن أجل محبة الله ونشر ملكوته ، احتمل الرسل ألواناً من الأتعاب فى كرازتهم « فى صبر كثير ، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات ، فى ضربات فى سجون ، فى اضطرابات فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ... » (٢ كو ٦ : ٤ ، ٥) .

ومن أمثلة المحبة التى تحتمل ، محبة الأمومة والأبوة .

محبة الأم التى تحتمل متاعب الحمل والولادة والرضاعة ، ومتاعب الصبر فى تربية الطفل والعناية به ، فى غذائه وفى نظافته ، وفى الاهتمام بصحته ، وفى تعليمه النطق والكلام ، وفى الصبر على صراخه وصياحه وعناده ... إلى أن يكبر .

وكذلك تعب الأب فى تربية أبنائه ، واحتمال مشقة العمل بكافة الطرق للإنفاق عليهم وتوفير كافة احتياجاتهم .

ومن أمثلة المحبة التى تحتمل ، محبة الجنود لوطنهم .

فمن أجل وطنهم الذى يحبونه ، يحتملون مشاق التدريب والحرب ، والتعرض للموت أو للإصابة ، وربما يحتملون فقد بعض أعضائهم ، مع جروح أو تشوهات .

ونفس الوضع نقول على ما يتحمله الشرطة لحفظ الأمن .

كل هذا عن المحبة من أجل الغير ، المحبة التى لا تطلب ما لنفسها ، وإنما ما للغير ... أيضاً كمثال رجال المطافى ، وفرق الإنقاذ على تنوع تخصصاتها ...

ننتقل إلى الحديث عن محبة الغير واحتمال تصرفاتهم .

المحبة التى تحتمل الغير وتغفر له ، والتى تحول الخلد الآخر لمن يضرب اللطمة الأولى . المحبة التى تحتمل الإساءة ، ولا ترد بالمثل ... والمحبة لا تشكو من السوء ولا تشهر به ... وتنسى الإساءة ، ولا تحزنها فى ذاكرتها . كما يفعل البعض - لشهور وسنوات ... المحبة التى لا تقول : هذه حقوقى وهذه كرامتى .

المحبة التى تحتمل ، هى محبة صاحب القلب الكبير الواسع .

* * *

القلب الذى يحتمل العتاب ولا يتضايق . وكما قال أليفازا التيمانى « إن إمتحن أحد كلمة معك ، فهل تستاء » (أى ٤ : ٢) ... تحتمل العتاب ، حتى لو كان بكلمة صعبة . وتحتمل حتى الفكاهة ولو كانت بأسلوب يبدو فيه التهكم ...

على أن يكون الإحتمال فى غير ضجر ولا تدمير ولا ضيق .

بل بصدر رحب ، وروح طيبة ، غير متمرکز حول ذاته وحول كرامته . إن صفات المحبة التى ذكرها القديس بولس الرسول ترابط معاً . فطبيعى أن المحبة التى لا تطلب ما لنفسها ، سوف لا تطلب كرامة لذاتها ، وبالتالي ستحتمل كل شيء . كذلك فإن المحبة التى لا تحتد ، سوف تحتمل . وأيضاً التى لا تتفاخر سوف تحتمل ...

* * *

بعض الناس لا يحتملون الذين لا يفهمونهم .

ومن هنا كانت مشكلة الأذكياء مع الجهلاء أو الأقل فهماً ، أو مع الطبقات الجاهلة . لذلك يبعد مثل هؤلاء عن كثير من الناس . وقد لا يحتمل الواحد منهم طول الوقت فى إقناع غيره ، فيبعد عنه . ولو كان فى قلبه حب نحوه لأطال أناته عليه ، لأن « المحبة تتأنى » . وأيضاً كان يصبر لأن المحبة تصبر . وهكذا يضم إليه هذا الجاهل ويحتمله ، ويرجونه خيراً . وهكذا مع الأطفال ...

* * *

القلب الضيق الخالى من الحب ، هو الذى لا يحتمل الآخرين :

وهكذا قال بولس الرسول لأهل كورنثوس « فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون . قلبنا متسع . لستم متضيقين فينا ، بل متضيقين فى أحشائكم ... لذلك أقول كما

لا ولادى : كونوا أهتم أيضاً متسعين » (٢ كور : ١٢ ، ١٣) .

القلب المتسع يستطيع أن يحتمل الناس .

كن إذن متسع في قلبك وفي صدرك وفي فهمك . ولا تتضايق بسرعة . وأعرف أن المجتمع فيه أنواع متعددة من الناس . وليسوا جميعاً من النوع الذى تريده . يوجد فيهم كثيرون لم يصلوا بعد إلى المستوى المثالى ، ولا إلى المستوى المتوسط . وعلينا أن نحبههم جميعاً . وبالمحبة نزل إلى مستواهم لترفعهم إلى مستوى أعلى . نتأنى ونتفرق عليهم ، ونحتمل كل ما يصدر من جهالاتهم ، ونصبر عليهم حتى يصلوا ...

لا تقل « الناس متعبون » بل بمحبتك تعامل معهم ، وحاول أن تصلح من طباعهم .

ولو كنت لا تتعامل إلا مع المثاليين ، فعليك أن تبحث عن عالم آخر تعيش فيه . في إحدى المرات قال لى شخص « أنا لم أعد أحتمل (فلان) إطلاقاً ... إنه شخص لا يطاق لا يمكن احتماله » !! فقلت له « وكيف إذن احتمله الله منذ ولادته حتى الآن ؟! وكيف احتمل غيره وأمثاله منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ؟! حقاً إن هذا لعجيباً » !

وقال لى آخر : (فلان) يقول الكلمة ويرجع عنها . فكيف يمكن أن أعاشره . إن عشرته لا تحتمل .

فقلت له . وكم مرة تعهدنا لله بشيء ، ورجعنا فى كل تعهداتنا ؟! وكم مرة وعدناه ولم نفِ بوعودنا ، واحتملنا !!

كم مرة فرعون وعد أن يطلق الشعب إن رُفعت عنه الضربة . ويرفع الله الضربة ، ولا يفى فرعون بوعده . ثم يعود الله فيحتمله فى وعد آخر !! (خر ٨ - ١٠) . بينما الله كان يعرف مسبقاً أن فرعون سوف لا يفى بوعوده .

وما لنا فرعون . كم مرة نذرنا لله ولم نفِ . وكان الله يعرف ذلك . ومع ذلك حقق لنا ما نطلبه فى نذرنا !!

فإن كان الله يحتملنا في كل هذا ، فلماذا لا نحتمل غيرنا ؟!
وكم مرة قدمنا لله توبة كاذبة . وكان الله يقبل اعترفنا وتوبتنا ، ويسمح لنا بالتناول
من الأسرار المقدسة . ثم نعود إلي خطايانا السابقة !! ويحتملنا الله ويطيل أناته علينا ،
حتى نتوب مرة أخرى ...

كم مرة يأتي موعد الصلاة ، فتقول ليس لدينا وقت نصلي فيه . يقول التراب والرماد
للخالق العظيم : ليس لدي وقت أكلمك !! ويحتمل الله عبده ... وكأنه يقول له : إن
وجدت وقتاً أفكرني !

حقاً ليتنا نتعلم دروساً من معاملة الله ونحتمل الناس .
نحتملهم كما يحتملنا الله . ونحتملهم لكي يحتملنا الله . لأنه يقول { بالكيل الذي
تكيلون ، يكال لكم ويزاد } { مت ٧: ٢ } { مر ٤: ٢٤ } .

بل تذكر كيف أحتمل الرب عذابات الصليب والإهانات السابقة للصليب ،
والتحديات المصاحبة للصليب التي تقول { لو كنت أبن الله أنزل عن الصليب وخلص
، نفسك } { مت ٢٦: ١٥ } . ولكنه أحتمل الاستهزاء ولم يتزل ، بسبب محبته لنا ،
لكي يخلصنا . ونحن نقول له في القداس الإلهي :

{ احتملت ظلم الأشرار } { وأحب أن أضيف إليها : واحتملت ضعف الأبرار
احتمل ظلم الأشرار الذين صلبوه ، واحتمل ضعف الأبرار الذين هربوا وتركوه .
احتمل من أنكره ، ومن شك فيه . ومن قال لا أؤمن إن لم أضع إصبعي موضع
المسامير ... حقاً أن الحجة تحتمل كل شيء .

إن المسيح علي الصليب احتمل وحمل . احتمل كل التعيرات والعذابات ، وحمل جميع
خطايا الناس منذ بدء الخليقة إلي آخر الدهور . فليتنا نحتمل نحن أيضاً أخطاء المسيئين
ألينا ، ونحتملها في حب .

هذا كله من جهة الناس . فماذا عن العلاقة بالله ؟

الذى يحب الله ، لا يتضايق من انتظار الرب ، بل يحتمل .

قد يصلى ، ولا يجد أن الصلاة قد استجيبت ، فلا يشك في محبة الله . ولا يظن أن الله قد نسيه ، بل يحتمل هذا (التأخر) في الاستجابة ، أو ما يظنه تأخراً ! لأن الله يعمل دائماً في الوقت المناسب ، حسب حكمته ...

لذلك ما أعجب أبانا ابراهيم ، الذى ينطبق عليه قول الرسول « المحبة تصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » . لقد وعده الله بنسل ، ومرّ على ذلك أكثر من عشرين عاماً ، دون أن تلد سارة . ولكن ابراهيم كان لا يزال يرجو ما وعده به الرب وصدقه ومازال يرجوه . وولد له الابن بعد ٢٥ عاماً من وعد الله . جميل قول المزمور :

« انتظر الرب . تقوّ وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ١٤) .

* * *

حقاً إن المحبة التى تصدق وعود الله ، تستطيع أن تصبر على كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتنتظر الرب . وأيضاً تحتمل ، مهما طال الوقت . كما قال المرتل « انتظرت نفسى الرب ، من محرس الصبح حتى الليل » (مز ١٣٠) .

القلب الواسع المحب ، يستطيع أن يصبر وينتظر . أما القلب الضيق أو الذى محبته قليلة ، فهذا يتضجر . يريد أن يطلب الطلب ، ويناله فى التو واللحظة ...

* * *

كذلك الإنسان المحب لله يحتمل التجارب والمشاكل .

ولا تتزعزع محبته لله مهما طال وقت التجربة ، أو ازدادت حدتها . بل يقول فى ثقة « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) . وكما قال القديس يعقوب الرسول « احسبوه كل فرح يا أخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) . إن المحبة تحتمل كل شيء ، فى ثقة وفى غير تذمر . ولا تتعجل حل المشكلات ، بل تنتظر الرب وتصبر . وتعطى المشكلة مدى زمنياً يحلها الله فيه ، فى الوقت الذى يراه مناسباً ، وبالطريقة التى يراها مناسبة .

* * *

والإنسان المحب لله ، يحتمل الضيقات المادية .

ويقول مع القديس بولس الرسول « قد تعلّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه ...
تدربت أن أشبع وأن أجوع . أن استفضل وأن أنقص ... » (في ٤ : ١١ ، ١٢) .
« المحبة تحتل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء » (١ كو ١٣ : ٧) . وقد أسهبنا في عبارة « تحتل ... » .

تَصَدَّقْ كُلَّ شَيْءٍ

عبارة « تصدق كل شيء » يمكن ممارستها في علاقتنا بالله .

نصدق كل مواعيده ، وكل ما ذكره الكتاب عن محبته . نصدق مجيئه فننتظره .
ونصدق محبته فنبادله الحب . ونصدق كلامه فنؤمن به .

ولكن هل نستطيع أن نصدق الناس في كل شيء ؟

مهما أحببنا الناس ، لا نستطيع أن نصدقهم في كل ما يقولونه إن لم يكونوا
أمناء . هوذا الرب يقول عن مجيئه الثاني « إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو
هناك ، فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ... » (مت ٢٤ : ٢٣ ،
٢٤) .

يعقوب أبو الآباء صدّق أولاده في أن وحشاً مفترساً قد افترس يوسف ، وكانوا
مخادعين (تك ٣٧ : ٣١ - ٣٥) .

وحذرنا الرب حينما قال « فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم ، لأن
الرب إلهكم إنما يمتحنكم .. » (تث ١٣ : ١ - ٣) .
* * *

المحبة تصدق ، في الحالات الطبيعية . وفي غير ذلك فالمحبة لله أولاً ،
وتصدق الله أكثر من الناس .

فلا تصدقوا كل ما يتعارض مع كلام الله .

كذلك من الله « ترجو كل شيء » . وفي غير ذلك يقول الكتاب : الرجاء بالله
خير من الرجاء بالإنسان ... (مز ١١٨) .

المحبة لا تسقط أبداً

(أكو ١٣ : ٨)

قوة المحبة

قد تسقط المحبة بين الناس إذا اصطدمت مصالحهم فيما يتنافسون عليه . أما المحبة التي « لا تطلب ما لنفسها » (أكو ١٣ : ٥) ، فإنها لا تسقط أبداً . كذلك قد تسقط المحبة بين اثنين إذا احتد أحدهما على الآخر ، أو قبح سيرته أو ظن فيه سوء . أما المحبة التي لا تحتد ولا تقبح ولا تظن سوء (أكو ١٣) ، فإنها لا تسقط أبداً . المحبة الحقيقية التي وصفها الرسول هكذا ، لا تسقط . وكما قيل في سفر النشيد :

المحبة قوية كال موت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة ، والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٦ ، ٧) .

هي متقدة كالنار ، ومياه كثيرة لا تطفئها ، أى مهما حدث من تقصير ، أو من إساءة ، أو من إهمال ، أو من عوائق ... لا يمكن لهذه المياه الكثيرة أن تطفئ المحبة ... فإن كانت المحبة قوية وثابتة ، لا يمكن أن نزعزعها الأسباب الخارجية أياً كانت ، كالبيت المبنى على الصخر ...

وينطبق هذا الكلام على المحبة بين الله والإنسان .

وكذلك على المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

محبة الله للبشر

تأملوا محبة الرب الذي أنكره بطرس وسب ولعن وقال « لا اعرف هذا الرجل » (مت ٢٦ : ٦٩ - ٧٤) ... بقيت محبته له كما هي لم تتأثر . وبعد القيامة ثبتته في

الرسولية، وقال له « إرع غنمى ، إرع خرافى » (يو ٢١) ... وهكذا فعل الرب مع باقى تلاميذه الذين خافوا وهربوا وشكوا...

بل محبة الرب التى لم تتأثر بما فعله صالبوه، بل غفر لهم، وقال للآب « يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣: ٣٤). حتى قائد المائة الذى أشرف على صلبه، أنعم عليه بالإيمان، فمجد الله قائلاً: « بالحقية كان هذا الإنسان باراً » (لو ٢٣: ٤٧) ... « حقاً كان هذا ابن الله » (مت ٢٧: ٥٤). وكثير من الكهنة الذين سعوا لصلبه، أحبههم وجذبهم إلى الإيمان (أع ٦: ٧).

ومن الأمثلة البارزة للمحبة التى لا تسقط، محبة الله للمرتدين والخطاة فى قبول توبتهم.

لم يفقدوا محبته إذ أنكروه وجحدوه. بل قبلهم إليه مرة أخرى، وهو يقول « هل مسرة أسرتجوت الشرير- يقول السيد الرب-؟! إلا برجوعه عن طريقه فيحيا » (مز ١٨: ٢٣). وهكذا قبل كثيراً من الخطاة، وفتح لهم باباً للتوبة، وجعل منهم قديسين... وأعطاهم اكاليل.

محبة الله لم تسقط من جهة شاول الطرسوسى الذى فى بدء حياته اضطهد الكنيسة بكل عنف، وقال عن نفسه « أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً » (١تى ١: ١٣). ولكن محبة الرب إقتادته إلى التوبة، وجعله الرب رسولاً، ومنحه المواهب. وعملت النعمة فيه أكثر من الجميع (١كو ١٥: ١٠).

ومحبة الرب التى لا تسقط شملت الشيوعيين الملحدين.

واحتملت إلحادهم ونكرانهم له أكثر من سبعين عاماً، أقتادهم بعدها إلى الاعتراف بالإيمان، وأحب الرب الأمم العاقرة فى إيمانها. وجعلها توسع خيامها، ويصير أبناؤها أكثر من كنيسة الختان ذات البنين (أش ٥٤: ١-٣).

ومحبة الله لم تسقط عن الذين عبدوا العجل الذهبى.

حقيقى أنه أدبهم، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه (عب ١٢: ٦) (أم ٣: ١٢).

وظلت محبته لا تتخلى عنهم . وأرسل الأنبياء ليقودوهم إلى التوبة . ثم أرسل يوحنا بن زكريا ليهيئهم له شعباً مستعداً ، يدخلون في معمودة التوبة . وصاروا هم النواة الأولى لشجرة الايمان التى امتدت شرقاً وغرباً ... حقاً ما أوسع قلب الله في محبته ، التى لا تسقط ، بل تغفر للإنسان مهما أساء !! وتعطينا مثلاً حياً لوصية : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم (مت ٥ : ٤٤) .

* * *

انظروا إلى معاملة الله ليونان الذى هرب من وجه الرب .

لم تسقط محبته له على الرغم من عصيانه وهروبه في سفينة إلى ترشيش . بل أعد له حوتاً عظيماً فابتلعه . واستجاب لصلاته في جوف الحوت ، وأخرجه ليبشر نينوى ويقودها إلى التوبة . ولم تسقط محبة الله لما أغتاظ يونان بسبب قبول الله لتوبة نينوى ، وقوله « اغتظت بالصواب حتى الموت » (يون ٤ : ٩) . ولاطفه حتى أقنعه ...

وعن المحبة التى لا تسقط ، أعطانا الرب مثل الابن الضال .

فالآب لم تسقط محبته لابنه الذى ورثه في حياته وترك بيته وذهب إلى كورة بعيدة وأنفق ماله في عيش مسرف ، بل قبله إليه وفرح به ، وألبسه الحلة الأولى ، وذبح له العجل المسمن .

* * *

إن الله قد يختبر محبتنا له : هل تسقط أم لا ...

لذلك يسمح بالضيقات أحياناً ، ويرى موقف محبتنا له إزاءها . وهل نصمد أم نهتز ... ولعلنى أذكر هنا مثل تلك الأم القديسة ، التى احتملت في أيام الاستشهاد أن يذبحوا أولادها على حجرها ، وهى تشجعهم وتقوهم على احتمال الموت . ولم تقل لماذا يارب تسمح لى بهذه التجربة التى حسب الطبيعة لا يمكن أن يحتملها قلب أم ...

نقول هذا لتبكيك الذين إن حلت بهم تجربة ولو بسيطة ، يتذمرون ، وقد يجدفون على الله . ويقولون : ما عدنا نصل . ما عدنا نذهب إلى الكنيسة !!

خسارة أن تسقط محبتنا أمام الباب الضيق والطريق الكرب !

إن محبتنا لله يمكن أن تختبر بالضيقات . ومحبتنا للناس تختبر باحتمالنا لمعاملاتهم

أوجعهم أو إساءاتهم ، لتعرف هل هي محبة حقيقية ثابتة لا تسقط أبداً ، أم هي غير ذلك :

انظر إلى بولس الرسول وهو يقول « من سيفصلنا عن محبة المسيح : أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عرى ، أم خطر أم سيف ؟ ... ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذى أحبنا .. » (روا : ٣٥ ، ٣٧) .

محبة البشر لله

المحبة الحقيقية لا تسقط مهما كانت العوائق والصعاب .

إن محبة إبراهيم لله لم تسقط ، حتى عندما قال له : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق ... واصعده محرقة على أحد الجبال ... » (تك ٢٢ : ٢) . بل ظلت محبة إبراهيم لله كما هي ، أكثر من محبته لابنه الوحيد .

ومحبة يوحنا الرسول للمسيح بقيت كما هي ، لم تتأثر ولم تشك ، حتى حينما رآه معلقاً على الصليب وسط جو من الاستهزاء والتحدى ، وهوينزف دمأ .

وبالمثل محبة يوسف الرامى ، الذى لم يخف من أن يطلب جسد المسيح من بيلاطس (لوقا : ٢٣ : ٥٢) .

على الرغم من أن الانتساب للمسيح فى ذلك الوقت ، كان يعرض صاحبه للخطر . ولكن يوسف الرامى فى محبته ، لم يبال بالخطر ، بل أكثر من هذا وهب قبره الخاص الجديد لكى يدفن فيه المسيح . وقام بتكفين المسيح ودفنه بالأطياب والحنوط ، ولم يخف أن يُقال عليه أنه من تلاميذه ، فى الوقت الذى خاف فيه بطرس الرسول !

وفى ذلك الوقت ، اشترك فى تلك المحبة التى لا تسقط نيقوديموس الذى كان عضواً فى السنهدريم بينما اشترأك فى تكفين المسيح يعرضه لخطر من جهة أعضاء ذلك المجمع الذى حكم على السيد المسيح بالموت ...

إنها المحبة التى لا تسقط بسبب العوائق ...

نذكرنا بحبة الشهداء للرب على الرغم من التعذيب ...

ظلوا محتفظين بحبهم للرب وثباتهم في الإيمان به ، منتصرين على كل الصعوبات ، من جهة الإغراءات الشديدة ، والسجون والجلد والتعذيب والإهانات ، والآلام التي لا تطاق ، والإلقاء للوحوش الجائعة المفترسة .

ولكن في كل ذلك ، عبتهم الله لم تسقط أبداً ... وكمثال للحب ، نذكر إلقاء دانيال في جب الأسود ، والثلاثة فتية في أتون النار...

نذكر في هذا المجال أيضاً محبة يوليوس الأفهصى .

كاتب سير الشهداء ، الذي كان يهتم بأجساد الشهداء وتكفينها ودفنها وكتابة سيرتها ، في وقت كان فيه الاعتراف بالإيمان يعرض صاحبه للسجن والتعذيب والموت . ولكن محبة يوليوس الأفهصى للرب ولأبنائه الشهداء ، لم تسقط أبداً أمام هذا الخطر ، الذي تحول إلى حقيقة . فأخيراً نال هذا القديس اكليل الشهادة .

كذلك المحبة التي لا تسقط ، تظهر في احتمال التجارب .

ومثال ذلك أيوب الصديق ، الذي لم تهز محبته لله كل التجارب الشديدة التي تعرض لها ، من جهة فقدته لبنيه وبناته وكل ثروته ، وفقدته لصحته ومركزه وحتى احترام أصحابه له . وكان يقول « الرب أعطى ، الرب أخذ ، ليكون إسم الرب مباركاً » (أى ١ : ٢١) . وحتى حينما كلمته امرأته ، قال لها « تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات . هل الخير نقبل من عند الله ، والشر لا نقبل ؟! » (أى ٢ : ١٠) . وفي كل ذلك محبته لله لم تسقط ، إلى أن رفع الرب التجربة عنه . وويخ أصحاب أيوب قائلاً : لم تقولوا في الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٧) .

وقصة يوسف الصديق أيضاً ترينا محبته لله التي لم تسقط ، على الرغم من كل ما أصابه .

فمن أجل أمانته لله ورفضه للخطية بقوله « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء

إلى الله؟!» (تك ٣٩ : ٩) ... احتمل السمعة السيئة والسجن والاستمرار في حبسه سنوات ، وهو الأمين في كل شيء من نحو الله والناس . ولكن محبته لله لم تسقط أبداً ، ولم يتذمر قائلاً : ما هذا؟! كيف أجازى عن الخير بالشر . إلى أن كافأه الله أخيراً ، وما كان ينتظر كل تلك المكافأة .

كذلك محبته نحو اخوته لم تسقط ، على الرغم من كل الشرور التي فعلوها به ... فاهتم بهم في زمن المجاعة . وأسكنهم في أرض جاسان . وطمأنهم على مستقبلهم ، ولم ينتقم منهم . بل بكى تأثراً لما عرفهم بنفسه (تك ٤٥ : ٢) .

محبتنا لبعضنا البعض

ومن الأمثلة البارزة للمحبة التي لا تسقط : المحبة الطبيعية .

كمحبة الأم والأب . الأم التي مهما فعل ابنها وأخطأ ، تظل على محبتها له . ومحبة الأب التي يمثلها بصورة رائعة محبة داود لابنه أبشالوم ، الذي ثار عليه ، وقاد جيشاً ضده ليستولى على مملكته ، ودخل إلى قصره وأساء إلى سراريه (٢ صم ١٥ - ١٨) . ولكن داود بكى عليه بكل محبة (٢ صم ١٨ : ٣٣) . وفي هذه الواقعة : أبشالوم شذوذاً في المحبة الطبيعية .

والمحبة التي لا تسقط ، تظهر في المغفرة للمسيئين .

وفي ذلك نذكر سؤال بطرس الرسول للرب :

« كم مرة يخطيء إلى أخى وأنا أغفر له ؟ هل إلى سبع مر
أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة سبع مرات » (مت
هذه هي المحبة التي لا تسقط أبداً ، مهما كان عدد الآثام
حتى إلى سبعين مرة سبع مرات ... ! إنها تدل على القلب الواسع



كذلك ماذا عن محبتنا لبعضنا البعض ؟

هل تصرف معين ، بسببه تفك خطوبة ، أو به يصل زوجان إلى محاكم الأحوال الشخصية وإلى الطلاق ! وتسقط المحبة التي عاشت في ظل الزوجية سنوات !!

وهل بتصرف معين ، يفقد الأصدقاء محبتهم القديمة ، ولا تبقى أمامهم سوى الإساءة الحاضرة وليس غير؟!

ليتنا نثبت في المحبة الحقيقية التي لا تسقط أبداً .

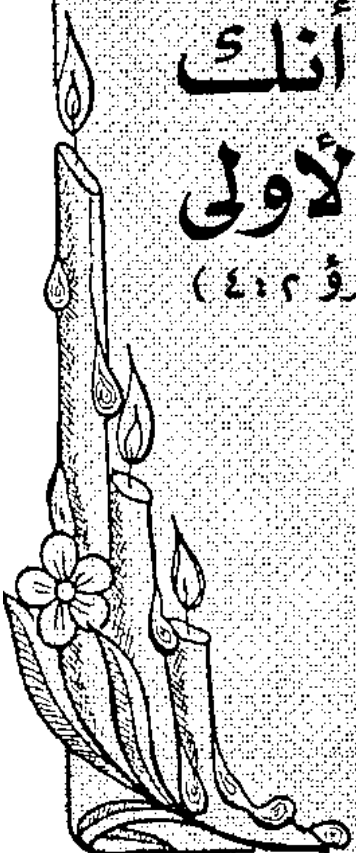
إلى هنا وأحب أن أنتهى من تأملاتنا في (١ كو ١٣) .



البَابُ السَّادِسُ



عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى (رؤى ٤: ٢)



في رسائل السيد المسيح إلى ملائكة الكنائس السبع ، قال :

« أكتب إلى ملاك كنيسة أفسس ... أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد احتملت ولك صبر، وتعبت من أجل اسمى ولم تكل . لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى . فاذا ذكر من أين سقطت وتب ... » (رؤ ٢ : ١ - ٥) .

عبارة « عندى عليك » تدل على أن الله يعاتب أحباءه .

ولولا أنه يحب ذلك الشخص ما كان يعاتبه ... بل كان يحمله إلى مصيره .

وهو هنا في هذا العتاب ، يذكر لملاك أفسس أعماله الطيبة ، قبل أن يذكر ما يؤاخذ به عليه ... إن الله يعاتب من كانت له محبة من قبل . ولكنها الآن قلت عن ذى قبل .

* * *

لم يذكر له أخطاء معينة ، لخصها كلها في عبارة واحدة ، أنه ترك محبته الأولى ...

يكفى أنك لم تعد تحب كما كنت من قبل . وهذه العبارة قد توجه إليك من الله أو من الناس ، من بعض أصحابك ... « عندى عليك أنك ... » أى لى شيء أعاتبك عليه . مثلما قال الرب فى العظة على الجبل « إن قدمت قربانك على المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك .. » (مت ٥ : ٢٣) أى أنه يمسك عليك شيئاً .

* * *

العجيب أن عبارة « تركت محبتك الأولى » يقوها الرب لإنسان له مكانة كبيرة جداً ...

إنه لا يقوها لشخص ضائع ، أو خاطيء ، ولا لإنسان عادى ، وإنما لملاك كنيسة ،

لشخص كائن في يمين الرب ، وله جهاد في الكنيسة ، وقد احتمل ، وله صبر ، وقد
تعب من أجل اسم الرب ولم يكل ، عجيب أن إنساناً من هذا النوع ، محبته تضيق ...
كل هذا يرينا أنه يجب أن نكون حريصين ومدققين ، نلاحظ أنفسنا مهما كبرنا ...

ونلاحظ هنا أنه يقول للملاك : اذكر من أين سقطت ...

على الرغم من تعبه الكثير من أجل الله ، إلا أنه يقول له « سقطت ... وتب ... » .
شيء عجيب ، أن ملاكاً كهذا يحتاج إلى توبة ... ليس معنى هذا أنه ارتد !! كلا .
ولكن مجرد تركه لمحبه الأولى ، اعتبر سقوطاً .

عبارة محبتك الأولى ، تعني أنه بدأ علاقته مع الله بداية طيبة .

كان له حب ، ولكنه لم يستمر . والله هنا لا يدعوه إلى أن يتعلم الحب في
حياته ، إنما يدعوه أن يرجع إلى المحبة التي كانت له من قبل ...

حقاً ، كم من إنسان بدأ التوبة بحرارة شديدة جداً ، ولكنه بمرور الوقت فقد
حرارته . ويبحث عنها الآن فلا يجدها . أو أنه بدأ الخدمة بغيرة مقدسة للغاية ، ثم
فترت غيرته شيئاً فشيئاً . في بدء حياته في التوبة ، بدأ بانسحاق قلب عجيب ،
وباتضاع شديد . بل كان يدخل الكنيسة في شعور عميق بعدم الاستحقاق . يقول في
نفسه « من أنا حتى أقف مع هؤلاء القديسين ؟ » .. خطاياهم القديمة كانت تملأ عينيه
بالدموع وتملأ قلبه بمشاعر المذلة والانسحاق . وبعمر الوقت صار من التائبين ، ثم من
الخدام ، ثم من القادة الذين يديرون الكنيسة . ويبحث عن نفسه فلا يجدها . ويسمع
الرب يقول له « تركت محبتك الأولى » ...

يا ليتك كنت قد احتفظت بمحبتك بمجرد نقطة البدء .

هنا نرى عجباً ... المفروض أن الإنسان الذي يبدأ بداية طيبة ، يظل ينمو ويزداد ،
حتى يصل إلى الكمال الممكن ... أه ! أن إنساناً يبدأ حسناً ثم يقل ويقل ، وينحدر
إلى أسفل . حتى يقول له الرب أنك تركت محبتك الأولى ... فإن هذا الأمر يدعوه إلى
الأسى حقاً ...

قد تعاتب شخصاً على ترك محبته الأولى، فيقول لك : كيف هذا؟! هل أنا أخطأت في حقك في أى شيء؟! وأنت تجيب : المسألة ليست مسألة خطأ، وإنما مشاعر...

إنها أمور نحس ... وليس مسألة نقاش واقتناعات .

إنه يسلم عليه ، ولكن ليس بالحرارة السابقة ... يقابله بعبارة طيبة ، ولكن ليس بالفرح القديم . لا يفرح بالوجود معه ... لا يسعى إلى لقاءه ... ليس له نفس الاشتياق القديم ، ولا اللفتة القديمة . حقاً إنه لا يخطيء إليه ولكن في نفس الوقت ، ليست له مشاعر الحب . لا يظهر الحب في لهجته ، ولا في صوته ، ولا في عينيه ، ولا في ملامحه ، ولا في ألفاظه ، ولا في حرارته ... هل تظنون أن الحب يقرأ ويكتب ويقال ؟ إنه يحس ...

هذا بالنسبة إلى الناس ، وبالنسبة إلى علاقتك بالله أيضاً ...

أنت تصلى ، ولكن بدون اشتياق إلى الله . لست في صلاتك مثل داود الذى يقول «باسمك ارفع نفسى إليك يا الله ، كما تشاق الأرض العطشانة إلى الماء» «محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى» . تصلى ولكن لا حرارة في الكلام ، ولا اشتياق ، ولا رغبة في البقاء مع الله .

لك صلاة ، ولكن بدون صلة !! كلام ... ! مجرد كلام !

وكما قال الرب «هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً» وتقف تصلى ، وأثناء صلاتك يقول لك الله «عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى» . تقول له : هل أنا يارب قصرت في صلاتى ؟ أو قللت مزاميرى أو تأملاتى أو قراءاتى ؟ جدول الروحى منتظم ... يقول لك إنك تصلى ، ولكن ليس بمحبتك الأولى ...

نقطة أخرى في المحبة ، وهى الثقة ...

صديق يقول لك : فى محبتك الأولى كنت تثق بى كل الثقة . حالياً تشك فى

المحبة فى التصرفات ، تشك فى علاقتى بك ... قديماً كنت لا تشك ... كنت قديماً لا
تحتمل كلمة رديئة تقال على ، الآن أنت تحتمل ! كنت قديماً لو تسمع كلاماً ضدى ،
بكل قوة تدافع ... أما الآن فإنك تسمع ولا تدافع ، أو تطلب باقى الكلام ، وتصدق ،
وتشك . وجائز أن تنضم للمقاومين .

مع الله أيضاً ، يبدأ الإنسان حياته بثقة كاملة .

يثق به ، وبمواعيده ، وبمحبهه ، ورعايته ومعاملاته ، وصلاح مشيئته . حتى إن
أصابته التجارب ، يقول « المر الذى يختاره الرب لى ، خير من الشهد الذى اختاره
لنفسى » ... حالياً ، إذا لم تعد المحبة كما كانت من قبل ، يبدأ العتاب : لماذا يارب
تعاملنى هذه المعاملة ؟ لماذا أصلى ولا تستجيب ؟ لماذا نذرت نذراً ولم يتحقق ما
طلبتة ؟ لماذا رفعت قداساً ولم أحصل على نتيجة ؟ لماذا لم أحصل على الوظيفة ، أو
على الترقية ؟ لماذا سمحت أننى أرسب ؟ ...

لم يبق سوى أن تعاتب الله ، وتقول له : عندى عليك ، أنك تركت محبتك
الأولى ... !!

ويجب الله : أنت الذى فقدت الثقة ، أو فقدت الإيمان ...

نقطة أخرى : فى محبتك الأولى ، لم تكن تفضل شيئاً ولا أحداً على الله .
كانت الأولوية له ...

هو الأول وقبل كل شىء ، بل هو كل شىء ... أما الآن فتقول له : إن أنا وجدت
وقتاً يارب ، فإنى أصلى وأقرأ وأتأمل ... وإن وجدت عندى قوة وصحة ، حينئذ سأصوم
واخدم ... وإن بقى عندى فائض بعد سداد كل احتياجاتى ومطالبى ، ففى تلك الحالة
سأدفع العشور أو البكور . وإلا فعذرى فى كل ذلك معى ، ويصبح الله فى آخر
القائمة !! ما الذى حدث ؟ أين أفضلية الله وأولويته فى ترتيب اهتماماتك ؟!

لقد تركت محبتك الأولى . تغيرت عن وضعك القديم . ينظر إليك الله
يقول : ليس هذا هو الإنسان الذى كنت اعرفه منذ سنوات .

إنك إنسان آخر لست نفس الشخص الذى كان يحبني ويفرح بي . لقد تغيرت وتركت محبتك الأولى . مع أنك تعبت من أجل اسمي ولم تكل . لكنك تعبت ، من غير حب . مثل إنسان له نشاط هائل في خدمة الكنيسة واجتماعاتها ، وفي كل لجانها . ولكن أين وجود الله في قلبه ؟ لا وجود ولا حس .

كزوجة لا تشعر بمحبة زوجها نحوها ، ومع ذلك هو دائم العمل ، ودائم الغياب ... وإن عاتبته ، يقول لها أنا أكّد وأتعب من أجلك ، لأصرف على البيت . وهى تسأل عن العاطفة فلا تجدها ... صحيح تعبت من أجل اسمي ولم تكل ... لك خدمة ، ولكن بغير حب ...

يشبه هذا الوضع ، الابن الكبير ، في قصة الابن الضال .

لقد قال لأبيه « ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك » (لو ١٥ : ٢٩) . ومع ذلك لم تكن مشاعره مع أبيه . وكانت مشيئته ضد مشيئة الآب .. ورفض دخول البيت ، ورفض الاشتراك في فرح أبيه بأخيه ، ووصف أباه بالظلم ، والبخل « قط لم تعطني جدياً لأفرح مع أصدقائي ... ولما جاء ابنك هذا ... » وهكذا كان يشك في محبة الآب

أحياناً اشخاص تكون لهم العلاقة الظاهرية ، وليست لهم العلاقة القلبية ومشاعرها ...

كصديق قديم يقابل صاحبه ، ليس حباً في اللقاء ، إنما خوفاً من أن تنقطع العلاقة تماماً .. إذ لم يبق من هذه العلاقة سوى خيط رفيع ، لا يريد له أن يقطع فالمقابلة مجرد رسميات ... كشخص يذهب إلى العمل لمجرد أن يوقع بالحضور ، ولكن لا رغبة له في العمل . أو آخر يحضر حفلة لزميله ، لئلا يتأثر أو لئلا يعاتبه على عدم الحضور ، ولكن بدون شعور ...

إنسان يتحرك - حتى في روحياته - بطريقة روتينية .

يصل ، يصوم ، يقرأ ، يتأمل ، يحضر إلى الكنيسة ، يعترف ، يتناول ... ولكن أين

محبت الله ؟ لا وجود لها في كل ممارساته هذه ... سلسلة واجبات روحية ! يخشى أن يمتنع عنها لثلا يوبخه ضميره ، ولكنه لا يعملها بحب ... تركت محبتك الأولى ، ليس هذا ما يريده الله الذي يقول « يا ابني اعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . أين الاشتياق القديم إلى الله ... وكأن الله يقول لك : لست أنت الذي كنت أعرفه من قبل ...

كنت أعرفك نارا تتقد . أما الآن فمجرد ماكينة تدور ... آلة تدور وتنتج . ويمكن أن تتحرك بالريموت كنترول ، دون أن تلجأ إلى روح الله ليحركها ...

عذراء النشيد كانت لها محبة كبيرة تمثل علاقة الكنيسة أو النفس البشرية بالله . ثم جاء وقت ، وقف فيه الله على بابها يقرع ويقول « افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حامتي يا كاملتى . فإن رأسي قد امتلأت من الطل ، وقصصى من ندى الليل » (نش : ٥ ، ٣ ، ٣) وللأسف هي تحيب « خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجلى ، فكيف أوسخهما » !!

أين المحبة الأولى ؟ حالياً توجد مكانها أعذار ... !

حالياً نعتذر عن صلتنا بالله ، ونقدم عوائق وتبريرات . عندما تكون محبتنا لله متقدة ، لا نبالي مطلقاً بالعوائق بل ننتصر عليها . ولكن حينما تقل المحبة ، تبدأ الأعذار في الظهور ...

ونحن شبان في الخدمة ، ذهبنا لنفتقد شاباً تخلف فترة طويلة عن اجتماع الشبان ، فوجدناه قد وقع في عادة التدخين ، وأخذ أحدنا يشرح له أضرار التدخين ، وآخر يكلمه عن القدوة الصالحة ، وثالث يقنعه بآيات وبراهين . ولكن واحداً منا كان يتكلم دائماً بأسلوب روحى ، قال له « أريد أن أسألك سؤالاً واحداً : هل أنت تحب الله كما كنت تحبه من قبل ؟ » .

حقاً ، عندما تقل المحبة : يبدأ الإنسان أن يحتاج إلى الآيات والافقاعات والبراهين ...

أيام زمان ، كنت تلقى نفسك على الله إلقاءً ، أما الآن فإنك تناقش ... تناقش كل نصيحة وكل توجيه وكل أمر . تريد أن تقتنع ... وربما ترفض الإرشاد كأنه غير مقبول ... والحقيقة أنه ليس الإرشاد غير مقبول ، وإنما المحبة غير موجودة ... حتى الايات تريد لها تفسيراً يناسب رغباتك أما في أيام المحبة الأولى ، فلم تكن فقط تطيع كل الأوامر ، إنما حتى الإشارة ... حتى مجرد أن تشعر أن هذا التصرف غير مقبول ، لا تعمله ...

ومع الله ، أى شيء تشعر أن الله لا يرضى عنه ، ترفضه بغير حاجة إلى إقناع ...

أنت غير محتاج أن تعرف الحكمة من الوصية ، يكفي أنها وصية . قلبك هو الذى يقودك إلى الله . وليست حكمتك البشرية وعقلك البشرى ...

نقطة أخرى في العلاقة مع الله ، وهى المشغوليات :

حينما تقل محبتك لله ، تصبح مشغولياتك عذراً تبرره بعدك عنه .

أصبحت تشغل بغيره ، أعمالاً أو أشخاصاً .. وتفضل هذه المشغوليات عليه . والعيب ليس فى المشغوليات ، إنما فى قلة محبتك ... إذ لم تكن هكذا قبلاً ... ولكن محبتك لله ظلت تقل حتى لم يتبق من علاقتك بالله سوى الإيمان ... وما يتعلق بهذا الإيمان مجرد رسميات أو شكليات ... كإنسان يقابل صاحبه فيقبله .

إنها قبلة ، ولكن بغير حب . مجرد مظهر ...

كثيراً ما يحدث فى المقابلات وفى الزيارات ، وحتى فى الكنيسة ، نقبل بعضنا بعضاً . ولكن لا تمتزج القبلية بمحبة . إنها قبلة رسمية ، وليست قبلة عاطفية ...

مثال ذلك - من ناحية أخرى - إنسان يعترف أمام أب الاعتراف ، ولكن بغير انسحاق ، بغير ندم ، بغير توبة ... أو إنسان يدخل إلى الدير أو إلى الكنيسة ، ولكن بغير خشوع ... أو إنسان تحت عبارة الأبوة والبنوة التى تربطه بالله ، ينسى نفسه ... وقد يدخل إلى الكنيسة وكل اهتمامه ليس فى صلته بالله ، وإنما فى مراعاة النظام بين

المصلين ...

وتسأله عن انشغاله فيقول لك « الغيرة المقدسة » ... الغيرة يا أخى تكون - قبل النظام - على مدى صلتك بالله .

في بدء الحياة مع الله ، كان الإنسان منشغلاً بالله ، أما الآن فهو منشغل بخطايا الآخرين ... ليست المشكلة هي موضوع الإدانة ، بل أنه ترك محبته لله ، وأصبح - حتى داخل الكنيسة - ينشغل بالناس .

أمثلة لتترك المحبة

مثل من الأمثلة العجيبة في ترك المحبة الأولى ، هو سليمان الحكيم .

ربما تنطبق عليه عبارة القديس بولس الرسول « والآن أذكركم وأنا باك » (في ٣ : ١٨) . سليمان هذا بدأ بداية عجيبة . محبة لله ، وظهر له الله مرتين ، وكلمه فمأ لأذن ، ومنحه موهبة الحكمة ، ومنحه جلالاً ملوكياً . وسمح له أن يبنى هيكله ، الأمر الذي لم يسمح به لداود أبيه ... ومع كل ذلك ترك سليمان محبته الأولى « ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه » (١ مل ١١ : ٤) ... أزاعته النساء . ومحبته للنساء أضاعت محبته لله !! كما أزاعه الترف الكثير ، ومهما اشتتهه عيناه لم يمنعه عنهما (جا ٢ : ١٠) . وانشغل بالمتعة أكثر من الانشغال بالله ...

ومن الذين تركوا محبتهم الأولى أصحاب أيوب ، وأصحاب داود .

أصحاب أيوب الثلاثة ، حينما رأوه في تجربته « رفعوا أصواتهم ، وبكوا . ومزقوا كل واحد جيبه ، وذرروا تراباً فوق رؤوسهم » (أى ٢ : ١٢) . ولكنهم بعد قليل بدأوا يناقشونه ، ثم يتهمونه ويبحرون شعوره ، حتى قال لهم « معزون متعبون كلكم ... » (أى ١٦ : ٢) .

وأصحاب داود ، كثير منهم فارقه ، وانضموا إلى ثورة أبشالوم ضده ، لما رأوا تفوق أبشالوم ... تركوا محبتهم الأولى ، والبعض منهم انتقدوه ، والبعض شتموه . ونسوا أنه

مسيح الرب، ونسوا افتخارهم القديم به...

إنها لم تكن خطية لسان، إنما خطية قلب.

قلب ترك محبته، فظهر ذلك على لسانه. لأنه «من فيض القلب يتكلم اللسان». كإنسان جوفه مريض، فيظهر طفق على جلده... إنسان يعاتب صاحبه بطريقة جارحة، إنما يدل على أنه ترك محبته الأولى، التي كان أثناءها يحرص على كل لفظ، بل يحرص على ملاعه...

الله يعاتب أولاده

الله يعاتب أحباءه. أما أعداؤه فيعاقبهم.

إنه يذكرهم بماضيهم الخلو معه «تركت محبتك الأولى». إنه يعاتب الذي يمكن أن يرجع إلى المحبة الأولى التي اختبرها قبلاً. والآن قلت أو ضاعت. غالباً قلت... الله يهتم بهذه المحبة ويركز عليها. لأنه يريد القلب قبل كل شيء. وليس مجرد الممارسات. فقد لام أولئك الذين يقتربون إليه بالصلاة. وقلوبهم بعيدة عنه. فقال «يقترب إليّ هذا الشعب بضمه ويكرمنى بشفتيه. أما قلبه فمبتعد عني بعيداً» (مت ١٥ : ٨).

إنه يعاتب أولاده الذين تركوه أولم يعرفوه.

فيقول في سفر إشعياء النبي «اسمعي أيتها السموات، واصغى أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا عليّ» (أش ١ : ٢). إنه يعاتب كرمه الذي اعتنى به، وقال عنه «ماذا يصنع أيضاً لكرمي، وأنا لم أصنعه؟! لماذا إذ انتظرت أن ينتج عنباً، أنتج عنباً ردياً» (أش ٥ : ٤)...

فني الخدمة

إنه يعاتب شخصاً كان ملتجئاً في محبته وخدمته. وقد صبر واحتمل، وتعب من أجل اسمه ولم يكل (رؤ ٢ : ٣). ولكنه الآن قد ترك محبته الأولى. وهو محتاج أن يعرف من أين سقط ويتوب (رؤ ٢ : ٥).

عجيب أن هذا الخادم المحب يسقط ويترك محبته الأولى !!

هذا الملاك والكوكب الذى فى يمين الرب (رؤ ٢ : ١) ... إنه درس لنا فى أن نتمسك بمحبة الله ولا نفتقر، حتى لا نسقط ... ونستمع مثله إلى قول الرب « اذكر من أين سقطت وتب » (رؤ ٢ : ٥) ... نحن نعلم جيداً أن « المحبة لا تسقط أبداً » (١كو ١٣ : ٨) . فكيف إذن سقط هذا الملاك ؟!

★ ★ ★

كيف سقط ، والمحبة لا تسقط أبداً .

إنه سقط ، ولكن محبته لم تسقط أبداً !! مازال ملاكاً . إنه يذكر بيطرس الرسول الذى سقط فى السب واللعن والإنكار وقت محاكمة السيد المسيح (مت ٢٦ : ٧٠ - ٧٤) . وعلى الرغم من كل ذلك ، لما سأله السيد المسيح بعد القيامة « أتجنبنى ..؟ » أجاب « أنت تعلم يارب كل شيء . أنت تعلم أنى أحبك » (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) .

السقوط كان خارجياً فقط ...

سقوط فى الإرادة ، وليس فى القلب .

★ ★ ★

لعلنا من هنا ندرك معنى عبارة « تركت محبتك الأولى » التى قالها الرب لملاك كنيسة أفسس ... إنه سقط من درجة عالية فى المحبة ، ولم يسقط من المحبة كلية ... سقط من المحبة الأولى ، التى لو قورنت بها المحبة الحالية ، تعتبر المحبة الحالية سقوطاً يحتاج إلى توبة !!

إنه ليس مبتدئاً يتعلم الحب ، بل قد عاشه من قبل وذاقه ... ولكنه قد هبط درجات عن ذى قبل . وكيف ؟ .. ذلك لأن المحبة ليست مجرد عاطفة ، إنما تعبر عن ذاتها بالعمل ... كما قال القديس يوحنا الرسول « لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١يو ٣ : ١٨) . والرب يذكر ملاك كنيسة أفسس بهذه الحقيقة . فيقول له « اذكر من أين سقطت وتب . واعمل الأعمال الأولى » (رؤ ٢ : ٥) ... أعمالك الآن لا تتفق مع المحبة المتأججة التى كانت لك فى القديم ، والتى بها « تعبت من أجل اسمى ، ولم تكلّ » ...

كانت المحبة ظاهرة في خدمته القوية للرب .

والآن لم تعد الخدمة في نفس الحرارة ونفس القوة ... إنه لا يزال يخدم ، ولكن ليس بنفس الحب . مثل كاهن جديد كان في أول سنة لرسامته شعلة من نشاط ملتهب يقول مع القديس بولس « من يعثر وأنا لا ألتهب !؟ » (٢ كو ١١ : ٢٩) « استعبدت نفسي للجميع ، لأريح الكثيرين » « صرت للكل كل شيء ، لأخلص على كل حال قوماً » (١ كو ٩ : ١٩ ، ٢٢) .

أما الآن فإنه يخدم ... ولكن ليس بنفس الروح ، ولا بنفس الغيرة العجيبة على خلاص النفس ... إنه يخدم كما لو كانت خدمته قد بدأت تشيخ ... إنها تسير في الطريق ، ولكن مستندة على عكازين .

لقد فترت محبته لله وللملكوت وللناس !

وأصبح في خطر من أن يأتيه الرب عن قريب ، ويزحزح منارته من مكانها ، إن لم يعمل الأعمال الأولى (رؤ ٢ : ٥) .

فِي التَّوْبَةِ

كما يُقال الكلام عن الخدمة ، يُقال عن التوبة أيضاً .

في أول عهد الإنسان بالتوبة ، يكون نادماً جداً ، منسحقاً جداً . لا يكاد يتصور كيف أحزن روح الله الذي ناله في سر الميرون المقدس !! وكيف نجس هيكله ، وكأنه يطرد روح الله من قلبه ، ويفض شركته مع الله . وهذا الحزن المقدس كم عصر عينيه بالدموع ، وكم ملأ صوته بالآهات ، حتى صارت دموعه شراباً له نهاراً وليلاً ... وكانت عبارة « غير مستحق » يقولها عن نفسه بكل اقتناع وبكل عمق ...

أما الآن فقد جفت الدموع من عينيه ، وقد بعدت حياته عن مرحلة التوبة ! أو يظن أن التوبة مرحلة يمكن أن يبعد عنها ، ويدخل في إيجابيات كثيرة رشحت لها حياة الإنسحاق الملازمة للتوبة ... إنه الآن يخدم ، وكثيرون يتعلمون على يديه وعبرة « غير مستحق » إن قالها عن نفسه . يقولها من باب الإلتضاع لا أكثر ، بغير عمق ولا اقتناع ... !

المرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها، أحبت كثيراً لأنه قد غفر لها الكثير (لو ٧).

أما سمعان الفريسي الذي لم يكن يشعر أنه خاطيء مثلاً، أو أن خطاياها ليست شيئاً على الإطلاق إذا قورنت بخطاياها... فهذا ما كان يحب الله مثلاً، وما كان منسحق القلب مثلاً، ولا كان يبكي مثلاً... بل إنه يدينها على خطاياها، ويدين السيد المسيح الذي سمح أن تبل قدميه بدموعها... لذلك ذكره المسيح بأنه هو أيضاً خاطيء مثلاً. عليه خمسون، وعليها خمسمائة. وكلاهما «ليس لهما ما يوفيان»...

أسباب لتترك المحبة

إذن من أسباب نقص المحبة، نقص شعور الإنسان بخطيته...

« فالذي يُغفر له قليل، يحب قليلاً » (لو ٧ : ٤٧). أو لعل المقصود هو أن الذي يظن أنه قد غُفر له القليل، يحب قليلاً... وأساء من هذا الذي يظن أنه ليست له خطية!! لذلك قال الرسول « إن قلنا إنه ليست لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يوا : ٨).

وأساء من هذين الذي يظن أنه له أعمال بر؟!

مثل الفريسي الذي بكل جرأة وقف أمام الله يفتخر بفصائله فقال « أشكرك يا رب أني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة... أنا أصوم يومين في الأسبوع، وأعشر جميع أموال... » (لو ١٨ : ١١)... حقاً من أين تدخل في قلبه محبة الله، وهو لا يذكر خطية واحدة قد غفرها له الله؟!

الإنسان القريب العهد بالتوبة، يشعر بمحبة الله التي غفرت له، فيحبه من أجل مغفرته. بل يشعر أيضاً بمحبة الله التي قادته إلى التوبة، فيحبه من أجل قيادته إلى التوبة. وحينما يذكر في صلاة الشكر عبارة « لأنه قبلنا إليه » تزداد محبته لله جداً. لأنه على الرغم من كل نجاساته وعصيانته وسقطاته، قد قبله الله إليه. وخطاياها ما عاد يذكرها له، وما عادت تُحسب عليه (رو ٤ : ٧، ٨).

فتزداد محبته لله ، عرفاناً بجميله عليه .

ويذكر كل ذلك في مزاميره (مز ١٠٣) ... أما الإنسان الذي يفكر في كم خدم ، وكم تعب لأجل الرب ، فرما يظن أنه هو صاحب الجميل على الله ، لأنه يهين له ملكوته ، ولذلك يستحق منه ويستحق ... إنه يفعل مثل ذلك الابن الكبير الذي اعتبره أباه مقصراً في حقه بما يناسب خدماته . وهكذا قال له في كبرياء وفي عدم محبة «ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك . وقط لم تعطيني جدياً لأفرح مع أصدقائي...!» (لو ١٥ : ٢٩) .

إذن محبة الإنسان لله تقل ، إن قلّ انسحاق قلبه .

وما أسهل أن كثرة الانشغال تبعد الإنسان عن محبة الله .

ذلك إن انشغل بأمور عديدة ، لا تعطيه وقتاً يلتصق فيه بالله . وإن سئل عن صلاته ، يقول «ليس لدى وقت» !! إذن متى يتحدث مع الله في حب ؟ ومتى يشترك إلى الله كما تشترك الأرض العطشانة إلى الماء ! ومتى يفتح قلبه لله ليملاؤه بالحب . حقاً مثل هذا الإنسان ينطبق عليه قول السيد الرب لمرثا «أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد» (لو ١٠ : ٤١ ، ٤٢) .

أما أختها مريم التي امتلأ قلبها بالحب ، ووجدت لذتها في أن تجلس عند قدمي الرب ، تستمع إلى كلامه ، وتتمتع بمحبته ، فقد قال لأختها عنها «اختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها» (لو ١٠ : ٤٢) ...

حقاً إنك قد تترك محبتك الأولى ، إن انشغلت عن الرب بشيء آخر .

حتى لو كان هذا الشيء هو الخدمة .. وما أصدق تلك الكلمة الروحية التي قالها أحد الأدباء : « قضيت عمرك في خدمة بيت الرب . فمتى إذن تخدم رب البيت ؟! » .

اخدم إذن . ولكن لا تجعل الخدمة تعطلك عن الحديث مع الله ، وعن التأمل في

صفاته الجميلة ، وعن الجلوس مثل مريم عند قدميه ، تسمع كلامه وترى عجائب من شريعته ...

وإن خدمت اخدم عن حب : حب لله ، وحب للمكوثه ، وحب للناس ... وتذكر أن ديماس كان خادماً قوياً ، ومن المساعدين الكبار للقديس بولس الرسول . وفي إحدى المرات ذكره قبل لوقا الإنجيلي (فل ٢٤) ولكن ديماس لما ترك محبته الأولى ، وبدأ يحب العالم ، وحلت محبة العالم محل محبة الله في قلبه ، ضاع ديماس تماماً . وقال عنه القديس بولس الرسول في أسى « ديماس تركنى لأنه أحب العالم الحاضر » (٢تى ٤ : ١٠) .

احذر من محبة العالم ، لئلا تضع محبة الله من قلبك .

فهذا القديس يعقوب يقول إن محبة العالم عداوة لله (يع ٤ : ٤) . ويقول القديس يوحنا الحبيب في رسالته الأولى « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » (١يو ٢ : ١٥) .

إذن كلما يدخل الإنسان في محبة العالم ، في شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة » (١يو ٢ : ١٦) ... فبالضرورة سيسمع عتاب الله يقول له « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى » .

ومن الجائز أن يترك محبته الأولى ، بسبب تحول القلب إلى آخر...

كبأب بسبب محبته لزوجته الثانية ، يترك محبته الطبيعية لأولاده من الزوجة المتوفاه . قلبه قد تحول ، ومحبته لأولاده تحولت معه . وإذ تسوء معاملته لابن من أبنائه ، يقول له هذا الابن - ولو في فكره - « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى » ...

وأحياناً يترك الإنسان محبته الأولى بسبب الوشاية أو كلام الناس !

كأن يسمع كلمة أو رواية ، فيصدقها دون أن يتحقق . ويشك فيمن يحب ، ويتعبه شكه ، فيترك محبته الأولى ، وبخاصة لو كثر سكب الكلام في أذنيه إن

صدق الوشاية ، يترك محبته الأولى . وكلما ترك محبته الأولى ، يكثر تصديقه للوشايات .
أما القلب المحب ، الثابت في محبته ، الذى محبته لا تسقط أبداً ... فإنه إن سمع
كلمة رديئة عمن يحبه ، لا يحتمل ذلك ، بل يدافع عنه ، ولا يقبل فيه كلمة سوء . أما
قبوله لكلام الناس فهو دليل على أن قلبه قد تغير ، وثقته قد تغيرت ، ومحبته لم تعد
كما كانت من قبل ..

من الجائز أن يترك محبته الأولى بسبب تأويله الخاطيء لبعض التصرفات .
وهذا الأمر يحتاج إلى تحقق ، لأنه ربما لو عرفنا السبب في تصرف ما ، لأمكننا أن
نجد له عذراً ... وقد يكون الهدف طيباً ، والتصرف غير مفهوم على ما قصد منه ...
ومن الجائز أن الإنسان يترك محبته الأولى ، لأن الذى يحبه لم يحقق له أغراضه
التي يريدها ، أو أن فكره وأسلوبه يختلف عن فكره .

ومع الله أيضاً كم مرة نترك محبتنا الأولى له ، حينما لا نفهم حكمته من بعض
التجارب والضيقات التي يسمح بها لنا ، وقد تكون لخيرنا ونفعنا ، ونحن لا ندرى ...

ومن الجائز أن يترك الإنسان محبته الأولى بسبب حروب الشياطين ...

ذلك إن ضعف القلب أمامها ، واستسلم لشيء من ضغوطها أو إغراءاتها . ومع
ذلك فإن القلب المملوء بالحب ، يمكنه أن ينتصر على حروب الشياطين . حتى إن أظهر
له الشيطان إحدى الرؤى أو الأحلام ، فإنه يرفضها ولا يصدقها . فليس كل حلم أو
رؤيا من الله .

وبالمثل يرفض كل الأفكار والظنون والشكوك ...

المحبة

ليست من جانب واحد

الحياة الروحية هي حب متبادل بين الله والناس .

إن الله يحبك . هذه حقيقة لا جدال فيها . والله يحب العالم كله « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد... » (يوحنا : ١٦) .

ولكن على الرغم من هذا الحب والبذل ، لم يخلص العالم كله .

لم يخلص يهوذا ، ولا حنان ولا قيافا ، ولا هيرودس ... ولا كل أولئك الذين رفضوا الرب وماتوا في رفضهم ... أولئك الذين قال عنهم الكتاب « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يوحنا : ١١) « النور أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه » (يوحنا : ١ : ٥) « النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور » (يوحنا : ١٩) .

* * *

لا يكفي إذن أن الله يحبك ، إنما يجب أيضاً أن تحب الله .

وإن لم تحب الله ، لن تخلص . لأن الوصية الأولى والعظمى هي أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك » (مت : ٢٢ : ٣٧ ، ٢٨) .

محبة الله طبيعة فيه ، لأن الله محبة (١ يوحنا : ٤ : ١٦) .

* * *

ولكن السؤال الهام هو هذا : ما موقفنا من محبة الله ؟

هل نرفض محبته ؟ كما قال عن شعبه في القديم « مددت يدي طول النهار لشعب

معاند مقاوم» (رو ١٠ : ٢١) .

أم نباده حباً بحب، كما قال الرسول «نحن نحبه، لأنه هو أحبنا أولاً»
(١يو ٤ : ١٩) .

والمطلوب منا ليس أن نحبه فقط، بل أن نثبت في محبته .

بهذا نخلص أن نثبت في محبته

وهكذا قال الرب «أثبتوا فيّ، وأنا فيكم» (يو ١٥ : ٤) ، «أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه، هذا يأتي بشمر كثير» «إن كان أحد لا يثبت فيّ، يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» (يو ١٥ : ٥ ، ٦) . وما هو هذا الثبات ؟ يقول الرب :

«أثبتوا في محبتي» (يو ١٥ : ٩) .

«كما أحبني الآب، أحببتكم أنا. أثبتوا في محبتي» ... وكيف يارب نثبت في محبتك ؟ يقول «إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي. كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي، وأثبت في محبته» (يو ١٥ : ٩ ، ١٠) .

هي إذن محبة متبادلة ، وثبات في هذه المحبة وعن هذا يقول القديس يوحنا الرسول :

«من يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه» (١يو ٤ : ١٦) .

وأنت إن أحببت الله، فبالضرورة تحب قريبك، تحب أخاك في البشرية. لأن الرسول يشرح هذا الأمر فيقول «إن قال أحد إنني أحب الله وأبغض أخاه، فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره؟» (١يو ٤ : ٢٠) .

ثم يتابع الرسول كلامه فيقول «ولنا هذه الوصية : أن من يحب الله، يحب أخاه أيضاً» (١يو ٤ : ٢١) .

إنها مخادعة أن يقول لك أحد، إنك تضمن الخلاص لأن الله يحبك...! ولا يكمل تجاوبك مع هذه المحبة.

وكشف المخادعة هو: ماذا إذا كنت أنت لا تحب الله. هل تخلص وأنت لا تحبه؟!

هل تخلص وأنت تكسر الوصية الأولى والعظمى، التي تقول ومن كل فكرك. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك... وبهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء ١٩ (مت ٢٢ : ٣٧ - ٤٠).

* * *

إن المحبة ليست من جانب واحد. إنها محبة متبادلة، الجانب الإلهي فيها كامل تماماً. ولكن ماذا عن الجانب البشري؟!

لو كان العامل البشري لا أهمية له، إذن لخلص جميع الناس. لأن «الله يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تي ٢ : ٤).

الله يريد الخلاص لجميع الناس. ولكن المشكلة أنهم هم لا يريدون الخلاص لأنفسهم. لذلك يهلكون.

وهكذا قال الرب «كم مرة أردت... ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (مت ٢٣ : ٣٧، ٣٨).

* * *

الله يحب الناس، ويريد خلاصهم. ولكنه لا يخلصهم ضد إرادتهم. لا يرغمهم على الخلاص. لا بد أن يحبوا الله، ويطلبوا الخلاص، ويسعوا إليه.

وهنا أهمية العامل البشري. وهنا أهمية قول القديس بولس الرسول «جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لي إكليل البر، الذى يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل» (٢ تي ٤ : ٧، ٨).

وأيضاً قوله «ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً، ولكنى أسعى لعل أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع» «أسعى نحو الغرض لأجل جعالة الله العليا...» (في ٣ : ١٢، ١٤).

هذا هو الجهاد المطلوب منا ، لنثبت محبتنا لله ، ولكي نثبت في محبته . وهو
جهاد ذو فرعين :

١ - جهاد ضد الخطية . وعن هذا يقول الرسول القديس «...بل أقمع جسدی
واستعبده ، حتى بعد ما كرزت لآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (١كو٩ :
٢٧) . ولا يقول تكفينى محبة الله لى ، وبها أخلص !! بل هناك واجب بشرى نحو
محبة الله لى ، أن أقمع جسدی واستعبده ، وإلا ...

ويذكر أيضاً محاربتنا ضد قوات الظلمة ، وهى مصارعة ليست مع لحم ودم ، بل
مع أجناد الشر الروحية (١ف٦) .

وعن ذلك قال الرسول للعبرانيين موبخاً :

« لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) .

ولم يقل لهم : تكفيكم محبة الله لكم . ستخلصون لأن الله يحبكم ... بل عليكم
واجب : أن تقاوموا الخطية وتجاهدوا ...

٢ - الأمر الثانى هو عامل إيجابى من جهة البشر ، وهو الإيمان ، ومحبة الله ، وثمر
الروح . وله جوانب عديدة جداً .

فالمحبة تقرأ عنها فى (١يو٤) (١كو١٣) . وثمر الروح تقرأ عنه فى (غل ٥ : ٢٢ ،
٢٣) . والإيمان ينبغى أن يكون عاملاً بالمحبة (غل ٥ : ٦) .

ما أشد خطأ الذين يركزون على عمل الله من أجلنا ...

ويهملون عملنا من أجله .

الفهرست

صفحة

٥ مقدمة

الباب الأول : ما هي المحبة وما مركزها بين الفضائل

٨	 ما هي المحبة
١١	 أزلية المحبة
١٢	 المحبة الحقيقية
١٤	 المحبة والفضائل
١٧	 المحبة والصلاة
١٩	 المحبة والعطاء
٢٠	 المحبة والخدمة

الباب الثاني : محبة الله لنا ولكل الخليقة

٢٤	 الفصل الأول : محبة الله لنا
٢٥	 محبة الله الخالق
٢٧	 محبة الله الراعى
٣٠	 محبة الله الآب
٣١	 ألقاب أخرى للمحبة
٣٢	 سكنى الله فينا
٣٤	 محبة الله صانع الخيرات
٣٧	 محبة الله على الصليب
٣٩	 محبة الله المتحنن
٤٣	 محبة الله الغفور
٤٧	 اهتمام الله بالمحتاجين إلى الحب
٥٢	 الله المحب يستخدم المحبين

٥٤	الفصل الثانى : محبة الله لقديسيه
٦٣	الفصل الثالث : من محبة الله اهتمامه حتى بالأشياء الصغيرة
٦٤	مقدمة
٦٤	محبه للأطفال
٦٧	اهتمامه بصغار المواهب
٦٨	اهتمامه بصغار النفوس
٦٩	اهتمامه بالصغار فى المركز
٧١	اهتمامه بالصغار فى العدد والقيمة
٧٢	اهتمامه بالنفس الواحدة
٧٤	اهتمامه بالطير
٧٥	اهتمامه بالحيوان
٧٨	تقديره الكبير للعمل الصغير
٨٥	الفصل الرابع : محبة الله فى شرائعه
٨٦	فى معاملة العبيد
٨٧	فى معاملة الغريب واليتيم
٨٨	فى معاملة الفقراء والمساكين
٨٩	الرهن والقرض
٩١	شرائعه فى منع الربا
٩١	إنصاف المظلومين
٩٢	منع العنف

الباب الثالث : محبتنا لله

٩٤	الفصل الأول : أهمية محبتنا لله ونتائجها
٩٥	أهمية محبتنا لله
٩٨	نتائج محبتنا لله
١٠١	محبة الخير
١٠٢	الفصل الثانى : لماذا نحب الله ؟ وما العوائق التى تمنع محبتنا له ؟ ..

١٠٢	لماذا نحب الله
١٠٧	عوائق المحبة
١١٠	الفصل الثالث : كيف نحب الله ؟
١١٠	لن نستغنى عنه
١١١	اترك المحبة المضادة
١١٦	الفصل الرابع : نحب الله بتذكار احساناته إلينا وإلى غيرنا
١١٦	نحب الله بتذكار احساناته إلينا وإلى غيرنا
١٢٢	الفصل الخامس : نحب الله بالتفكير فيه والإنشغال به
١٢٢	فكر فيه
١٢٧	اقرأ عنه
١٢٧	عاشره
١٢٩	الفصل السادس : نحب الله بعشرته واتخاذ صديقاً
١٢٩	اتخذ لك صديقاً
١٣٠	أمامك باستمرار
١٣١	معك وأنت معه
١٣٤	حامل الله
١٣٦	الفصل السابع : نحب الله بتأمل صفاته الجميلة وعلاقته بقديسيه
١٣٦	صفات الله
١٣٧	مغفرة الله
١٤٠	دفاع الرب عن أولاده
١٤٢	الفصل الثامن : نحب الله بتأمل سير القديسين الذين أحبهم وأحبوه
١٤٢	سير القديسين
١٤٤	عيونهم المفتوحة
١٤٥	دالتهم عند الله
١٤٨	كيف انتقلوا
١٥٠	الفصل التاسع : نحب الله بالصلاة صلاة الحب
١٥٠	كيف تصلى

١٥٣	كيف صلى القديسون
١٥٧	الفصل العاشر : وسائل أخرى لمحبة الله
١٥٧	مخافة الله
١٥٨	محبة الخير
١٦٠	محبة الناس
١٦٢	وسائل النعمة
١٦٢	ذكر الموت والدينونة
١٦٣	الفصل الحادى عشر : علامات محبتنا لله

الباب الرابع : محبتنا للناس

١٧٠	الفصل الأول : محبتنا للناس
١٧٦	الفصل الثانى : المحبة العملية
١٧٦	لزوم المحبة العملية
١٧٨	البذل والعطاء
١٨٠	احتمال التعب
١٨١	فى مجال الخدمة
١٨٣	الفصل الثالث : المحبة الضارة
١٨٣	محبة تسبب ضرراً
١٨٤	الأسلوب الخاطىء
١٨٥	المدح الضار
١٨٦	تسهيل الشر
١٨٧	النصح الخاطىء
١٨٨	المحبة غير العادلة
١٨٩	الاستحواز
١٩٠	الشهوة
١٩١	الحنان الجسدانى
١٩١	التدليل
١٩٣	أنواع أخرى

١٩٤	الفصل الرابع : المحبة الخاطئة للنفس
١٩٥	المحبة الجسدانية
١٩٦	محبة خيالية
١٩٧	العظمة
١٩٩	المعارضة والصراع
٢٠٠	الأنشطة
٢٠٠	المركز والشهرة
٢٠١	كيف تبني نفسك
٢٠٢	الحرية
٢٠٣	المعرفة
٢٠٣	الإعجاب بالنفس

الباب الخامس : صفات وعناصر المحبة

٢٠٧	الفصل الأول : المحبة تتأني
٢٠٧	أهمية طول الأناة
٢٠٨	طول أناة الله
٢١٢	نطيل أناتنا
٢١٤	الفصل الثاني : المحبة تترفق
٢١٤	الرفق والرفقة
٢١٥	أمثلة وعناصر
٢٢١	الفصل الثالث : المحبة لا تحسد
٢٢١	ما هو الحسد
٢٢٢	المحبة لا تحسد
٢٢٣	الغيرة
٢٢٤	هل الحسد يضر
٢٢٦	حسد الشياطين
٢٢٩	الفصل الرابع : المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح

٢٢٩		المحبة لا تنتفخ
٢٣٥		المحبة لا تقبح
٢٣٦		الفصل الخامس : المحبة لا تطلب ما لنفسها
		الفصل السادس : المحبة لا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالاثم ،
٢٤٣		بل تفرح بالحق
٢٤٣		المحبة لا تحتد
٢٤٦		لا تظن السوء
٢٤٨		لا تفرح بالاثم
٢٤٩		الفصل السابع : المحبة تحتل كل شيء وتصب على كل شيء
٢٤٩		المحبة تحتل وتصب
٢٥٥		تصدق كل شيء
٢٥٦		الفصل الثامن : المحبة لا تسقط أبداً
٢٥٦		قوة المحبة
٢٥٦		محبة الله للبشر
٢٥٩		محبة البشر لله
٢٦١		محبتنا لبعضنا البعض
٢٦٣		الباب السادس : عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى
٢٧١		أمثلة لترك المحبة
٢٧٢		الله يعاتب أولاده
٢٧٢		في الخدمة
٢٧٤		في التوبة
٢٧٥		أسباب ترك المحبة
٢٧٩		المحبة ليست من جانب واحد
٢٨٣		الفهرست